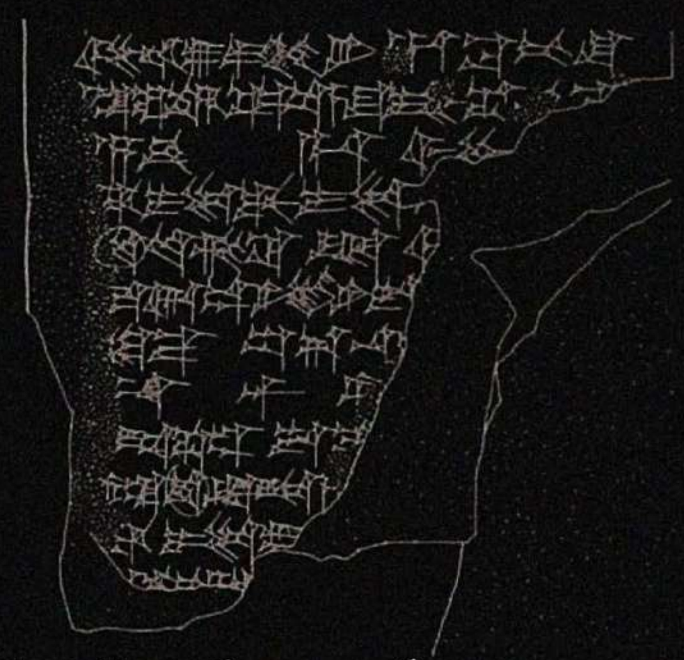
ديوان الأساطير

سومر وأكاد وآشور

الكتاب الثالث

الحضارة و السلطة





نقله الى العربية وعلّق عليه : قاسم الشوّاف

قدّم له وأشرف عليه : أدونيس

دار الساقي

ديوان الأساطير

من أعمال قاسم الشواف

- كتاب «الكلمة الصافية» صدر عن دار الأجيال في دمشق عام ١٩٦٩.
- «الاستعادة» بصدد الصراع الصهيوني ـ العربي، صدر عن مؤسسة التوجيه المعنوي في دمشق (١٩٦٩) باللغة الفرنسية.
- «نحن الملك» مسرحية مُعرَّبة عن كتاب «أنا الغاضب» للكاتب المغربي محمد خير الدين. صدرت في عام ١٩٧١ عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق.
- كتاب «مع رحلة الفنان وليد عزت، في أساطير سومر وملحمة جلجامش» محتوياً على كامل لوحات الفنان الخاصة بهذه المواضيع. صدر عن مؤسسة التوجيه المعنوي بدمشق (أيلول ١٩٧٣).
- الكتاب الأول من مجموعة «ديوان الأساطير» بعنوان: «أناشيد الحب السومرية»؛ دار الساقي (١٩٩٦).
- الكتاب الثاني من مجموعة «ديوان الأساطير» بعنوان: «الآلهة والبشر»؛ دار الساقي (١٩٩٧).

ديوان الأساطير

سومر وأكاد وآشور

الكتاب الثالث

الحضارة والسّلطة

نقله الى العربية وعلّق عليه: قاسم الشوّاف
قدّم له وأشرف عليه: أدونيس



دار الساقي

الطبعة الأولى ١٩٩٩

ISBN 1 85516 337 3

دار الساقي
بناية تابت، شارع أمين منيمنة (نزلة السارولا)، الحمراء، ص.ب: ١١٣/٥٣٤٢ بيروت، لبنان
هاتف: ٣٤٧٤٤٢ (٠١)، فاكس: ٦٠٢٣١٥ (٠١)

DAR AL SAQI
London Office: 26 Westbourne Grove, London W2 5RH
Tel: 0171-221 9347, Fax: 0171-229 7492

ديوان الأساطير

الكتاب الثالث

استهلال

ـ ١ ـ

بدأ في السنوات العشرين الأخيرة اهتمام خاص ومفاجيء لدى العرب، كتّاباً وباحثين وقرّاء، بالأسطورة، وبالقضايا الأدبية والفكرية التي تتولّد منها، أو تتّصل بها. فقد تُرجمت ونشرت أكثر من مرّة، ملحمة جلجامش، تمثيلاً لا حصراً. وعمل باحثون كثيرون في العراق وسورية، بخاصّةٍ على دراسة الأساطير في هذين البلدين، وعلى ترجمة نماذج عديدة منها، نقلاً عن اللغة الأصلية، أو اعتماداً على ترجماتها في اللغات الأجنبية.

ـ ٢ ـ

وهذه المحاولة التي نقوم بها، قاسم الشوّاف وأنا، ليست إلاّ استمراراً لتلك الجهود الرّياديّة، العلمية واللاّمعة، التي تقدّمتها، غير أنها محاولة تتميّز عمّا سبقها، بطموحها وشمولها. فهي تهدف إلى تقديم الأساطير في موسوعة، أو ديوانٍ يحتضنها جميعاً، في عشرة أجزاء، منذ البدايات الأولى على هذه الأرض التي ننتمي إليها، في سومر بين أحضان دجلة والفرات، وفي سورية، والجزيرة العربية، وانتهاءً بمصر وضفاف نيلها الكريم.

ـ ٣ ـ

يمثّل، إذاً، هذا الاهتمام الناشىء بالأسطورة في الوسط الثقافي العربي، ما يمكن أن نسمّيه بانقلابٍ معرفيّ ونظريّ. ولا أخوض هنا في الأسلوب التي أدّت إليه، بل أقتصر على القول إنّه دليل نُضجٍ وتفتّح.

وهو، إذاً، انقلاب يشير إلى تغيّر أساسي ـ إلى نشوء نظرةٍ أخرى ترى في اللغة العربية أختاً وامتداداً للغات التي سبقتها، وترى أنها، إذ أخذت محلها، فقد احتفظت بشحنتها الثقافية الحية، إبداعاً وتأصُّلاً.

يشير، أيضاً، إلى ما هو أبعد وأعمق. لم يعد العربي، الكاتب خصوصاً، يرى نفسه سابحاً في تموّج لغته، كأن التاريخ مجرّد عربةٍ لغوية تقطر وراءها الحياة سائرة في فضاء مجرّد، في انقطاع عن القرار العميق: الأرض التي انبثقت منها هذه اللغة. أصبح، على العكس، يرى عمودية هذه اللغة، وعمقها الوجودي والتاريخي.

ـ ٤ ـ

في هذا ما يمثّل بدايةً لعودة نوع خاص من الدفء إلى اللغة الشعرية العربية، وإلى الحساسية العربية. فالأسطورة دفء للعقل وللجسد ـ عما يذكّر به الشاعر الفرنسي «باتريس دولاتور دوبان» في عبارته الجميلة: «الشعب الذي لا أساطير له يموت من البرد»، خصوصاً برد التقنية الآخذة في تدمير طفولة العالم. إن في الطاقة التخييلية التي تكتنزها الأسطورة ما يتيح التأسيس لبؤرة من العلاقات الإنسانية، يتخطى برودة التقنية، إضافة إلى ما تولده في الإنسان من القدرة على الاستباق والاستشراف.

وإذ يرتبط الأدب، والشعر بخاصة، بالخيالي الأسطوري، يصبح أكثر قابلية لأن يكون بناء يشمل برؤيته الجمالية المجتمع ـ علماً وفلسفة، قيماً وعلاقات. فيعيد، على طريقته وبخصوصيته، النظر في العالم، بحيث يكون نقداً شاملاً، انطلاقاً من تلك الرؤية. هكذا يتاح للرؤية العلمية أن تكون هي أيضاً شعرية، ويتاح للتقنية أن تتنفس هواء الشعر، فتظل الحياة أكثر إنسانية، ويظل الوجود، تبعاً لذلك، أكثر بهاء، ودفئاً.

آثرنا أن نحافظ، في الترجمة، على بناء الجملة الأصلي، بحيث تنقل إلى العربية كما هي، دون تعديل إلاّ في أشياء طفيفة تقتضيها بين وقت وآخر خصوصية الصياغة النحوية وخصوصية التعبير في اللغة العربية، وفقاً لتلك الصياغة.

نأمل أن يساعدنا الباحثون والقراء في هذا العمل، بنقدهم البصير، ومعرفتهم الدقيقة. ففي هذا ما يفيدنا في تهيئة الأجزاء التالية من هذا الديوان، فنتلافى أخطاءنا في هذا الجزء الذي بين أيديهم، ونعمل على أن تجيء الأجزاء التي ستليه أكثر ما يمكن قرباً إلى الصحة والدقة.

أدونيس

حاشية

أودّ أن أشير في هذا الكتاب الثالث من «ديوان الأساطير» إلى الأساس الذي يجمع، في النصوص التي يتضمنها، بين الرؤية إلى الكون والرؤية إلى الكتابة، بعامة، وبين الكتابة والعمل، بخاصة. وهي مجرد إشارة، آملاً أن تليها دراسات مفصلة يقوم بها المختصون لإضاءة العلاقة، في عالمنا القديم، قبل الأديان النبوية الموحاة، بين اللغة ـ أداة للمعرفة، والوجود ـ موضوعاً للتساؤل والبحث. وما أشير إليه هنا ينطبق على النصوص التي نشرت سابقاً، وتلك التي ستنشر لاحقاً.

«المؤلِّف» في هذه النصوص لا يقول نفسه، وإنما يقول «الجماعة»، فاسمه وهويته ذائبان فيها. ويقوم «التأليف» على قاعدة رؤيوية يمتزج فيها الدين بالفكر، والفكر بالفن، والحس الفلسفي بالحس الجمالي. ويمكن القول، تبعاً لذلك، إن التأليف يصدر عن رؤية تكوينية للعالم. و«الجماعة» كلها هي «الكاتبة».

لا ينفصل «المؤلِّف» إذاً عن العالم من أجل أن يتصل بـ «مثال» التأليف، فهو أصلياً، بناءُ العالم، وتأليفه يحمل النسغ الذي يتدفّق في جذوره. يحيا في لجّة الأشياء، وفي لجّة الأيام والأعمال. لذلك ليس تأليفه «مثالاً» تُنتقد الحياة العادية من أجله، لكي تتجه نحوه وترقى إليه، وإنما هي الحياة الواقعية والمتخيّلة معاً ـ مسكوبة في الكلام. ومن باب أولى، في هذا الأفق، ألاّ يكون التأليف «صورةً» عن الأشياء التي يقول، وأن

يكون هذه الأشياء نفسها ـ عملاً وتخيّلاً وكلاماً. فاللّغة حاضنةٌ للوجود كلّه ـ رؤيةً، وغناءً، وممارسةً، في تمحورٍ أساسيّ حول البناء ـ النّشيد، النشيد ـ البناء، وفي جدلٍ بين البادية والحاضرة، على صعيد الإنشاء والبناء و«التقدّم»، وبين رموز «الخير» ورموز «الشر»، على صعيد الأفكار والقيم. والآلهة والحكّام، هم أنفسهم، لا يُمجّدون إلاّ بوصفهم عاملين في هذا البناء الكلّيّ الحضاريّ. ولا ينحصر هذا التمحور في الذكورة وقيمها، وإنما تتوسّطه الأنوثة الإلّهيّة الخالقة.

أدونيس

مقدمة الكتاب الثالث

تطرّق الكتاب الأول من مجموعة «ديوان الأساطير»، إلى موضوع الخصب والإخصاب: إخصاب الأرض بماء السماء وإخصاب الأرحام «بماء القلب». وروى لنا أجمل أناشيد الحب في سومر، بين أشهر حبيبين عرفهما تاريخ عالمنا القديم، وهما دوموزي الراعي، وإلّهة الخصب والجمال إنانًا. وروى كذلك أناشيد الحبّ التي رافقت الزواج الإلّهي بين ملك يمثل الإلّه الراعي. والملك هنا هو في الوقت نفسه، راعي الشعب وراعي البلاد، يقترن بمقرَّبةٍ تمثّل إلّهة الخصب إنانًا. وبذلك كان يتم ضمان رخاء البلاد وتحقيق خصب ونمو كل ما فيها.

واعتماداً على مجمل أناشيد الحب السومرية، التي أطلقنا عليها تسمية «نشيد الإنشاد السومري»، أمكن تضمين الكتاب الأول دراسة حول التوازي مع «نشيد الإنشاد» التوراتي، وكانت هذه الدراسة الأولى من نوعها باللغة العربية.

أما الكتاب الثاني، فقد عاد إلى «البدء والأصول» وروى قصص التكوين والخلق، التي سبقت قصيدة النظرة الشاملة للتكوين والخلق وهي «الإنوما إيليش»، أي قصيدة التكوين والخلق البابلية التي كرّست ارتقاء الإلّه مردوك ومجدّته بأسمائه الخمسين. وبعد إثبات نصها الكامل تعرض الكتاب إلى موضوع الثواب والعقاب، فروى قصة «الفائق ـ الحكمة» الذي أنقذ البشر من الطوفان الذي كان بمثابة عقاب للبشر، كما تطرّق إلى سهر الآلهة ودورهم في إثابة الملوك بترسيخ ملكيتهم، أو معاقبتهم إذا ما لزم الأمر، وكذلك معاقبة المدن أو البلاد بكاملها.

ومن هنا، يدخل الكتاب الثاني في أدب المراثي الذي نتج عن ذلك، ليقدّم أقدم مثل عرفه المسرح الديني، وكان ذلك في سومر، عبر مسرحية «البكاء على خراب سومر ومدينة نفر».

وفي مجال الثواب والعقاب أيضاً، يناقش الكتاب الثاني «العدالة الإلّهية» متوقفاً عند قصة «العادل المعذب» (أيوب التوراتي). ليقدّم بعد ذلك محاولتين للصعود إلى سماء الآلهة: الأولى من قبل «أدابا» الحكيم والثانية من قبل «إيتانا» الملك، الذي صعد على جناح نسر سعياً وراء مطلبه النبيل.

وفي هذا الكتاب الثالث، يدور الموضوع الأساسي، حول الحضارة في مراحل بنائها وفي ما تخوّله المعرفة من قدرات وسلطة. وتحت عنوان «الحضارة والسلطة»، يتطرق الكتاب، في فصله الأول إلى بدايات الاستقرار لإنتاج الغذاء والكساء مشيداً بثالوث هذه البداية: «النعجة ـ الأم والشعير والكتان»، كما يحتفل باستقرار الإلّه البدوي «مارتو» نتيجة لزواجه من ابنة إلّه المدينة، الفتاة الجميلة التي أعجبت بشجاعته.

ويمجّد بعد ذلك الإلّه إنليل، سيد الآلهة وسيد البلاد، متغنياً بفضل سيد الهواء والأمطار في إطلاق مسيرة الحضارة وإقامته في «بيت الجبل الكبير» معبده في مدينة نفر وجَعْلِهِ هذه المدينة محجاً للآلهة لتقديم ولائهم له.

وفي دور حضاري مكمّل يقوم الإلّه نينورتا ابن إنليل، بعد أن كان فلاح الآلهة، وأصبح بطل المعارك والانتصارات، يقوم بإخضاع «شعب الحجارة» في المنطقة الجبلية المتمردة، وبتسخير مقالع الجبل وصخوره، كما يقوم ببناء السدود وتنظيم أعمال الري والزراعة والمساحة.

وبعد الولاء لإنليل ولنفر، يُبرز الفصل الثاني تدخل الإلّه أنكي وهو سيد المعرفة والخلق ومهارة الصنع، في دوره التنظيمي للبلاد وفي دوره الخلاق من أجل ترسيخ أسس الحضارة، واستقطاب الولاء نحو مدينته إريدو مالكة جميع أسس الحضارة مما حدا بالإلّهة إنانا ركوب سفينتها السماوية والسعي نحو إريدو للحصول عليها.

وفي ما يتعلق بالسلطة أيضاً، لا ينسى الكتاب الثالث، دور الإآلهة إنانا / عشتار، في ما عرفته من محاولات للحد من عنفوانها وحيويتها بصفتها قائدة الجيوش وسيدة المعارك ولا يحول ذلك دون ارتقائها وتمجيد سلطتها.

أما الفصل الثالث، واستكمالاً للبعد الحضاري، فإنه يتحدث عن دور المدرسة والحكمة في تعميم الحضارة ونشر القيم الأخلاقية التي تبني مجتمع البشر، فيتعرض لدور التعليم في مدارس سومر وآكاد، ويعرض مجموعة من الحكم والأمثال، منتهياً بتقديم قصة أحيقار الآرامي حكيم بلاط نينوى في القرن السابع لما قبل الميلاد وحكمته، كما يطرح موضوع دراسة للتعرف على أصول «كليلة ودمنة» لدَيْدَبا الهندي على ضوء قصص وحكايات الحيوانات المماثلة التي عرفتها آثار سومر وأحيقار ولقمان الحكيم.

المصطلحات والإشارات
التي تسهل متابعة النصوص

* أرقام الأسطر، هي الأرقام العربية (1، 5، 10، 15 . . .) التي تمكن من الرجوع إلى النص في كل مقارنة أو استشهاد أو اقتباس.

* أشرنا أيضاً كلما لزم الأمر إلى عدد اللوحات التي يتألف منها النص كما نوهنا بالانتقال من محتوى وجه اللوحة إلى محتوى ظهرها والانتقال من عمود إلى عمود أخر حين كانت النصوص موزعة على عدة أعمدة في اللوحة الواحدة.

* . . . هذه الإشارة بين تعبيرين تدل على وجود كلمة أو مقطع تعذرت قراءتهما.

* [. . .] العقفات قصيرة كانت أم طويلة، تعني فقدان كلمات أو مقاطع على اللوحة الأصلية.

* [مع نص تحتوي عليه] تشير إلى أنه أمكن استكمال النقص بسبب التكرار في اللوحة نفسها أو عن لوحة أخرى سهلت هذه الإضافة.

* نظراً إلى اختلاف أطوال الأسطر، فإن تتمة السطر الذي يتعدى السطر الواحد المقرر للنص، أوردت وكأنها عجز مكمل لصدر بيت شعر عربي.

* (   ) ما وضع بين قوسين يشير إلى إضافة أو تكرار يساعد على تفهم النص بلغته العربية.

* < > تدل هذه الإشارة على أن الناسخ نسي تعبيراً أو مقطعاً معروفاً لدينا وأمكننا إضافته.

* { } ما يوضع ضمن هاتين الإشارتين يدل على أن الناسخ كرر سهواً ودون مسوّغ كلمة أو مقطعاً يعزل على هذا الأساس.
* (؟) تشير إلى قراءة غير أكيدة للنص وهي تلي الاقتراح المحتمل للقراءة المعروضة.
* ! علامة التعجب تشير إلى اللجوء إلى معنى محدد للمقطع أو الكلمة التي سبقت هذه العلامة.
* وأخيراً فإن جميع النصوص التي يحتويها هذا الكتاب، تحمل مع عناوينها، التي هي اصطلاحية ولا أساس لها في النصوص الأصلية، تحمل إلى جانب هذه العناوين، رقماً بين قوسين (رقم) يسهل الرجوع إليها والاستشهاد بمحتواها، مثال النص ٣٥ السطر ٦ يشار إليه: (٣٥: ٦) أو الأسطر ٦ إلى ١٠ في النص نفسه يشار إليها: (٣٥: ٦ ـ ١٠).

الكتاب الثالث

الحضارة والسلطة

(١) ــــ الفصل الأول: بناء الحضارة

(٢) ــــ الفصل الثاني: السلطة والولاء

(٣) ــــ الفصل الثالث: الحضارة بين المدرسة والحكمة

الفصل الأول

(١) ـــ بناء الحضارة

(١ ـ ١) ـ النعجة ـ الأم والشعير والكتّان

١ ـ بهذه الرموز الثلاثة، لخّصت لنا نصوص سومر، بداية الحضارة في وادي الرافدين: وبالطبع، فإن ماء السماء وماء الأرض كانا في أساس حياة البلاد؛ وقد أورد الكتاب الأول من هذه المجموعة عدة نصوص تشيد بأهمية الماء وأهمها نص «إحياء بلاد دلمون»[١] بواسطة الماء الذي أخرجه الإلّه أوتو[٢] من الأرض. وكذلك أيضاً يعمد الإلّه أنكي[٣] إلى إغراق منابت القصب بماء قضيبه الذي ملأ به المجاري جماء، ومَن ثم، بمضاجعة قرينته نينخورساج[٤] ومن ولدتها من بعدها . . . ، ثم خلق إلّهة الخضار ثم سيدة النباتات ذات الألياف وبعدها إلّهة النسيج . . . ومن المستحسن العودة إلى هذا النص لمتابعة تسلسل عمليات الخلق هذه وأهميتها في كل من مجالي الاستهلاك والتداوي بالأعشاب والنباتات.

---

(١) النص رقم (١) من الكتاب الأول.
(٢) (Utu) الإلّه الشمس السومري.
(٣) (Enki) إلّه الأبسو، محيط المياه العذبة وسيد المعرفة والخلق ومهارة الصنع.
(٤) (Ninhursag) قرينة أنكي ومعناه سيّدة الجبل.

٢ ـ وها هما الإلهان إنليل[١] وأنكي يخلقان إلهتي الماشية والحبوب: الإلهة لاهار[٢]، النعجة ـ الأم والإلهة أشنان[٣]، الحبوب. وهكذا كما يوضح ذلك النص رقم (٧):

«تمكّنتا من تحقيق الكثرة، وجلبتا إلى البلاد الحياة».

٣ ـ وقبل أن يصبح الإله نينورتا[٤] بطل المعارك والانتصارات، كان فلاحاً بإمرة إنليل:

«وبفضله كانت البساتين المروية
تطفح حلاوة وخمراً
وفي القصر كانت الحياة المديدة تتمطّى»[٥].

٤ ـ كما يشير النص رقم (٥٣) الوارد في الكتاب الثاني إلى أنّ الإله إنليل خلق الفأس وباركها:

«ووضعها بيد البشر ليعملوا بها».

٥ ـ وبتفصيل أبعد يروي النص رقم (٥٤) من الكتاب الثاني، أن البشر، قبل إدخال الحبوب إلى سومر، كانوا يعيشون مثل الخراف، يرعون العشب، وأن الحبوب: الشعير والكتّان، أنزلا من السماء. ووضعا على الجبل ذي أريج الأرز، ومنه عمد إلهان ثانويان إلى نقلهما إلى سومر، وكشفا لها «السر الذي تجهله».

٦ ـ أما الأخوان، الصيف والشتاء[٦] اللذان خلقهما الإله إنليل وقرر لهما مصيرهما، فإن الصيف، إيميش[٧]:

«نمّى الأشجار والزروع
ووسع المداود والحظائر»،

---

(١) (Enlil) سيد مجمع آلهة سومر وهو إله الهواء والأمطار.
(٢) (Lahar).
(٣) (Ashnan).
(٤) (Ninurta) ومعناه سيّد الأرض بصفته فلاّح إنليل.
(٥) ورد في النص رقم (٩) من الكتاب الأول.
(٦) انظر النص رقم (٩) من الكتاب الأول.
(٧) (Emesh): الصيف.

كما أتى بحصاد غني. . .
ودفع إلى بناء المساكن[١]».

أما أخوه الشتاء إينتين[٢]، فإنه:

«كثّر البقرات والعجول
ووفّر بسخاء السمن واللبن. . .
وضاعف عشر مرات الحَب في الأثلام».

وتنافس بعد ذلك الأخوان لمعرفة أيهما أفضل؟[٣]

٧ ـ وبشكل مماثل، بعد أن نمت تربية الماشية وتقدمت الزراعة وتكدست المحاصيل، أتى وقت تم فيه تصور المنافسة بين الأختين: لاهار، النعجة ـ الأم، وأشنان، الحبوب وذلك بعد إنزالهما من على «الجبل المقدس» ووضعهما تحت تصرف البشر[٤].

٨ ـ وأشهر منافسة عرفتها نصوص سومر، وردت في الكتاب الأول تحت الرقم (١١)، وهي المنافسة بين الراعي والفلاح، وكانت إنانا[٥]، هي المكافأة لتلك المنافسة. وقد فهمت الحضارة آنذاك، في استمرار تطورها، بأن الإثنين كان لا بد منهما. وإذ يفوز الراعي دوموزي[٦] بقلب إنانا، فإنه يدعو الفلاح لحضور عرسه، وتترسخ الأخوة بينهما ويتحقق التكامل الحضاري.

٩ ـ وبصدد الحضارة والتحضير، بالانتقال من حالة البداوة إلى الاستقرار في المدينة، فأجمل نص يمكن لهذا الكتاب أن يعرضه بابتهاج، يشتمل على قصة عرس آخر: وتحت عنوان «زواج مارتو» يبدأ هذا الكتاب بتقديم نصه الأول حاملاً الرقم (٧٥).

١٠ ـ ونختتم هذه الفقرة المقدّمة لبناء الحضارة، بالعودة إلى «أعجوبة» بذور «الكتّان

---

(١) بناء المساكن والمعابد بواسطة الآجر كان يتمّ في فصل الصيف.
(٢) (Enten): الشتاء.
(٣) سوف نورد فقرات عن هذا التنافس في فصل لاحق.
(٤) راجع النص رقم (٤١) في الكتاب الثاني.
(٥) (Inanna).
(٦) (Dumuzi).

الذي يزرع» ويعطي في النهاية خيوطاً تُنسج. لننصت من ضمن النص رقم (١١) من الكتاب الأول، إلى الإله الشمس أوتو[1] يبشر أخته إنانا، بأن الكتّان المزروع نما وسوف يهديه لها، غطاء لفراش عرسها:

«سوف أجلب لك الكتّان المزروع، أي أختي!
أي إنانا، سوف أجلب لك الكتّان المزروع»!

١١ ـ وبصورة عامة، يمكننا التذكير هنا بمناسبة استقرار الحضارة في ما بين النهرين وسرعة انتشارها، بأن عناصر هذا النجاح تكمن في حيوية وذكاء «ذوي الرؤوس السوداء» وفي مهاراتهم، بالإضافة إلى خصب التربة وتوافر المياه. وقد ساعد ابتداع الكتابة، منذ بداية الألف الثالث قبل الميلاد على مسك سجلات نظام تموين معابد الآلهة وقصر الملك. وهذا التموين الذي كان على عاتق الشعب شاملاً مختلف نشاطاته المعاشية، كان يتم بواسطة عدد كبير من الجباة والموظفين، وسوف نعود إلى مثل هذه التفاصيل بصدد الإصلاحات الاجتماعية فيما بعد. ويمكننا الإضافة، بأن نظام تموين المعابد والقصور، كان المحرك الرئيسي لابتداع فن الكتابة والمحاسبة.

---

(١) (Utu).

(٧٥) ـ زواج مارتو

١ ـ يقال عن مارتو[١] بأنه إلّه ثانوي، ولكنه إلّه على طريقته، لم يقم بأعمال مجيدة من أجل البلاد، ولم يقهر الأعداء أو مخلوقات الشر. لم يكن يسكن المدينة ولم يكن يعرف البذخ والرفاهية.

كان قديماً يسكن البادية والسهوب، ثم اقترب من المدينة، فسكن ضواحيها وارتاد معابدها. وإذا كان دخل المدينة، فإن غرضه لم يكن سوى العمل كمياوم تدفع له أجرته خبزاً. وكان بكل بساطة يعود لأمه ويحدثها عما رأى وعن الآخرين.

فكر مارتو بالزواج، مثل أقرانه، وفي عيد المدينة، افتتن بجمال فتاة هي ابنة الإلّه سيد المدينة. وبحماسة فيها براءة وعنفوان الشاب المحبّ، برز في عيد المدينة، حين تغلب في مصارعات العيد على خصومه ولفت الأنظار إليه، ثم رفض مكافآت إلّه المدينة تقديراً له، طالباً ببساطة يد ابنته الجميلة التي من أجلها أظهر تفوق بأسه. فقبل الأب، وانتصر حبه على الحواجز الاجتماعية التي كانت، كما هي اليوم، قائمة منذ ذلك الوقت، فمن يزوج ابنته المتحضرة والمرفهة «الشبه بدوي»؟ وقد تم ذلك فعلاً، وتم فعلاً زواج مارتو من الفتاة الجميلة آدنيجكيدو[٢] في مدينتها، مدينة نيناب[٣] إطار القصة.

---

(١) (Martu).

(٢) (Adnigkidu).

(٣) (Ninab) المدينة التي يشير النص بأنها كانت قريبة من جيرتاب (Girtab) المعروفة تاريخياً وهي تقع إلى الجنوب من بابل.

٢ ـ هذه هي قصة مارتو، الإله الثانوي، البدوي الساذج والمحب والقريب إلى قلوبنا لأنه «إنسان» في الوقت نفسه.

مارتو هو إذن إله القبائل الرحل التي كانت تتنقل في الشمال الغربي من بلاد ما بين النهرين في المنطقة التي سميت آمورو[١] فيما بعد، والتي هي «البلد المرتفع» أي الفرات الأوسط وحوض البليخ والخابور، إلى الشرق من مدينة حلب، ومنطقة جبل البشري على الأخص. مارتو هي إذن التسمية السومرية، لآمارو الأكادية. وزواج مارتو يرمز إلى التحضير الطبيعي للبدو الرحل وهم الآموريون (العموريون)، حين غادروا البادية تدريجياً وسكنوا حول المدن للعمل، ثمّ استقروا فيها بالزواج.

٣ ـ عثر على هذا النص السومري في حفريات مدينة نفر[٢]، وقد نسخ خلال الثلث الأول من الألف الثاني لما قبل الميلاد، على لوحة واحدة تحتوي على ١٤٢ سطراً يتخللها الكثير من النقص والتشويه، وعلى الأخص في الثلث الأخير منها، ومع ذلك، فقد أمكن تتبع محتواها.

---

(١) (Amurru): بلاد الآموريين أو العموريين.

(٢) (Nippur).

مدينة نيناب إطار القصة

كانت نيناب موجودة ولكن جيرتاب لم تكن موجودة بعد!
كان تاج السيادة موجوداً
ولكن التاج الملكي لم يكن موجوداً بعد!
النباتات السخية كانت موجودة
لكن الأرز النبيل لم يكن موجوداً بعد!
الملح (المفيد) كان موجوداً،
لكن عشب القِلْي لم يكن موجوداً بعد!

ولكن، بما أن النزو والسفاد كانا موجودين
وكذلك تكاثرت (الدواب) في قلب الريف
فأنتِ يا نيناب (؟) أنت التي ولدتِ الأرز
أنت مولِّدة الأرز المتألق
أنتِ السَلَفُ الأول لشجرِ ـ الميس[1]
أنتِ أم ـ وأب الأرز ـ الأبيض
الأصل (؟) الحقيقي للسرو.
إذ إنه، كان في ذلك الوقت، بين المدن كافّة،
بلدُ إمارة،

وبين المدن كافّة،
بلد الإمارة (هذا)، كان نيناب!
كان أميرها، هو قيثار ـ طبل ـ طبلة(؟)[2]
مع زوجته [. . .] واسمها [. . .]

---

(١) (Mês) شجرة محلية لم يمكن التعرف على نوعها.
(٢) بالسومرية: تيجي ـ أوبا ـ آلا، وهو اسم مصطلح تم اختلاقه على ما يظهر لإضفاء جوٍ مازح وطليّ على القصة.

وولده [. . .] الذي كان يرافقه(؟)
كان اسمه [. . .]

حول المدينة كان يسكن أنصاف ـ البدو ومنهم مارتو

وكان يسكن آنئذٍ في جوار المدينة
«حملةُ ـ الجونا»[١]
كان «حملة ـ الجونا» يعيشون بجوار تيناب
و«حملة الجونا» هؤلاء كانوا
يأتون إليها للتعبّد
ولتضحية حملانهم في مكان وموضع الرجال (؟)
وفي يومٍ، حين حل المساء
ولدى التوجه إلى مكان ـ دفع ـ الأجور
أمام الإله [. . .]
كان يُوَزِّع الخبز على العمّال (؟)
فالذي كانت له زوجة، كان يتلقى حصّتي خبز
ومن كان له ولد كذلك، كان يتلقى ثلاث حصصٍ
ولكن من كان لا يزال عازباً
كان يتلقى حصة واحدة
أما مارتو، العازب، فقد تلقى حصتين
ذهب عندئذٍ للقاء أمّه التي ولدته
دخل عليها وقال لها:
«لماذا في بلدتي، أصدقائي
لهم زوجاتهم
ورفقائي لهم زوجاتهم

(١) (Guna) «حملة ـ الجونا» أو «الابسو الجونا» لأننا لا ندري ما يعنيه النص بهذا اللقب الذي كان يطلقه السومريون على أنصاف ـ البدو الذين يعيشون حول مدنهم.

ولماذا في بلدتي وبين جميع أصدقائي
أنا الوحيد الذي ليس له زوجة؟
أنا لا زوجة لي ولا ولد،
ومع ذلك، فأنا تلقيت [. . .]
حصّة مماثلة لحصّة أصدقائي المتزوجين
حصلت على ما يماثل ما حصل عليه
رفقائي الذين لهم زوجات!»
وفي يوم آخر، حين حلَّ المساء
عندما تمّ التوجه إلى مكان ـ دفع ـ الأجور
أمام الإلّه [. . .]
كان يُوَزِّع الخبز على العمّال
فالذي كانت له زوجة كان يتلقى حصتي خبز
ومن كان له ولد كذلك، كان يتلقى ثلاث حصصٍ
ولكن من كان لايزال عازباً
كان يتلقى حصة واحدة
أما مارتو العازب، فقد تلقى حصتين

مارتو يرغب بالزواج مثل أصدقائه ويحدث أمه بذلك

ذهب عندئذٍ للقاء أمه التي ولدته
دخل عليها وقال لها:
«انتخبي لي زوجةً يا أمي،
وسوف أجلب لك حصصي من الخبز!».
عند ذلك [أجابت] مارتو أمُه التي ولدته:
[يا بني] سأقدّم لك توصياتي
فخذْها!
[اسمع] ما سأقوله لك:

«اتخذ لنفسك زوجة من أي مكان (شئت)
اتخذ لنفسك زوجة حيث تريد
[...] صرامتي(؟) صعبة الإرضاء(؟):
[...] خادمة فتية!

من بين أقرانك الذين يعيشون على أطراف المدينة
هناك من بنوا لأنفسهم بيوتاً
وبين رفقائك [...]
هناك من حفروا (؟) لأنفسهم آباراً!»

مارتو يذهب لحضور عيد مدينة نيناب

عند ذلك، مارتو الذي هو [...]
ففي يوم، في المدينة، في المدينة
تقرر إقامة عيد
تقرر إقامة عيد في مدينة نيناب

«تعالوا أيها الأصدقاء! لنذهب! لنذهب!
لنذهب! لنذهب!
هيا بنا، لنذهب إلى حانات نيناب!»

الإله نوموشدا[١] يحضر العيد مع زوجته وابنته

نوموشدا كان كذلك يحضر العيد
[وكانت حاضرة أيضاً] ابنته المفضلة آدنيجكيدو[٢]
وكذلك زوجته [...] نامرات[٣] الجميلة!

---

(١) (Numushda): إله مدينة نيناب.
(٢) (Adnigkidu): ابنة الإله نوموشدا.
(٣) (Namrat): اسم أكادي ومعناه «الساطعة».

وفي المدينة كانت تدوّي صنوج الشبه
الأربعة التي تهزّ المشاعر
وكانت كصدى لها تدقّ الطبول السبعة
الـ [. . .] «المحتفِل الديني» المكتسي بمئزرٍ فقط(؟)
كان يقدِّم [. . .] إلى نوموشدا في الهيكل (؟)
وفي معبد نيناب كان [. . .] له
وصل (مارتو) إلى نيناب حيث كان العيد
في أوجه، وملأته الدهشة!
وصل مندهشاً إلى نيناب
حيث كان العيد في أوجه!

مارتو يساهم في المباريات

وعندما ارتدى «المحتفل» لباسه (بنهاية الطقوس)
كان معبد نيناب يشهد (مباريات)
الملاكمة والمصارعة
وتوجه مارتو إلى الساحة الكبرى،
مسرعاً [للمشاركة في المباريات (؟)]
فتش عن [خصوم] أقوياء لمجابهتهم
وتحدّى [منافسين] ذوي بأس
توجه مارتو إذن مسرعاً إلى الساحة ـ الكبرى
واعتباراً من [. . .] تغلّب على [. . .]
ملأ الساحة ـ الكبيرة بالصدمات والمماسك:
بشكل جعل معه «المغلوبين» منشورين بكل مكان
في ساحة نيناب الكبرى.

إعجاب الإله نوموشدا ومكافأة مارتو

دُهش نوموشدا بمارتو
فقدم له الفضة، لكنه رفضها!
أهداه أحجاراً كريمة،
لكنه رفضها!

الأسطر (٨٠ ـ ١٣٣) يتخللها نقص كبير ويفهم مع ذلك مما تبقى أن مارتو طلب من نوموشدا يد ابنته الجميلة:

82 «فضتك وأحجارك الكريمة إلى أين
يمكنها إيصالي؟
كلاّ! إن ما أريد
هو الزواج من آدنيچكيدو ابنتك!»

نوموشدا يوافق

ويتضح ذلك فيما يلي:

103 «والآن! [أمنحك يد (؟)]
آدنيچكيدو ابنتي
(104 ـ 109) [. . . .]
110 نعم! أمنحك يد آدنيچكيدو

قد تكون الأسطر (١١١ ـ ١٢٦) مخصصة لإعداد ترتيبات الزواج ولكن مع الأسف، لا يمكن استثمار محتواها. وعندما يعود النص للوضوح، وقبل احتفال الزواج، تحاول إحدى صديقات العروس أن تثنيها عن رأيها لأن مارتو ليس من سكان المدن ولن يتمكن من النجاح في حياة مرفّهة.

127 في أحد الأيام، وقبل أن يعقد الزواج
[إحدى رفيقات آدنيچكيدو قالت لها]:
129 [؟] هو المترحل التائه وعدو الـ[. . .]

الذي [. . .] معابد الآلهة [. . .]:
يلبل [. . .]
يرتدي جلود الخراف (؟) [. . .]
يسكن تحت خيمة (معرّضة) للرياح والأمطار [. . .]
لا يقدم التضحيات(؟)
[يجول] بسلاحه في السهوب
حيث يستخرج الكمأة[1] لا يعرف
«طيّ الركبة» (؟):
يأكل اللحم نيئاً
يمضي حياته دون بيت
وعندما يموت لا يدفن حسب الطقوس!
كيف يمكنك يا صديقتي الزواج من مارتو؟
لكنّ آدينچكيدو ردت على رفيقتها الفتية:
«على الرغم من كل شيء سأتزوج مارتو!»
إسمعي! إسمعي! يا نيناب

(١) لا يزال بدو سورية والعراق حتى اليوم، يجمعون الكمأة لبيعها في أسواق المدن وقد حافظت الكمأة على اسمها الأكادي (كام ـ آتو).

(١ ـ ٢) ـ الإله إنليل: سيد الآلهة وسيد البلاد

١ ـ لم تغفل الفقرات السابقة دور الإلّه إنليل في كل ما ابتدعه من ضمن نصوص الكتابين الأول والثاني لمصلحة البشر ولخير البلاد.

فهو سيد مجمع الآلهة في سومر وحافظ على هذا الدور دون أن يتأثر بتبدل وتفوق أو أولوية عواصم البلاد وتزايد أو تضاؤل السلطات التي كان يتمتع بها آلهة وإلّهات حماية تلك العواصم. واستمر الاعتراف به سيّداً لمجمع آلهة سومر وآكاد حتى أزمنة متأخرة. فهو والد الإلّه نينورتا[١]، فلاح الآلهة قبل أن يصبح نينورتا في ما بعد بطل المعارك والانتصارات. وإنليل هو الذي أطلق الطوفان على الرغم من معارضة وحيل الإلّه أنكي[٢].

٢ ـ نفّر[٣] هي المدينة التي أقام فيها الإلّه إنليل معبده الإيكور[٤] أي بيت الجبل. وعلى هذا الأساس لقّب الإلّه إنليل «بالجبل الكبير». وتحت هذا العنوان نبدأ بتقديم نص يمجّد إنليل ويشيد بمآثره. وإلى العاصمة نفّر كان يتم توافد الآلهة لتقديم الولاء لإنليل.

٣ ـ ونقدم أيضاً، من ضمن هذه الفقرة المخصصة للإله إنليل، نصاً آخر يمجده سيداً للبلاد، له الفضل في إطلاق بداية الحضارة، رعاية وزراعة، وهو الذي يمسك

---

(١) (Ninurta) ومعناه سيد الأرض.

(٢) (Enki) إلّه الأبسو وهو محيط المياه العذبة الباطنية وسيد المعرفة والخلق ومهارة الصنع.

(٣) Nippur.

(٤) (Ekur).

بأمطار السماء ومياه الأرض، ينبت العشب ويجعل الشعير ينمو ليعمّ الرخاء والكثرة.

٤ ـ وتشتمل هذه الفقرة أيضاً، على نص ثالث يشير إلى عودة الزراعة بعد الطوفان، عندما دعا الإلّهان آنو وإنليل البشر إلى وجودهم وبعد «خروجهم من طينهم». وهذا النص الذي خُصِّص لعودة الزراعة والملكية لما بعد الطوفان، ولو أنه لا يمجد إنليل، فإنه يعود إلى بدء بناء الحضارة من جديد وهو نص خاص واستثنائي، نشير أثناء عرضه إلى الأسباب التي دعت إلى تأليفه.

٥ ـ والنصوص التي تشتمل عليها هذه الفقرة (١ ـ ٢) هي التالية:

النص رقم (٧٦) ـ إنليل «الجبل الكبير».

النص رقم (٧٧) ـ الأب إنليل، سيد جميع البلاد.

النص رقم (٧٨) ـ الزراعة بعد الطوفان، بمناسبة التأريخ للملوك مدينة لغش.

(٧٦) ـ إنليل «الجبل الكبير»

١ ـ لا بد من البدء بتمجيد الإلّه إنليل[١] سيد مجمع الآلهة في سومر، وهو الذي، كما يتضح ذلك من نشيد وصلنا عنه، كان له الفضل في إطلاق ما أسميناه بناء الحضارة في بلاد ما بين النهرين: من تربية المواشي والرعاية إلى الزراعة وبناء المدن وإقامة الملكية والسهر على حسن سيرها وإشادة مقامه الإيكور[٢] في نفر[٣]، وهو «بيت ـ الجبل» مقام إنليل «الجبل ـ الكبير».

٢ ـ ومن المفيد التذكير لهذه المناسبة بأن آن[٤] هو إلّه السماء، ومع أن اسمه يرد دوماً على رأس ثالوث الآلهة ـ العظام: آن ـ إنليل ـ أنكي، فإنه كان بمثابة إلّه «بعيد» وفق المفهوم «الميتي»، بينما كان إنليل وهو سيد الهواء، «أقرب» منه إلى البشر. ونحن نعلم أن لقبه هو (دور ـ آن ـ كي)[٥] ومعناه الرباط بين السماء والأرض. وهذا الدور بالنسبة للقرب من البشر يحتله فيما بعد وبشكل أكثر قرباً، الإلّه أنكي[٦] وهو إلّه الخلق والمعرفة ومهارة الصنع.

٣ ـ أما عن محتوى نشيد التمجيد، الموجه إلى الإلّه إنليل والذي نعرضه هنا، فقد تم التوصل إلى جمع مضمونه، من عدة لوحات وكِسر لوحات في عام ١٩٥٣ وأهمها الجزء

---

(١) (Enlil).
(٢) (Ekur).
(٣) (Nippur) إحدى أقدم العواصم السومرية.
(٤) (An).
(٥) (Dur-An-ki).
(٦) (Enki).

السفلي للوحة ذات أربعة أعمدة، كانت محفوظة في متحف اسطنبول، تمت ترجمتها بين عامي ١٩٥١ و١٩٥٢، وتم التعرف بعد ذلك على أن جزءاً علوياً من هذه اللوحة، لم يكن سوى ما نشر منذ عام ١٩١٩ عن محفوظات متحف جامعة فيلادلفيا. ومن حسن الحظ أيضاً، ففي عام ١٩٥٢ كشفت حفريات نفّر عن جزء ثالث يعود لتلك اللوحة بالذات وأمكن بذلك التعرف على التسلسل الإجمالي لهذا النص الذي كان يحتوي على ١٧٠ سطراً وهو لا يزال غير كامل ويتخلله التشويه. وفيما يلي المقاطع الأكثر وضوحاً من هذا النشيد، الذي أوردنا جزءاً منه في الكتاب الأول تحت الرقم (٦).

إنليل، ذو الأوامر البعيدة المدى،
ذو الكلمة المقدسة؛
الإلّه صاحب القرار الذي لا يتبدل
ومقرر المصائر إلى الأبد؛
هو الذي تجتاز البلاد عيناه الساهرتان،
والذي يتفحص نوره المشرق قلب البلاد كلها
إنليل الجالس في المدى تحت المنصة البيضاء
تحت المنصة الرائعة؛
هو الذي يحقق مقررات السلطة والسيادة والملكية؛
وهو الذي ينحني، برهبة، آلهة الأرض في حضرته
وأمامه يتذلّل آلهة السماء...،

المدينة[1]، يفرض مظهرها الخشية والوقار...
الكافر والشرير والظالم،
الـ....، والواشي،
المتعجرف وناقض الاتفاقات،
هؤلاء، يحول إنليل دون شرورهم في المدينة.

(١) المدينة المقصودة هي نفّر مدينة إنليل وفيها معبده.

هو الشبكة الكبيرة[1]...
لا تسمح للمنحرف وفاعل السوء الإفلات من عيناتها
نفّر - المقام حيث يسكن الأب، «الجبل - الكبير»[2]
منصة الكثرة، الإيكور[3] الذي يرتفع...
الجبل الشامخ، الموقع الشريف...،
أمير «الجبل الكبير»، الأب إنليل،
أقام مقره على منصة الإيكور، المعبد الرائع.
أيها المعبد، ذو القوانين الإلّهية، التي هي مثل
السماء لا يمكن قلبها،
وذو الطقوس المقدسة التي هي مثل
الأرض لا يمكن زعزعتها،
والذي قوانينه الإلّهية، تماثل قوانين العمق الإلّهية:
لا يمكن لأحد النظر إليها
و«قلبه»، كأنه مقام متعذر المنال،
مجهول مثل السمت...،
كلماته صلوات،
وعباراته ابتهالاتٌ...،
قيّمة، هي احتفالات طقوسه
وأعياده التي تسيل سمناً ولبناً
فائقة الوفرة،
ومخازنه تجلب البهجة والسعادة...!
يا بيت إنليل، يا جبل الخصب
أي إيكور، بيت اللازورد، المقر الشامخ،

---

(١) لقب الإلّه إنليل الذي هو الشبكة التي تحتجز الأشرار.
(٢) لقب إنليل.
(٣) (E.kur) بمعنى بيت الجبل وهومعبد إنليل في نفّر.

الذي يفرض الرهبة،
والذي احترامه وخشيته يلامسان السماء،
ويمتد ظلّه على جميع البلاد،
وعلوّه يبلغ حتى قلب السماء،
(البيت) حيث الأسياد والأمراء
يحملون هباتهم المقدسة وتقدماتهم،
ويأتون لتلاوة صلواتهم وأدعيتهم والتماساتهم.

أي إنليل، الراعي[1] الذي تنظر إليه بعين الرضا
والذي دعوتَه وأعليت شأنه في البلاد [...]
والذي يهزم البلاد الأجنبية في أي مكان يضع فيه رجله:
إنه من كل مكان (جلب) القرابين السائلة المهدّئة
وتقدمات الأضاحي المختارة من الغنائم الكثيرة،
هذا ما جلبه لك؛ وبين مختلف المخازن
وفي الباحات الرحبة، وزّع تقدماته.
إنه إنليل، الراعي الجليل، الدائم الحركة،
الذي من أجل الراعي، رئيس جميع الأحياء[1]
جعل ولادة الملكية،
ووضع التاج المقدس على رأس الملك [...]
في السماء، إنليل هو الأمير
وعلى الأرض هو الكبير؛
وبالنسبة للآنوناكي[2] إنه إلههم السامي.
وعندما بجلاله يقرر المصائر

(١) المقصود هو الملك.
(٢) (Anunnaku) مجموع آلهة السماء.

لا يجرؤ أي إلّه على النظر إليه
وإلى وزيره المجيد وحده، إلى نوسكو[1] كبير أمنائه
(يكشف) أوامره والكلمات الصادرة عن قلبه
إنه يكشفها له: ويبلغها إليه
مكلّفاً إياه، بتنفيذ أوامره الكونية
ويعهد إليه بجميع القواعد المقدسة
وجميع القوانين الإلّهية

بدون إنليل «الجبل الكبير»
لم يكن ممكناً بناء أية مدينة، وتأسيس أي مسكن؛
لم يكن ممكناً إقامة أية حظيرة ونصب أية زريبة؛
وأي ملك لم يكن لينصّب، وأي كاهن ـ كبير ليُعيّن
ولا أي كاهن ماه[2] ولا أية كبيرة ـ كاهنات
ليتمّ اختيارهم بواسطة عرّافة الأمعاء[3]:
ولم يكن بالإمكان أن يكون للعمال مراقبو
عملٍ ومناظرون [...]،
ولم تكن الأنهار لتجعل مياه فيضها الخيِّرة تطفح،
ولا أسماك البحر لتضع بيوضها في مناقع الأسل؛
وطيور السماء لم تكن لتبني أعشاشها
موزعة على الأرض الفسيحة
والغيوم الشاردة في السماء، المحملة بالأمطار
لم تكن لتُسقِط رطوبتها؛
والزروع والأعشاب، فخر الريف،

---

(١) (Nusku).
(٢) (mah) أو ماخ(؟) بمعنى سامي أي رئيس كبار الكهنة.
(٣) نوع من العرافة تعتمد على دراسة شكل تلافيف أمعاء الضحية قبل اتخاذ القرار.

لم تكن لتنبت؛
وفي الحقول والسهوب، لم تكن
الحبوب الغنية لتتمكن من الإزهار؛
والأشجار القائمة في الغابة الجبلية لم
تكن لتعطي ثمارها [. . .]!
ولا البقرات لتلد في الحظائر
وفي الزرائب لم تكن النعجات لتضع حملانها!
والبشرية، هذه الجموع العاجّة
لم تكن لتستمر على [. . .]!
الحيوانات الوحشية ورباعيات القوائم، لم تكن لتهتم
بتغذية صغارها،
بل حتى أنها لم تعد لتقبل التسافد فيما بينها!

ويضيف الشاعر في مكان آخر من الجزء الأخير من النشيد بدءاً من السطر ١٤٦، متحدثاً عن كلمة إنليل:

كلمة إنليل:

إن هي مسّت السماء: فهذا هو الفيض،
إذْ تنسكب من الأعالي الأمطار الغزيرة.
ولئن مست الأرض، فهذا هو الرخاء:
فمن الأسفل تطفح الثروات
كلمتك هي النباتات! كلمتك هي الحَبّ،
كلمتك هي الفيض: حياة البلاد جمعاء.

(٧٧) ـ الأب إنليل
سيد جميع البلاد

نقدم هنا نصاً آخر يمجد الإلّه إنليل تحت اسم «مولّيل»[١] وفقاً للتحريف الذي تفرضه لهجة الأناشيد الطقسية، كما أشرنا إلى ذلك لمناسبة عرض النص رقم (٦٨) من الكتاب الثاني المتعلق بأدب المراثي والمسرح الديني السومري. وتتضح من ضمن هذا النص أهمية دور إنليل بالنسبة للبلاد:

يا إلّهي، أنت تعرف مصير بلاد سومر، أنت البطل الفريد
مولّيل، أنت تعرف مصير بلاد سومر، أنت البطل الفريد
أيها الأب مولّيل، إلّه البلاد
أيها الأب مولّيل، صاحب الكلمة التي لا تتبدّل
أيها الأب مولّيل، أنت راعي ذوي الرؤوس السوداء[٢]
أيها الأب موليل، أنت الذي هو بعيدٌ نظره،
أيها الأب موليل، أنت الثور الوحشي الذي يحطم المصاعب[٣]
أنت الأب موليل، ذو النوم المتيقظ[٤]
أنت الثور الوحشي، الثور الذي لا يعرف الرهبة
أي موليل، أنت (سيد) التداول على الأرض الفسيحة،

---

(١) (Mullil) عوضاً عن إنليل (Enlil).
(٢) صفة سكان ما بين النهرين.
(٣) حرفياً: الحواجز أو الجدران.
(٤) حرفياً: النوم الخفيف.

وقرينتك يا إلَهي، هي تاجرة الأرض
أنت الإلّه الذي يجعل الأعياد تثمر ويكثر اللبن الدسم
مقامك (نيربو)[1] يا إلَهي يُصدر إلى المدن أوامره
وفراش نومك يعرف (اتخاذ) القرارات!
من جبل المشرق إلى جبل المغرب [. . .]
لا سيد في البلاد، أنت وحدك السيد،
أي موليل، لا سيد في أي بلد: أنت وحدك السيد!
مقدام أنت وبيدك أمطار السماء ومياه الأرض.
أي موليل، عصا الرعاية التي تقود الآلهة،
أنت تمسكها بيدك!
أيها الأب موليل، أنت تجعل العشب ينبت، وتجعل الشعير ينمو،
أي موليل، توهجك الرهيب يكوي السمك في البحر،
طيور السماء وأسماك البحر ترتجف أمامه.
أيها الأب موليل أنت جلبت [. . .] عالية،
يهزها البشر في سلال
أنت سيد بلاد سومر، جلبت لها السلاح البراق:
حيث من أجل أمد طويل، [. . . .]
أيها الأب موليل، أنت تجعل الرجل الكاذب
رجلاً صادقاً!

---

(١) (Nirbu).

(٧٨) ـ الزراعة بعد الطوفان
بمناسبة التأريخ لملوك مدينة لغش

١ ـ أرخ السومريون لمدنهم ولممالكهم وعددوا ما كان منها قائماً قبل الطوفان وبعده، وعددوا أسماء ملوكهم وفترات حكمهم التي تمت المغالاة في مددها كما هو الحال حين يختلط التاريخ بعالم الأسطورة وحين كانت كل مملكة تعتبر نفسها مركزاً للعالم المحيط بها وتجعل كل شيء يبدأ بها.

٢ ـ وإذا ما عدنا إلى الفترات التاريخية، للملكيات القديمة الثانية والثالثة في سومر[١]، وهي التي عرفت الكتابة التي ابتُدعت خلال الفترة الأولى أي ما بين ٣٠٠٠ ق.م. و٢٨٥٠ ق.م.، فإنّ الممالك التي قامت خلال تلك الفترات هي ممالك أوروك[٢] وكيش[٣] ولغش[٤] وأوما[٥]. ثم عودة إلى لغش وأور[٦] وإيسين[٧] بعد زوال فترة الحكم الأكادي لسرجون الكبير وخلفائه[٨]، وقبل دخول بابل[٩] أبواب التاريخ مع حمورابي.

---

(١) الملكية القديمة الثانية حوالي (٢٨٥٠ ـ ٢٥٠٠) ق.م. والفترة الثالثة (٢٥٠٠ ـ ٢٣٥٠) ق.م.

(٢) (Uruk) مدينة جلجامش تقع على بعد حوالي ٧٥ كلم من جنوب شرقي أريدو.

(٣) (Kish) تقع إلى الشمال الشرقي من بابل على مقربة منها.

(٤) (Lagash) تقع على حوالي ٢٠٠ كلم إلى الجنوب الشرقي من كيش.

(٥) (Umma) تقع على حوالي ٤٠ كلم إلى الشمال الغربي من لغش.

(٦) (Ur) مدينة ارتبط اسمها بإبراهيم الخليل وهي مدينة الإله القمر سين وتبعد حوالي ١٠ كلم عن أريدو.

(٧) (Isin) إلى الجنوب من نفّر على بعد حوالي ٢٥ كلم.

(٨) فترة (٢٣٤٠ ـ ٢١٥٠) ق.م

(٩) فترة (١٨٩٤ ـ ١٥٩٤) ق.م.

٣ ـ يتضح مما سبق أن مدينة لغش، كانت لمرحلتين، من بين الممالك السومرية التي لعبت دورها في تاريخ البلاد وعرفت ملوكاً كانت لهم شهرتهم مثال أور ـ نانشي[١] وإياناتوم[٢] وأوروكاجينا[٣] ومن ثم جوديا[٤] في فترة ملكية لغش الثانية، ومع ذلك فإن اللائحة الشهيرة التي وصلتنا عن ملوك سومر لما قبل الطوفان وبعده، أهملت ذكر مدينة لغش وملوكها ولم تعترف بهم.

وعلى هذا الأساس عمد بعض المفكرين والمثقفين، خلال الثلث الأول من الألف الثاني لما قبل الميلاد، إلى تقليد لائحة ملوك سومر جاعلين من لغش وملوكها المدينة التي استؤنفت انطلاقاً منها النشاطات البشرية لإعادة بناء ما دمَّرته السيول بعد الطوفان متوقفين عند الزراعة، أساس ثروة البلاد. وفي بداية تلك الأزمنة التاريخية التي تلت الطوفان نجد الإله نينجيرسو[٥] وليس إنليل[٦] هو الذي كان عليه وضع الفأس والمعزق والقفّة بيد البشر من أجل إطلاق الزراعة من جديد، وكذلك كان الأمر بالنسبة للشادوف الذي مكّن من استخراج الماء من الأنهار والاستعاضة عن مياه الأمطار لري المساحات الكبيرة.

٤ ـ صدر هذا النص عن «بيت اللوحات»[٧] الذي كان بمثابة أكاديمية ذلك الوقت وملتقى المثقفين والضالعين بفن التأليف والكتابة، وقد تم تأليفه خلال فترة (١٨٠٠ ـ ١٧٠٠) ق.م. وهو فريد من نوعه على هذا الأساس لأن مؤلفه أراد إعطاء مدينة لغش الأولوية في استئناف بناء كل شيء بعد الطوفان.

وهذا النص، محفوظ اليوم في المتحف البريطاني.

---

(١) (Ur-Nanshé) حكم حوالي ٢٥٠٠ ق.م.
(٢) (Eannatum) حكم حوالي ٢٤٧٠ ق.م.
(٣) (Uru-Kagina) حكم حوالي ٢٣٥٥ ق.م.
(٤) (Gudéa) حكم حوالي (٢١٤٤ ـ ٢١٢٤) ق.م.
(٥) (Ningirsu) هو اسم آخر لنينورتا حامي مدينة لغش وسيد مدينة جيرسو القريبة منها أو أحد أحيائها.
(٦) (Enlil) سيد مجمع الآلهة السومري.
(٧) انظر الملاحظة (٢) في نهاية النص.

العمود الأول

بعد الطوفان، لم تعد الزراعة مباشرة ولا الملكية

على الرغم من أن الطوفان كان قد جرف كل شيء،
ونشر الدمار على الأرض
فإن استمرار البشر بقي مؤمَّناً،
وذريتهم مصونة،
وكان بإمكان «ذوي الرؤوس السوداء» وقتئذٍ،
الخروج من جديد من طينهم
ولكن عندما، آنو[1] وإنليل[2]
دعيا من جديد البشر إلى وجودهم
وإذا ما كانا أسّسا أصول الحكم
والملكية، جوهرتي المدن،
فلم يكونا بعد عَمَدا إلى إنزالهما على الأرض!
ومن قبل نينجيرسو[3] فلا الفأس ولا المعزق،
ولا القفّة ولا المحراث التي من شأنها إحياء الأرض
لم تكن كذلك قد وضعت، بيد جمهور
الذين خلفوا البشرية البائدة.

البشر، يتناقص عددهم على الرغم من أعمارهم المديدة

في ذلك الوقت، كان البشر
يصلون إلى عمر مائة عام،

---

(١) (Anu) إله السماء.
(٢) (Enlil) إله الهواء والأمطار وسيد مجمع الآلهة في سومر.
(٣) (Ningirsu) هو اسم آخر لنينورتا وهنا بصفته سيد مدينة جيرسو وحامي مدينة لغش (Lagash).

وعندما كانوا يصلون إلى هذا العمر المتقدم
كان يتبقى لهم مائة عام أخرى!
إلاّ أنه بسبب عدم إنجازهم
الأعمال الضرورية
فإن عددهم كان يتناقص، ويتناقص كثيراً [...]
وفي الزرائب، بدأت الماشية
الصغيرة تنقرض!
ولما كانت لغش[1] ينقصها الماء آنذاك
فإن المجاعة انتشرت في جيرسو[2]:
لأنه لم تكن الأقنية قد حُفرت بعد
ومجاري الريّ لم يكن يتم تنظيفها
ولا الشادوف كان يروي الأرياف الفسيحة.
وحتى لو كان الماء متوافراً بكثرة، فلم
يكن يستخدم في ريّ الحقول
لأنّ البشر كانوا يعتمدون فقط
على مياه الأمطار!
و(أشنان)[3] الحبوب لم تكن إذنْ
تنتج الشعير - المبرقش:
لم تكن الأثلام قد شُقّت بعد
ولم تكن تعطي نتاجها
ولم تكن أي أرض قد شُغِلت

---

(١) (Lagash) عاصمة ملكية سومر الثانية (٢٢٠٠ ـ ٢١٠٠) وأشهر ملوكها هو جوديا (Goudéa).

(٢) (Girsu) تللو الحالية وتكاد تكون متصلة بمدينة لغش.

(٣) (Ashnan) إلّهة الحبوب، ورد ذكرها في كل من النصوص: رقم (٧) الكتاب الأول، ورقم (٤١) و(٥٤) من الكتاب الثاني.

لكي تعطي ثمارها!
ولم تكن المناطق ولا جمهور البشر
يقدمون للآلهة القرابين السائلة:
الجعة والخمر و[. . . .]
35 والخمر - الحلو و[. . . .]
وإنّهُ بغية توفير ذلك،
لم تكن الأرض المتسعة
تُشْغَلُ بالمحراث أبداً

(فقدان عشرة أسطر في نهاية العمود الأول).

العمود الثاني

العودة إلى الزراعة

48 الأقنية [. . . .]
الحقول [. . . .]
50 من أجل حفر الأقنية،
وتنظيف مجاري الريّ،
وإرواء الأرياف الفسيحة،
بالشادوف،
واستعمال الماء الغزير لإرواء
الحقول والمروج
56 وضع الآلهة تحت تصرف البشر
54 الفأس والمعزق والقفة والمحراث
55 التي تحيي الأرض!
ومنذ ذلك الحين بدأ البشر
بجعْلِ الشعير ينبت!

عند ذلك، وأمام أشنان[1] التي مازالت
فتية وحاضرة هنا، صبروا،
ليل نهار (صبروا)، والزمن اللازم
عليها سهروا!!
وعند ذلك، أمام أشنان[1] المنتجة
للشعير ـ الذي ـ يُبذر،
سجدوا قبل مباشرتهم العمل.
أمام أشنان، منتجة الشعير ـ الآخِرِيّ،
إنهم [.....]

(يلي نقص حوالى عشرين سطراً في نهاية العمود الثاني ومن المحتمل أن النص يتابع خبر نزول الملكية من السماء قبل المباشرة بتعداد أسماء الملوك الذين حكموا في مدينة لغش بعد ذلك مع تضخيم فترات حكمهم كما هو الحال في لائحة ملوك سومر التي أراد هذا النص تقليدها).

وهكذا يتابع النص تعداد ملوك لغش مع الإشارة أحياناً إلى الحدث المهم الذي رافق بعض الملكيات. مثال ما ورد في السطر (١٠٧) بالنسبة لأحد الملوك:

107 في زمنه، لم تكن هناك كتابة بعد [...]

وتتوقف لائحة الملوك مع چوديا[2]. ومما يجعل هذا النص فريداً من نوعه، هو ما ورد في نهاية العمود الرابع بحيث يشير السطر (٢٠٠) إلى أن هذه اللوحة:

200 تمّ تأليفها في «بيت ـ الكتابة»[3]،
المجد لك يا نيسابا[4]

---

(١) تسمية (Ashnan) تعبّر هنا في الوقت نفسه عن إلّهة الحبوب القادرة على إنتاج شعير البَذْر، وعن حبوب الشعير.

(٢) (Gudéa) حكم في لغش حوالى (٢١٤٤ ـ ٢١٢٤).

(٣) التعبير السومري هو (E.dub.ba) وهو يعني هنا «أكاديمية» المثقفين وتستعمل التسمية نفسها بالنسبة للمدارس تعليم الكتابة كما سيرد ذلك في الفقرة (٣ ـ ١) من هذا الكتاب حول مدارس سومر.

(٤) (Nisaba) أو نيدابا هي الإلّهة المشرفة على فنّ الكتابة.

(١ ـ ٢) ـ نينورتا المنتصر ودوره الحضاريّ

١ ـ ذكرنا في الفقرة الأولى من هذا الكتاب أن الإلّه نينورتا وهو ابن إنليل كان «فلاحاً للآلهة» قبل أن يصبح إلّهاً محارباً ومنتصراً. وقد أعلمنا النص رقم (٩) من الكتاب الأول أنه «الملك الذي أعلن إنليل عن اسمه»، وفي مملكته وبفضله، تتكاثر الماشية ويسيل في المجاري ماء منعش يروي الحقول حيث ينبت الحَبّ المكتنز وبفضله كانت الأسماك تمور في المستنقع وينمو القصب في الأهوار ويعلو في السهول شجر الطرفاء وتطفح البساتين المروية «حلاوةً وخمراً».

وهذه الصفات الحضارية التي جعلته يسهر على تربية الماشية، وبالريّ يخصب تربة البلاد، حافظ عليها نينورتا المحارب.

٢ ـ وعن شخصية هذا الإلّه، كما عرفنا عنها في الكتاب الثاني، فإن نينورتا المحارب، كما ورد ذلك في النص رقم (٦٢) يبني شهرته ويحقّق ببطولته وشجاعته، عودة الكون إلى توازنه الطبيعي، بعد أن أخلّ به الطائر الغريب «أنزو»[١]، يوم سرق من إنليل «لوحة الأقدار» وهي أساس السلطات وحسن سير الكون، وهرب بها إلى الجبل.

وبمجابهة نينورتا للطائر أنزو والانتصار عليه أنقذ جميع الآلهة، وأنقذ بشكل خاص حكم أبيه إنليل، فارتفع بذلك شأن نينورتا بين الآلهة وخُصِّصت له المعابد والهياكل في كل مكان.

---

(١) (Anzu) الطائر الأسطوري الذي انتصر عليه نينورتا.

٣ ـ والانتصار على الطائر أنزو ومعاقبته على خياناته، لم يكن المأثرة الوحيدة التي حققها نينورتا المحارب، فهناك نص آخر نقدّمه من ضمن هذه الفقرة يجمع بين نينورتا، بطل المهام الصعبة التي تتطلب الشجاعة والبأس، ونينورتا الذي يبتدع المحراث ويُقيم سدود تجميع مياه الريّ ويحقّق حماية المدن من الفيضانات ويجعل البساتين تملأ السفوح المدرّجة وذلك بعد إخضاع المنطقة الجبلية «المتمردة» التي يسكنها «شعب الحجارة».

٤ ـ وبالإضافة إلى الاهتمامات الحضارية أعلاه التي شغلت نينورتا في المنطقة الجبلية بعد إخضاعها، فإنّه يهتم بصخورها وأحجارها، العادية منها والكريمة، يبارك بعضها ويلعن بعضها الآخر، مقدّماً لنا عن «شعب الحجارة» هذا، تصنيفاً يكاد يكون علمياً حين يتطرّق لمواصفات هذه الأحجار ويقرر لها مصيرَ استعمالها. وهذا ما سيتضح من تفاصيل النص رقم (٧٩) الذي نقدّمه من ضمن هذه الفقرة، كما تستكمل عرضنا لشخصية نينورتا بهذه المناسبة.

٥ ـ نينورتا بن إنليل، يرتبط بشكل طبيعي بمدينة نفّر، مقر أبيه، ويعود إليها بعد الانتصار ليتلقى التكريم والتمجيد، وفقاً لما تستحق بطولته. ولكنّه في النص رقم (٧٩) المشار إليه أعلاه يعود إلى نفّر مستقلاً سفينته ومارّاً قبل ذلك بمدينة لغش[١] حيث يحكم «الملك» الذي يُعتقد بأنه جوديا[٢]، الملك الذي من أجله أقدم نينورتا على تنفيذ مشروعاته في المنطقة الجبلية لكي «تنعم أطراف الأرض» التي تقع تحت حكم تلك البلاد «بأفضال الإلّه نينورتا».

٦ ـ ونحن نعلم أن ملكية لغش الثانية، أطلقت على نينورتا لقب نينجيرسو[٣] وكرّمته إلى جانب قرينته باوا[٤] وشقيقته الإلّهة الشهيرة أور ـ نانشي[٥]. كما اشتهرت أيضاً في مدينة لغش الإلّهة نيسابا[٦] وقامت هي أيضاً إلى جانب أور ـ نانشي بدورها

---

(١) (Lagash) المدينة السومرية التي اشتهرت خلال ملكيتها الثانية حوالى (٢٢٠٠ ـ ٢١٠٠) ق.م. وهي تقع بالقرب من مدينة جيرسو (تللو الحالية).

(٢) (Gudéa) حكم في لغش خلال (٢١٤٤ ـ ٢١٢٤) ق.م. وهو أشهر ملوكها.

(٣) (Ningirsu) اسم آخر لنينورتا بوصفه سيد مدينة جيرسو التابعة لمملكة لغش.

(٤) (Bawa) قرينة نينورتا في لغش.

(٥) (Ur-Nanshé) الإلّهة المشرّعة في لغش والتي تسهر على صون حقوق اليتيم والأرملة.

(٦) (Nisaba) معروفة كإلّهة للكتابة وتشير نصوص لغش إلى قوانين نيسابا.

الحضاري والتشريعي. ونيسابا، هي التي يكلفها نينورتا بعد انتصاره على الجبل بالإشراف على ما حقّقه من مشروعات.

٧ ـ ومن ضمن هذه الفقرة أيضاً عن نينورتا المنتصر، تقدم نصاً ثانياً لا يقل شهرة عن نص إخضاع «شعب الحجارة» مع أنه لا يصف لنا أيّة معركة ولكنه يشير إلى عودة نينورتا المظفّرة إلى مدينة نفّر دون المرور في لغش، غير أنه يعود في هذه المرة على عربته محمّلاً بالغنائم وجاراً معه الأسرى والتقدمات تكريماً للآلهة التي حققت له النصر.

وهكذا فإننا نترك للنصين التاليين:

النص رقم (٧٩) ـ نينورتا يُخضِعُ شعب الحجارة.

والنص رقم (٨٠) ـ عودة نينورتا إلى نفّر،

أن يعرّفانا بشخصية الإلّه نينورتا ومآثره الحربية والحضارية.

(٧٩) ـ نينورتا يُخضعُ

«شعب الحجارة»

١ ـ في هذا النص، يَصْدُرُ الإله المنتصر نينورتا، مباشرة عن الأزمنة الميتيّة (الميثولوجية)، عندما كانت الصخور والجبال تمثل أشخاصاً محاربين يجب إخضاعهم. سلاحه هو «شارور»[١] كما يسمّيه النص وهو سلاح سحريّ، يتكلم مع سيّده، يراقب أرض المعركة، يحذّر وينصح. ومعنى شارور هو «حاصد الآلاف». والمعركة التي يخوضها نينورتا وقعت في المنطقة الجبلية «المتمردة» في الشرق وفي الشمال الشرقي من البلاد.

يُعتقد أن التأليف بصدد نينورتا، يعود إلى الفترة المعاصرة لجوديا ملك لغش. إلاّ أن النصوص التي سنعرضها هنا، تحملها لوحات وأجزاء لوحات عديدة، تعود في أبعد حدّ إلى الثلث الأول من الألف الثاني لما قبل الميلاد أي حوالى ١٧٠٠ ق.م.، وجدير بالذكر أن ثلثي الأجزاء المكتشفة وعددها مائتان، تحمل نصوصاً سومرية، ويضيف إليها الثلث الباقي، تكملات، هي ترجمات إلى الأكادية عن أصولها السومرية. ونحن نعلم أن شهرة نينورتا وشعبيته وأهمية منجزاته جعلت الكتابات بصدده تستمر حتى الفترة السلوقية.

٢ ـ القصيدة الملحمية التي نحن بصددها، تتوزّع على سِتّ عشرة لوحة، وتحمل نصاً صافياً، غنياً بمعانيه، ويمتاز بأسلوبه الخيالي والرؤيوي، ويروي من خلال ٧٢٩

---

(١) (Sharur) سلاح نينورتا السحري.

سطراً، قصة ثورةٍ جبلية وإخمادها من قبل نينورتا، وما نتج بعد ذلك عن النصر، من تعيين للأقدار وتوزيع للمصائر. المنطقة الثائرة، هي المنطقة الجبلية، التي يسكنها الرجال ـ الأحجار، شعب الأحجار وكافة أنواع الصخور، التي كانت تحتاج إليها بلاد ما بين النهر، الأحجار العادية والأحجار الكريمة. ولا غرابة في ذلك، في بلد الطمي والصلصال والقار.

العدو الرئيسي الداعي للتمرد، «يكاد يكون إلّهاً»، كما يقول عنه النص هو أساكو[1] الرهيب والمرعب، زعيم ثورة الجبل وثورة الحجارة.

٣ ـ في بداية النص، نرى نينورتا، مع آلهة آخرين، يمارس دوره الإلّهي في الإيكور[2] معبد أبيه إنليل[3] وذلك في مدينة نفر[4] على ما يظهر.

تأتي بعد ذلك، أخبار العصيان، ينقلها شارور ـ السلاح الحامي لنينورتا ـ العصيان في المنطقة الجبلية، «الجبل»، الذي يحرّكه عنف ومكر العدو الرهيب، الأساكو، ضد ما بين النهرين، ضد البلاد.

وعلى الرغم من إسراع نينورتا إلى توجيه ضرباته إلى جزءٍ من المنطقة الجبلية، فإن التمرد بقي مستمراً. ولذلك يقرر نينورتا صرع الأساكو بالذات، العدو الماكر والرهيب، مما جعل شارور، السلاح الحامي، ينصح سيّده بعدم الإقدام على هذه المعركة، خوفاً عليه، وجعل الآلهة ترتجف خوفاً حين لم يبدّل نينورتا رأيه وحين توجه للقاء عدوّه الذي شنّ عليه هجوماً ضارياً، حتى أن إنليل شخصياً تملكته الخشية على نينورتا.

وبسبب هذا الهجوم، قَدِمَ شارور إلى إنليل وروى عليه خطر المعركة، طالباً مساعدته، مما حدا بإنليل إلى استخدام العاصفة ضد أعداء نينورتا، بوضعها تحت تصرفه، وتوجيه رسالة تشجيع وتفاؤل إلى ابنه بواسطة السلاح شارور.

٤ ـ يشنّ نينورتا عندئذٍ، هجوماً أخيراً ينتهي بالتحام جسدي، بين البطل وعدوه

---

(١) (Asakku) نوع من الوحش العملاق الذي ولدته الأرض حين أخصبتها السماء وهو بدوره ولّد باتحاده مع الجبل اتباعه من مختلف الصخور.

(٢) (E.kur) بيت الجبل وهو معبد إنليل في نفّر.

(٣) و(٤) (Enlil) و(Nippur) وردتا في الشروح السابقة.

ينتصر فيه نينورتا ويحوّل آساكّو إلى حجارة وتصبح تسميته الجديدة «زالاقو»[1] وهنا بمعنى منجم استخراج حجارة متسع وعميق، يمتد عمقه حتى مملكة العالم السفلي. ثم يكرّم نينورتا سلاحه ويباركه ويباشر بعد ذلك، مجموعة مهمّة من الأعمال المائية، تتعلق ببناء السدود وحجز مياه الجبال الناتجة عن ذوبان الثلوج، كما يهتم بأعمال الريّ والزراعة. . .

٥ ـ ولأنه رفض أن تتبعه أمه نينماخ[2] إلى المنطقة الجبلية، فأغضبها، ولأنه حين عاد منتصراً ومرّ أمامها معتزاً بنصره، لم يوجّه إليها نَظْرَةً، مما اعتبرته إهانة لها، بسبب كل ذلك، فإن الملكة ـ الأم نينماخ، ذهبت لرؤية نينورتا، قاصدةً أن تواجهه بإساءاته. ولكن نينورتا، يستقبل السيدة النبيلة بكل احترام وحفاوة، ويعلن لها: لأنها أرادت الالتحاق به حتّى إلى المنطقة الثائرة، في وسط أهوال وفظاعات الحرب، إلى ذلك الركام من المقاتلين الحجارة الذين أطاح بهم وكدّسهم. فأصبح بذلك اسم المنطقة الثائرة «خورساج»[3] ولهذا فقد قرر نينورتا أن يتحول اسم نين ـ ماخ إلى «نين ـ خورساج»[4] كما يقرر أن تنتج الجبال في مدارجها وفي بساتينها، الأعشاب العطرية والتابلية والثمار من أجل نيخورساج، وأن تُستخرج منها معادن النحاس والقصدير وأن تُقدّم الجزية، ويتكاثر فيها الدواب من أجل الملكة ـ الأم التي تعادل آن[5] سمواً.

٦ ـ تتدخّل بعد ذلك الإلّهة آرورو[6] أخت إنليل، وتطلب من نينورتا تقرير مصير الشعب الحجري الذي تغلّب عليه، وهنا يستعرض النص عدداً كبيراً من الأحجار محدداً لكل منها دوره ومرتبته. ومن بين ما يشمله هذا التعداد: حجر «أو»[7] والأحجار البركانية، والديوريت، والشاذنج (حجر الدم) والحجر الكلسي الأبيض،

---

(١) (Zalaqu)، عربياً: الأرض الزَّلَقُ هي الأرض الملساء ليس فيها شيء، والزَّلقة هي الصخرة الملساء. ونرى هنا، كأنّ الانتصار على الأساكّو، الجبل الصخري، كان يعني الحق باستخراج الحجارة منه وفتح المقالع.

(٢) (Nin-mah) والدة نينورتا ومعناه السيدة الفائقة السمو.

(٣) (Hur-Zag) التسمية السومرية للجبل وهي موازية لتسمية (Kur) كور.

(٤) (Ninhursag) بمعنى سيدة الجبل.

(٥) (An) إله السماء السومري.

(٦) (Aruru) إلّهة ـ أم، أخت إنليل وقد شهدنا لها دوراً في «زواج إنليل من سود» النص رقم (٣) من الكتاب الأول.

(٧) الحجر (U) يشير النص إلى صلابته واستعماله.

والمرمر، والعقيق، والعنبر والصّوان وأحجار كثيرة أخرى...

وبعد هذا الاستعراض الطويل الذي يستغرق حوالى ثلث مجموع النص والذي يعاقب بموجبه نينورتا الأحجار التي حاربته ويقرر مصيراً نبيلاً للأحجار التي حافظت على ولائها له.

٧ ـ ينتقل النص بعد ذلك إلى مشهد ذهاب نينورتا على ظهر سفينته لزيارة معبده في لغش، ترافقه قرينته «باوا»[١] ويشتمل النص على ذكر لملك دون تسميته، وقد يكون چوديا ملك لغش المعروف. يبارك، بعد ذلك إنليل ابنه نينورتا ويتم ذلك في لغش أو في نفّر. وينصّب إنليل نينورتا سيداً على المنطقة التي وسّعت «البلاد» بفضل نصره.

٨ ـ وهنا يأتي دور الإلّهة نيسابا[٢]، المرأة المقدسة، الجزيلة الحكمة والسامية أينما حلّت. فإلى الإلّهة نيسابا، يعهد نينورتا إدارة كل ما صنع وكل ما أدخل لخير البلاد. وتحتوي نهاية النص على تمجيد جيل لشخص الإلّهة نيسابا، التي كانت في الوقت نفسه حامية الحبوب وسيّدة فنّ الكتابة.

٩ ـ أما ختام النص، فيعود باقتضاب، لنينورتا، سند أبيه إنليل مشيداً بعذوبة الاحتفال به وتكريم اسمه. وتعلن الجملة الختامية: «هذا نشيد شير ـ سود[٣] تمجيداً لنينورتا». ومنذ زمن تأليفه وإعادة نسخة ونقله إلى الأكادية، كان هذا النشيد يُعرف بمطلعه المختصر: «لوچال. إي» ومعنى كامل المطلع هو: «نور ساطعٌ وبهيّ! ملكٌ هو!».

اللوحة الأولى

التقديم بمديح نينورتا بطل القصيدة الملحمية

١ ملك هو! نور ساطع وبهيّ!

نينورتا! الأول، ذو العزم الذي لا يُضاهى!

أنت وحدك، طوّعت الجبل!

---

(١) (Bawa) قرينة نينورتا التي تألّقها مثل النهار.

(٢) (Nisaba) معروفة كإلّهة الكتابة وتشير نصوص لغش إلى القوانين السومرية بأنها قوانين نيسابا.

(٣) (Shir-Sud) نغم موسيقي على الأرجح وقد يكون وزناً شعرياً.

أنت الجائحة! التنين العنيد
تنقضّ على المنطقة الثائرة!
أيّها البطل الجاهز دوماً للهجوم بعزم!
أيها الإلّه ذو الساعد القوي
القادر على إشهار السلاح القاتل،
السلاح الذي يحصد كالسنابل رؤوس المتمردين!
أي نينورتا! أيها الملك! الابن الذي يُسْعِدُ
بهيبته قَلْبَ أبيه!
أنت البطل الذي لفّ الجبل كريح الجنوب!
نينورتا المتوّج بقوس ـ قزح والذي
تبرق عيناه!
إنّه وليد الأمير ذي اللحية الزرقاء
الغزيرة التقاصيب!
إنه كالأسد قوّة وكالثعبان يلدغ بلسانه
وكالإعصار المتفجر!
نينورتا! السيد الذي نصّبه إنليل بنفسه
عالياً جداً!
أنت البطل الذي ألقى على أعدائه
شباك المعركة!
نينورتا! ظلّك الرهيب ينتشر
على البلاد،
أنت الذي جعلت المنطقة المتمردة تغرق
في الظلام، وطوّقت جيوشها!
ياذا السيادة، يا نينورتا! أنت الابن الذي ينشر
بعيداً عبادة أبيه!

أخبار ثورة الجبل يحملها شارور سلاح نينورتا السحري

عندما كان نينورتا في ذلك اليوم
جالساً على عرشه السامي، ينبعث
منه نور خارق للطبيعة،
حيث كان يشهد بارتياح وبهجة
احتفالاً على شرفه،
وحيث كان مع آن يتنافس على
تجرّع الشراب اللذيذ!
بينما كانت «باوا»[1] تتمتم باحترام
صلواتها من أجل الملك
وبينما كان يستعدّ ابن إنليل لتقرير المصائر،
هذا هو شارور[2] بعد أن رفع بنظره
إلى الأعلى نحو الجبل
هذا هو سلاح نينورتا السحري
يصيح متوجهاً نحوه:
«أيها الإلّه، صاحب المركز الأسمى بين
جميع الملوك!
أي نينورتا ياذا الكلمة الثابتة التي لا تتبدّل،
والقرارات التي لا تتقادم.
أي مليكي! عندما قامت السماء بتلقيح
الأرض المخضوضرة
ولدت هذه «الآساكو»، المحاربَ الشرس الجلف،
دونما حاجة لمرضعةٍ (إضافية)،

---

(١) (Bawa) قرينة نينورتا في مدينة لغش.

(٢) (Sharur) سلاح نينورتا السحري، الذي حوله الخيال الأسطوري إلى إنسان محارب بيد نينورتا وتحت أوامره وحامياً له.

رضعَ حليب أمه الأرض المقوّي.
لم يقم أي أب على تربيته!
إنه هو بذاته مجرم الجبل:
إنه الملتحي الجسور، ذو الوجه العدواني
الذكر المتعجرف، المعتزّ بعرض منكبيه
ولكنّي أنا، أيها البطل وكأنني الثور
سأكون حليفاً لك!

شارور يندد بشعب أحجار الجبل

يا مليكي، أنت الحليم في مدينتك
والأكثر براعة في نظر أمك،
إعلم أن الآساكو باقترانه مع الجبل
أنجب ذرية من الحجارة وافرة العدد
وبالإجماع، نادوا بالحجر «أو»[١]
ملكاً عليهم
(الحجر) الذي كان يشهر عالياً بينهم
قرنيه كأنه ثور عملاق!
إنه «المرمر» الحجر المحبّ للحرب، يا نينورتا،
هو الذي بدأ بتخريب مدن الجبل
وذلك بالاتفاق مع «سو»[٢] و«ساج - كال»[٣]
والديوريت [. . .] والشاذنج، حجر الدم!
وهذه المدن هدّدها الآساكو بأنيابه

(١) الحجر (U).
(٢) الحجر (Su).
(٣) الحجر (Sag-Kal).
(١) و(٢) و(٣) أسماء أحجار نثبتها هنا كما وردت في النص.

أنياب القرش، في الجبل الذي خرقه،
بينما كانت آلهتها الكثيرة العدد تخضع له،
(تخضع) أمام هيمنته!
وتلقائياً ودون أي تردد
نَصَب لنفسه عرشاً فيها
حتى أنّه ادّعى الفصل مثلك، بسمو
وسيادة، في قضايا البلاد
دون أن يجرؤ أحد على المناوأة أمام بريقه
الخارق للطبيعة!
ودون أن يتمكن أحد من معارضةِ جرائمه الشنعاء:
لأنهم، جميعهم، أمام رهبته
كانوا يرتجفون رعباً!

اللوحة الثانية

وحين أدار هذا الآساكّو نظره نحو الجبل،
خصّص له الهدايا وأمر بحملها إليه بقصد استمالته:
وبسبب ذكرى والدك، فإليك
أنت يا نينورتا وجّه (الجبل) نداءه!
ومن أجل فعاليتك التي لا تضاهى، سعى إليك:
طلب معونتك لأنك كلّي القدرة
معلناً أنه نسْبةً إليك
لا اعتبار لأي بطل!
ولكن بعد الكثير من النزاعات الداخلية
غُلب (الجبل) على أمره
وقام (الآساكّو) بالتآمر معه
للاعتداء على سيادتك

كما قرر أن يدّعي لنفسه السلطات
التي حصلت عليها في الأبسو![1]
وجهه، كان ينشر الرعب في كلّ
مكانٍ يحلّ فيه
ولم يتوقف في كل يوم عن ضمّ مناطق جديدة!
ومع ذلك، عليك أنت في نهاية الأمر
أن تفرض عليه الخضوع للآلهة،
أيّها العنز السماوي، أنت مَنْ تطأ الجبل بحافرك:
إذْ لا أحدٌ قطّ يمكنه مقاومة
نينورتا، ابن إنليل!
إلا أنّ الآساكّو، الهائج والمقتدر
لم يكن يخضع لأية مراقبة:
لم تكن هناك سوى أخبار جيوشه
حتى قبل مشاهدة جنوده!
هائلة كانت قواه:
ولا سلاح كان يستطيع زعزعته!
لا المصدمة ولا السهام التي لا تُقاوم
لا تترك عليه أثراً
أنتَ لم تقاتل قطّ
خصماً أكثر عدوانية منه!

شارور يبدي تخوّفه

أيّها الإلّه الذي تلقّى بملْء يديه
السلطات الرفيعة،

---

(١) (Apsou) مقر أنكي إلّه المعرفة ومهارة الصنع وهوعيط المياه الباطنية التي تطفو عليه الأرض.

يا بهاء الآلهة وجوهرتهم،
الثور المبني كالأزخص
ذي الصلب المتين والكثير الذكاء
يا نينورتايَ، الذي كان أنكي بنفسه
ينظر باعجاب الى قامتك
ماذا علينا أن نعمل يا إلهي «الأوتا ـ أولو»[١]
يا ابن إنليل؟

ردّ فعل نينورتا ومعركته الأولى ضد ثورة الجبل

عند ذلك، أطلق الإله صرخة،
اهتزّت لها أسس السماء
والأرض تكبكبت على قدميه،
حتى أن إنليل بذاته، تملكه الخوف وهجر
الإيكور[٢] مضطرباً
حتى أن الجبل تشقّق والسماء أظلمت
وارتجف الأنونّا!
ضرب (نينورتا) بقبضته على فخذه
وإذا بالآلهة يلوذون بالفرار:
كمثل الخراف، تشتّت الأنونّا بعيداً!
واقفاً، لامس نينورتا السماء
وعندما توجّه نحو المعركة
كانت كل خطوةٍ من خطواته، تبلغ خمسين فرسخاً!
وحين مشى نحو المنطقة العاصية

(١) (Utu-Ulu) الصفة السومرية لنينورتا ومعناها «العاصف» ووردت أيضاً بصيغة أوتو ـ أولو (Utu-Ulu) في السطر ٦٨٣.
(٢) (E.Kur) بمعنى بيت الجبل وهو معبد إنليل في مدينة نفر.

كالعاصفة المكتسِحة
رَكِبَ الرياح الثماني!
أمسك بيديه السيف،
وسلاحه الفتّاك
كان يهدِّد الجبل بفمه الفاغر
بينما كانت هراوته تجابه أعداءه!
وعندما قَبَض على الإعصار والعاصفة
كلّفهما (بإحداث) الجائحة!
وتلك كانت بضخامتها التي لا تقاوم
تستفحل في مقدّمة البطل!
تحرّك غبار الأرض وتعيده إليها
كانت تملأ التجاويف وتسوّي كل شيء،
كانت تمطر جمراً وتلهب البرق
لتلتهم البشر بكل نار
كانت تقتلع أعلى الجذوع وتكتسح الغابات.
والأرض كانت تبقر أحشاءها
وتطلق صراخاً حاداً،
ونهر دجلة كان يدوّم هائجاً
موحِلاً ونتناً!

اللوحة الثالثة

عند ذلك، وعلى سفينته «ماكار نونتا - إي»[١]
بلغ نينورتا مسرعاً أرض المعركة
وكان الناس في ذعرهم يصطدمون بالجدران

---

(١) (Makarnuntaë) تسمية سفينة نينورتا.

ومهما كانت الطيور تحاول الاندفاع،
فإن أجنحتها كانت تنجرّ على الأرض،
والأسماك إذْ أحرقتها حرارة غمرها
كانت تتلقّف الهواء بأفواهها.
وتحوّلت دواب السهوب إلى حَطَب للمحرق،
وتحمّصت كأنّها الجراد.
كان ذلك كفيضٍ مكتسحٍ
بيد الجبل!
في تلك المنطقة الثائرة، كان نينورتا
مُجليّاً (في ردّه):
قتل رُسُلَها ودمّر مدنها
قضى على رعاة أبقارها مثل فراشات تتطاير،
أوثق أيدي الثائرين كما تُعْصَب حزم الأسَلْ،
إلى حدّ جعلهم مرعوبين يصدمون
بالجدران رؤوسهم!
لم يعد هناك في الجبل أي بصيص نور:
حيث كانت الأعناق تشرئبّ والناس يلهثون
وكان المريضون يشدّون بسواعدهم على صدورهم
وهم يلعنون بلدهم،
ويعلنون يوم نحسٍ، اليوم
الذي رأى ولادة الأساكو!
سكب الإلّه السمَّ على المنطقة الثائرة:
فيما كانت السوداء والغضب يطغيانِ على قلبه!
ارْتَفَعَ كالموجة الهائلة
وانقضّ على أعدائه المجمّعين!

وهكذا لبّى (نينورتا) طلب سلاحه
ذي - رأس الأسد

شارور يراقب الجبل من جديد ويبلّغ سيده

عند ذلك حلّق شارور كأنه
طائر، وحطّ على الجبل.
نَشَر جناحيه فغطّى المتمردين،
حوّم في السماء فوق كل مكان
لتفحّص الوضع.
شارور الذي لا يعرف الكلل، هذا المهيّجُ
للجائحة دونما هوادة،
نقل إليه الأخبار.
ما الذي نقله إذن إلى نينورتا
عن الوضع فوق الجبل؟
أعاد على مَسامِعِه كلمة بكلمة
قرارت سكان الجبل
وكشَفَ لسيده عن نواياهم
وشرح له بكل وضوح،
ما قيل له بخصوص الآساكّو:
قال له بكل إلحاح «أيها المحارب خذ حذرك»،
فيما كان يحضنه بين ذراعيه(؟) لأنّه كان يحبّه،
هذا ما قاله شارور السلاح - السحري
إلى الإله نينورتا:
«أيها البطل، يا سيد الأربطة وشِباك القتال
يا سيد السلاح السماوي، دون منازع
السلاح الذي لا يمكن للعدو تحاشي صدامه

أنت الزوبعة المكتسحة التي تمسح المنطقة المتمردة
وتغمر حصادها
أرَدْتَ دخول المعركة، فهزمت أكثر من واحد(؟)!
جَمِع الجثث(؟) بشبكتك واجعلْ منها[. . .]
ثم طهّر سيفك وهراوتك أيها الإلّه
السماوي المنتصر (لأعدائك)
فهذه هي يا نينورتا، لائحة المحاربين
الذين أطحت بهم:
الكولي ـ أنّا[١] والتنين والجصّ(؟)
والنحاس ـ المقاوم والمرتزق، والأُروية ـ
ذات ـ الرؤوس ـ الستة،
والماجيلوم[٢]، والسيد سامان ـ آنّا[٣]
والثور الوحشي والملك ـ النخلة،
والأنزو[٤] والحية ـ ذات الرؤوس السبعة ـ
هؤلاء جميعهم أنت في الجبل تغلبت
عليهم يا نينورتا!
ولكن عليك ألاّ تُنجزَ لمجابهة الأساكو
في معركة هي بدورها أهمّ بكثير:

(١) (Kuli-anna).
(٢) (Magilum).
(٣) (Saman-anna).
(٤) (Anzu): الطائر الغريب الشكل الذي انتصر عليه نينورتا، راجع النص رقم (٦٣) من الكتاب الثاني.

اللوحة الرابعة

شارور يحاول إقناع نينورتا بعدم خوض المعركة ضد الآساكو

توقف عن مقارعة السيف، لا تشترك
في «عيد ـ الرجال» في رقصة إنانا!
لا تتسرع في خوض معركة ضخمة كهذه:
توقف عن القتال!
لأن الآساكو، كان بالفعل
ينتظر على الجبل!

أيها البطل المتوّج بشكل رائع!
يا بكرَ إنليل الذي منحته ننليل نِعماً لا تنتهي،
أيّها السيد الحقيقي
سليل الحَبْر الأعظم والكاهنة ـ الكبرى!
البطل ذو القرنين المبسوطين كقرني هلال
أنت الذي تضمن حياةً مديدة لِسيّد البلاد

أنت الذي، بسبب قدرتك الفائقة والخارقة
للطبيعة، تفتح بوابات السماء!
أنت المدّ العالي الذي يغمر الأرض!
نينورتا، أيها الإلّه الرهيب الذي
انقضّ على الجبل،
أيها البطل الجليل الذي لا مثيل له،
هل بإمكانك عندئذٍ أن تتحمل صدمة الآساكو؟

لا! لا توجّه يا نينورتا
جيوشك نحو الجبل!

نينورتا يرفض التحذير ويقرر خوض المعركة

ولكن نينورتا البطل، ابن أبيه وفخره
الجزيل - الحكمة، وليد الفكرة السامية
الإله نينورتا، ابن إنليل، المتفوق
ذكاءً، الإله النافذ البصيرة(؟)،
رفع ساقه وامتطى حصانه الأخذريّ
والتحق بجيوشه
فنشر على الجبل ظلاً لا حدّ له
وصدّ السكان جعل [. . .] ترتفع
وحين بلغ الحدود [. . .]
وعلى رأي محاربيه (؟) اجتاز المنطقة المتمردة
ثم أصدر أمره لسيفه
فجاء هذا من تلقاء نفسه
ليستقر على جنبه
ثم أمر هراوته، التي انزلقت تحت زناره
وبعد ذلك، وبعنفوان، أخذ طريقه
[نحو] أرض المعركة، فجمّد
رعباً السماء والأرض.
أعدّ الرمح والترس
فانهار الجبل واندكّ
أمام ثقل جيوش نينورتا الجاهزة للحرب!
وعندما وضع البطل هراوته في مكانها(؟)
غادرت الشمس موضعها وانسحب القمر،
عمّ السواد وصار اليوم مظلماً كالقار،
فيما كان (نينورتا) يتقدم نحو الجبل.

هجوم الآساكّو

عند ذلك، وعلى جبهة القتال
اندفع الآساكّو ضدّه
جاراً إليه السماء ليستخدمها
ككتلة سلاح!
كان يزحف على الأرض وكأنه ثعبان،
ثمّ مثل كلب مسعور، كان ينقضّ،
يتقطر العرق من جانبيه.
ومثل جدار يتهاوى، سقط على نينورتا
مطلقاً صراخاً أجشّ،
كما هو الحال في يوم العقاب!
ومثل أصَلَةٍ كان فحيحه يملأ الأرجاء!
جعل مياه الجبل تشحّ
واقتلع منه نبات الطرّفاء،
ثم مزّق جسد الأرض
وغطّاه بجروح وحشية
أشعل النار في المقاصب، وإذا بالسماء
يغطيها الدم
اخترق بسهامه الأجساد وشتّت السكان:
ولم يعد يملأ الحقول غير الرماد الأسود
واحمرّ الأفق مثل الأرجوان.

اللوحة الخامسة

الآلهة يتملكها الرعب

ومن شدّة خوفه قعد آنو القرفصاء

ممسكاً بطنه بيديه
وانزوى إنليل مرتجفاً في إحدى الزوايا
والأنونّا كانوا يزدحمون ملتصقين بالجدران
بينما كان المعبد بكامله ينوح
مذعوراً مثل يمامة
وبدأ إنليل الجبل ـ الكبير، يصرخ
متوجهاً إلى ننليل:
«من إذن يا قرينتي سوف يكون سندي
إذا لم يعد إليّ ولدي؟
الإله نينورتا فخر الإيكور
القيد النبيل المفروض (على الأعداء)
من قِبَلِ أبيه،
شجرة الأرز التي جذورها في الأبسو
والتي تحمل أغصانها الظلّ متسعاً،
إبني، وسندي وعزائي، إذا ما اختفى،
فمن الذي سوف يأخذ بيدي؟
لأن شارور، السلاح الأمين
والطيّع لإلّهه وسيّده،
كان قد قدم إلى نفّر ونقل إلى إنليل
واقع الخطر الذي كان يتعرّض إليه نينورتا:
إنها لزوبعة غاضبة في الجبل، وكنسيج
سوف تلف ابن إنليل، ومثل شجرة
سوف تهزّه
[الآساكّو؟...] سوف يلويه والإله [...]
[وكذلك] توجّه شارور [بهذه الكلمات] إلى إنليل:
[أي إنليل الجليل...]، الآساكّو [...]

فقدان 13(؟) سطراً

[وأجابه إنليل. . .]

سطران غير مقروئين

[. . .] وَجَّهتُ نظري [. . .]
حيث لا يلج النور
[. . .] إلّهك احتفظ بك(؟) [. . .]!
ونينورتا، وهو واثق من نفسه [. . .]
سوف يعود لنفسه بعد الجائحة،
عندما تكون المياه قد جفّت
مثلما تجف تحت الشمس
وهو منفرج وفرح [ولدي]، وعزائي
سوف يعود لنفسه ويتنفّس (الصعداء)!
على أعداء نينورتا، سوف أدفع
بالأعاصير الرهيبة.
وهو الذي صمد [أمامه] الجبل
مع الإعجاب بقوته في الوقت نفسه
[هذه هي إذن] تعليماتي، فانقل
إليه هذه الرسالة:

إنليل يوجه لنينورتا رسالة تشجيع مع شارور

[«نعم! إن رجالي] سوف يحتفظون بعددهم:
ولن تغمَر المياه الذين
هم صراحةً بجانبي!
وعندما تذهب الرياح بالحقول
لن ينقص عدد السكان!
وهو، نفسه [. . .] لن يحرمني من ذريتي

ولن يبيد كلّ تلك الأنواع
التي خلقتُها وضمنتُ استمرارها!»

شارور ينقل رسالة إنليل ونينورتا يقرر الهجوم بعد هذا التشجيع

وحين اطمأنّ شارور، السلاح السحري
ضرب بقبضته على فخذه
ثم عاد مسرعاً إلى المنطقة المتمردة
ليحملَ فَرِحاً الرسالةَ إلى الإلّه نينورتا:
«هذا هو يا مليكي، ما قاله لي
أبوك إنليل الذي يحبك:
بينما تنقضّ الجائحة المميتة سماً على العدو،

اللوحة السادسة

سوف يمسك نينورتا الآساكو من كتفه
وسوف يقر كبده!
بعد ذلك، سيعود ولدي إلى الإيكور
وسوف يحتفل رعاياي إلى الأبد، كما ينبغي،
بِقُدراتِكَ يا نينورتا!»
امتثلْ إذن لأوامر أبيك يا سيدي
لا تتمهّل، يا قدرة إنليل المهيبة!
أيتها العاصفة تهبُّ على المنطقة المتمرّدة،
أنت الّذي يمكنه تحويل الجبل إلى خَثَرات
هيّا، دون تمهّل، يا نينورتا، يا بطل إنليل!
على سُوره (المصنوع) من التراب المدكوك، نَصَبَ
الآساكّو موانع الاقتراب (الحادة الأسنان)
وأصبح بذلك حصنه عظيم المناعة!

الـ [. . .]، لم تُهمِدْ غَضَبه قطّ،
و[. . .] ـه لم ترتفع!
وفي المقدّمة قذف ضدّك
الـ [. . .] الذين لا يعرفون [. . .]
والريح ـ الشريرة [. . .]، بَاشَرَ بالتقدم [. . .]
وسوف يتوجبُ عليك يا مليكي أن تلجأ في [. . .]
إلى الالتحام الجسدي وإلى الأربطة(؟)!»
أدار نينورتا عند ذلك، نحو الجبل
هراوته وسهامه
وسدّد إليه رمحه [. . .]
رفع الإله يده نحو الغيوم[. . .]
فتحول نور ـ النهار إلى ليل ـ داكن
وهَدَر كالعاصفة [. . .]
[. . .] الرمح [. . .]
نينورتا [. . .]
الإله [قذف(؟)] بدوّامات الغبار
وضربت صَدْمتُه الجبلَ وكأنها مِنْخَس

تدخل شارور دون جدوى

وبعد أن نفخ شارور الرياح حتى السماء،
قام بتشتيت السكّان
ومزّقهم مثل وحشٍ جائع
واكتسحَ بِسُمِّهِ المدن جمعاء،
ومطرقته ـ الكسارة أشعلت النيران في الجبل
وسلاحه ذو الأسنان العديمة الشفقة،
سحقت الجماجم.

ومصدمته باقرة الأحشاء كزّت أسنانها
وعندما غرس في الأرض رمحه
امتلأت بالدم شقوق الأرض
فلعقته الكلاب مثلما يلعق الحليب!
وصرخ الأعداء المضطربون
في النساء والأطفال:
«ألم تلتمسوا رَحمةَ(؟) الإلّه نينورتا؟»
ورغم أنّ السلاح ـ السحري
حاول تغطية الجبل بالغبار
فلا شيء كان يزعزع قلب الآساكّو
ولهذا، (قال) شارور لنينورتا وهو
يلف ذراعيه حول عنقه:
«أنت لا تعلم ماذا ينتظرك أيها البطل!
لن تستطيع أبداً مهاجمته
في أعماق قلب(؟) الجبل!
إنه ثقيل كالإعصار
أيّها الإلّه نينورتا، يا بْنَ إنليل!
إنّه كورم متقيح وخبيث
بشاعتُه تضاهي بشاعة البرص على الوجه!
كلمته مراوغة: ولا يطيع (الأوامر) أبداً!
هذا الذي يجابهك، يكاد يكون إلّهاً!
إنه ضبابة (سوداء) تسقط على الأرض:
يغسلها كما يفعل القِلوِيّ(؟)
إنّه يطرد أمامه الخيول الأخادر نحو الجبال!
وبريقه المرعب والخارق
يجعل الغبار يدوّم،

وتمطر زخات من الشظايا!
إنه في المنطقة المتمرِّدة، أسد
ذو أنياب ضارية،
لا يمكن لأحدٍ أسره.
حتى [. . .]، إنه أباد كل شيء
بريح ـ الشمال
كما محق الماشية بواسطة الشيطان ليلو[1]
ونشر على الأرض الجفاف
ودون إمكانية التعويض، أبادتِ السكانُ زوبعتُه.
وأمام مثل هذا العدوّ المتصلّب،
أدر العنان متراجعاً أيها البطل الشديد العزم!»
هذا ما تمتمه (شارور) لنينورتا.

اللوحة السابعة

التحام نينورتا والآساكّو

ولكن الإلّه تابع صرخاته
مطلقاً شتائمه باستمرار ضد الجبل
ومزدرياً هتافات المنطقة المتمردة(؟)
والتي لم يعرها اهتماماً(؟)
إنه [. . .] كل ما كان قد أتلفه الآساكّو
كان يريد سحق رؤوس أعدائه جميعاً،
وأن يجعل الجبل يئنّ (تحت ضرباته)!

---

(١) (Lilu) أحد شياطين قوى الشر. كان يعتقد السومريون والبابليون فيما بعد، بكونها وراء ما يصيبهم من سوء، مقابل اعتقادهم بوجود ملائكة وآلهة للحماية الشخصية للوساطة والشفاعة أمام الآلهة العظام.

وكجنديّ في أثناء السّلْب والنّهب، لم يتوقف
عن التلفّت والدوران.
ومن فوق الجبل وكطير جارح، كان
الآساكّو يرشقه بنظراته الغاضبة،
فارِضاً على المنطقة المتمردة، الصمت والجمود
ولكن نينورتا حين اقترب من العدو
لفّه كما تلف الموجة(؟)
وعندما وَهَنَ بريق الآساكوّ الخارق للطبيعة
و[. . . . .]
رمى به أرضاً، ثمّ قذفه نحو الأعلى
زعزعه وبدّده مثل الماء على الجبل
ثم عزّقه مثلما يُعزق الأسَل،
واستأصله كالقصب
ثم بعد ذلك، وبعد غمر المنطقة
بتألّقه الشخصي
ومثل صانع فخّار يكدس فحمه، جَعَل
منه (نينورتا) مخروطاً (. . .)
وضغطه كالتربة المدكوكة، وكالطين المهروس(؟)!
هكذا حقق البطل هدفه
ثمّ تنفس منفرجاً، الإلّه
نينورتا ابنُ إنليل.
وفي الجبل حيث كان النهار يتضاءل،
أثنى عليه أوتو[1]
ثم بعد ذلك غَسَل(؟) الإلّه حمالة سيفه وهراوته

---

(١) (Utu) الإلّه الشمس السومري.

ونظّف من الدم سلاحه
مَسَح العرقَ عن جبينه، ثم طالب
عالياً بجثة الآساكّو
وبعد أن جعل منه ما يشبه حُطاماً،
لفظته الأمواج،
جاء آلهة(؟) البلاد للقائه
ومثل خيول أخدرية مرهقة
سقطوا أمام قدميه:
ومن أجل الاحتفال بإقدام الإله
نينورتا ابن إنليل، ونصره الباهر
قدّموا له التحية مصفقين!

شارور يتوجه إلى نينورتا مادحاً

ومن (كامل) ارتفاعه، وجه إليه شارور
هذا المديح:
«أيها الإله! يا شجرة ـ الميس[١] العظيمة
النابتة في الحقل المروي
من يمكنه مضاهاتك أيها البطل؟
لا كمال لأحدٍ كمثل كمالك،
وبمثل جدارتك يا سيدي،
ليتربّع على العرش.
من الآن فصاعداً، لن يجرؤ أحد في الجبل
على التمرّد ضدّك:
وليس عليك إلاّ أن تطلق (؟) صرخةً واحدة

---

(١) (Més) اسم شجرة محلية عرفتها بلاد ما بين النهرين ولم يتمكن العلماء من تحديد نوعها.

للقضاء عليه.
[. . .] كما يحتفل بك
أيها العاصفة المكتسحة [الذي هبّ]
على المنطقة المتمرّدة
أيها الإلّه نينورتا [. . .]
(سبعة أسطر مفقودة، تحتوي على تتمة ونهاية مديح شارور).

نينورتا يقرر مصير الآساكو

وعندما قام (نينورتا) في المنطقة المتمردة،
فعزق الآساكو كالأسَل
واستأصله كالقصب
[. . .] الإلّه نينورتا، هراوته (قائلاً):
«مثل [. . .]
من الآن فصاعداً، لن تسمى آساكو
بل تسمّى «حجراً»
ـ حجر سيكون اسمه الشخصي زلاقو[1]
حيث يمتد قلبه حتى عمق مملكة العالم السفلي
وسوف يكون ذلك بفضل بسالة الإلّه(؟)»

نينورتا يكرّم سلاحه

أما بالنسبة لسلاحه، المودع للراحة في زاوية
فقد باركه هكذا:
يا «معركة ـ النصر(؟) ـ النهائية ـ من أجل البلاد!

---

(١) (Zalaqu) راجع الشرح في الحاشية رقم (١) من الصفحة ٥٣ أعلاه.

اللوحة الثامنة

«طوفان ـ يسقط على الأعداء» هوذا الاسم
الذي به سوف يمجّدونك في الجبل!

نينورتا ينفّذ أعماله الحضارية بتنظيم أعمال الزراعة والريّ

وإذْ كانت المياه المحيية في ذلك الزمان
لم تخرج بعد من الأرض
ولكن، بتحولها إلى ثلوجٍ متراكمة
كانت تخلّد الجبل في ذوبانها
وكذلك كان آلهة البلاد، مضطرين
للعمل الجبري
وكان عليهم ـ تلك كانت سخرتهم ـ
حمل الفأس والقفّة
لأنه من أجل ضمان الإنتاج
لم يكن هناك عمال آخرون لتشغيلهم(؟)
وفي أعلى منسوب له، لم يكن بعد نهر دجلة
يضخّم للفيض أمواجه
ولأنه لم يكن بعد يصبّ في البحر
ولم يكن يسكب فيه ماءه العذب.
لم تكن هناك محاصيل(؟) تحمّل من على أرصفته
وقاسية كانت المجاعة، لأن لا شيء
كان بعد يُنتج!
لا أحدٌ كان ينظّف الأقنية، ولا أحدٌ
كان يستخرج منها الحمأة
وبسبب فقدان التقْنية، كانت الأرض
المزروعة مشبعة بالماء!

ولم يكن هناك شعير (ينبت) إلاّ مبعثراً
ولم تكن تُشَقُّ الأثلام.
وهذا الذي من أجله أعمل الإلّه ذكاءه:
فباشر بتحقيق الأعاجيب![1]
ثم كدّس الأحجار في الجبل،
وماداً ذراعيه
مثل سحابة سميكة تجتاز السماء،
أقفل جَبْهة البلد، بمثل جدار شامخ:
وأقام سدّاً، في آخر الأفق
وبالمهارة القصوى،
زوّد بالسدود (الحامية) المدن كلها،
حابساً المياه المتدفقة،
بجوانب من الصخور:
فلم تعد بعد ذلك ترتفع
من البلاد المسطحة نحو المرتفعات!
ثم جمع ما كان مشتتاً من
المياه الموزّعة على بحيرات في الجبل.
مزجها جميعها وجعلها تنصبّ في دجلة
بغية إرواء الأرض الزراعية حين تغمرها
الفيضانات الربيعية.
وعند ذلك فإن كل ما يحتويه الكون
تحت حكم ملك البلاد[2] حتى

---

(١) استعمل هذا التعبير أيضاً في قصيدة التكوين والخلق البابلية، بصدد الإلّه مردوك حين عزم على تكوين الأرض ومن ثم خلق البشر.

(٢) الملك المقصود هنا، هو على ما يظن جوديا (Gudéa) ملك لغش (Lagash)، حكم خلال (٢١٤٤ ـ ٢١٢٤) ق.م.

أطراف الأرض، سوف
ينعم بأفضال الإلّه نينورتا!
إلى الأرض الصالحة للحراثة، عينّ
إذنْ زراعة الشعير المبرقش.
جعل الثمار تتزايد في البساتين والحدائق
وملأ العنابر بأكوام الحبوب(؟)
كما أقام مراكز للتجارة في خارج البلاد
وبذلك حقّق جميع رغبات الآلهة
الذين تنافسوا في ترداد
المدائح لوالد نينورتا!

نينورتا وعتاب أمه نينماخ ثمّ تكريمها

إلاّ أنه، حدث مرةً أن أحزَن
قلب امرأة: قلب أمه
نينماخ، التي فقدت النوم على فراشها،
حيث كانت تتذكّر كيف حَبَلت به
كان جسده المكسو بجلد صوف، يشبه
شاةً لم يجز صوفها بعد.
كانت تشكو بمرارة، أن الجبل
أُغلِقَ في وجهها (وقالت):
«الإلّه الذي لم يستطع الجبل
ردّ قدرته العظيمة،
البطل الرائع الذي لا يمكن لأحد مقاربته،
عندما يحتدّ غضبه،
العاصفة التي تحطّ، ساكبةً
على الأرض سمُومَها كلّها.

الإله، «نفس» إنليل، الجدير بالتاج
البطل الذي هو، لمقامه، أسمى
من أنْ يتلقى الأوامر،
مرّ أمامي مسرعاً، بعد ما تم انتصاره،
وهو الذي أخصبني به قريني،
والذي بالآلام وضعته لزوجي،
وجّه إليّ (بتصرفه) إهانة كبرى!
ابن إنليل، مرّ أمامي
دون أن يوجّه إليّ نَظَره،
ولهذا، قالت لنفسها: مع
أن هذا الشخص،
تخاطب بالفعل مع بقية الآلهة في الأيشوميشا[1]،
معبده المفضّل!
سوف اذهب إذنْ لألتقي مباشرة
بهذا الإله المغرور
سوف أذهب منفردة لزيارة هذا السيّد
المعتدّ بنفسه، أنا، الملكة
سوف أذهب وأتقدّم منه قائلة: «ها أنذا!»
وعليه حسنُ استقبالي على الفور، ابني،
هذا المُوَلَّ من قبل إنليل،
هذا البطل الشّامخ، شموخ أبيه!»
هكذا عرضت السيدة النبيلة، وبكل
جد هذا الموقف،

(١) (Eshûmesha) المكان المخصص لنينورتا في معبد إنليل في نفّر.

هكذا عبّرت عنه متوجهة إلى نينورتا،
الذي وجّه إليها عندئذٍ نظرة حفاوةٍ وقال لها:
سيّدتي، لأنّك أردت بلوغ الجبل
والالتحاق بي، أي نينماخ، إلى المنطقة المتمردة
دون التخلي عني،
حتى في وسط أهوال الحرب،
ذلك الركام الذي كدّستهُ من
المحاربين المجَنْدَلين،
سوف يُسمى من الآن فصاعداً
«الجبال» (خور ـ ساج)[1]
وأنتِ سوف تكونين منها «السيدة» (نين)
هذا هو مصيرك الذي قررته أنا، نينورتا:
هكذا سيكون!
ومن الآن فصاعداً سوف تكونين
دوماً «سيدة ـ الجبال» (نين ـ خورساج)![2]
من هذه الجبال، هَضَباتها،
سوف تنتج لك الأعشاب المطرية والتابلية
وسوف تقدّم لك أهدابها الخمر والعسل
وميولها، سوف تنمّي من أجلك
شجر الأرز والسرو والعرعر والبقّس،
ومثل بستان سوف تزودك بالثمار الناضجة!
وعلى مرتفعاتها، سوف تكون من أجلك
كثرةٌ من الطيوب الإلّهيّة

---

(١) (Ḥur.Sag).
(٢) (Nin.Ḥur.Sag).

من أجلك سوف يُستخرج منها معدن الفضة والذهب
وسوف يُعمل فيها [. . .]
وسوف يُذوّب فيها النحاس والقصدير
ويؤتى بها إليكِ جزْيةً.
وسوف يُعمل فيها على تكاثر الماشية
وتُقدَّم لكِ رباعيات القوائم السريعة التكاثر!
يا ملكة تضاهي آن، أنت مثله
ذات رهبةٍ مخيفة
أيتها الملكة المهيبة (دينجير ـ ماخ)[1] التي
لا تحب الثرثرة
المرأة النبيلة، سيدة الجبال (نين ـ خورساج)
المكان الطاهر (كي ـ سيكيل)[2]
سيدة التوليد (نين ـ تو)[3] من أجل [. . .]
اقتربي أيتها العَلّية لكي يُحتفى بك
لأنني منحتك هذه السلطات السامية!»

تدخل الإلّهة آرورو ومصير الأحجار

بعد أن قام الإلّه (نينورتا)، وهو يتنقل
في معبد نفر، بتقرير مصير الجبل
فإن السيدة النبيلة الساهرة على الأرحام
والتي تفوقهنّ جميعاً بدورها المقدس
آرورو[4]، أخت إنليل الحبيبة

(١) (Dingir-Maḫ) = الملكة السامية.
(٢) (ki-Sikil) = مكان أو أرض طاهرة.
(٣) (Nin-tu) = سيدة الولادة أو التوليد.
(٤) (Aruru) = إلّهة ـ أم، أخت إنليل.

تقدّمت منه منتصبة (وقالت له):
«أيها البطل الرائع، ياذا الأوامر التي لا تتقادم
وهكذا أوامر أبيك،
«إنك لم تحدد بعد، مصير
المرتزقة الذين أرديتهم!»

اللوحة العاشرة

مصير الحجر ـ أو

توجّه الإلّه عند ذلك إلى الحجر ـ أو[1]
ليحدد له طبيعته،
وبصوت غاضبٍ ناداه من البلاد، منتهراً
ولفظ ضدّه اللعنة التي هي هكذا:
«أيها الحجر ـ أو، أنت في الجبل،
أعلنْت الثورة ضدّي.
حاولتَ إيقافي وسدّ طريقي،
أقسَمْتَ أن تسبب موتي.
وادّعيتَ أنك تخيفني، أنا الإلّه نينورتا.
والآن وعلى الرغم من صلادتك أيها الجريء
فلسوف تقلّص قامتك:
وسوف يقوم أشخاص رهيبون
معتدّون بقوتهم على سحقك
وسوف يستعملك الرياضيون في مبارياتهم!
أيها الحجر ـ أو، أيها النقيّ الصلبُ العود،
سوف يحوّلك إخوتك إلى مسحوق دقيق

(١) (U) حجر تتضح صلابته من ضمن النص.

لجعلك تسيء معاملة ذريتك بالذات
وتعمد إلى هرس جثثها!
وعلى الرغم من صراخك أيها الفتى الجري،
سوف تنتهي مكسراً،
ومجزأً مثل ثور وحشي كبير،
ساهم عدد من الصيادين في تقطيعه(؟)!
ومثل كلب مطرودٍ من قبل مساعد ـ بقّار
هكذا سوف تطرد من المعركة:
ولكن تحت ضربات المهدّات
وبقدر ما أنا إلّه حقاً
ولأنك سوف تعمل العقيق الأحمر
(نا ـ جوج)[١] وتصقله، سوف
تتخذ منه اسمك (نا ـ جوج ـ بورو)[٢]!
لذلك وعملاً بالمصير المقرر من قبل نينورتا
سوف يعمد من الآن فصاعداً، بواسطة
الحجر ـ أو إلى ثقب (بورو ـ أو)[٣] العقيق (نا ـ جوج)»

مصير الحُمم والبازلت

ثم استدار البطل نحو الحُمم والبازلت
وحدّد الإلّه طبيعتها
لافظاً اللعنة التالية:
يا كتلة ـ الحمم، أنت رميتِ بنفسكِ ضدّ سلاحي
يا كتلَ ـ البازلت، مثل الثيران،

(١) (Na-gug) العقيق الأحمر.
(٢) (Na.gug.buru).
(٣) (Buru-u).

تصدّيتِ لي بكل عزم.
ومثل ثيران أُزخُصية (تحدّيت) بقرونك!
لذلك! فأنا سوف أسحقك مثل الفراشات:
سوف يغلّفك بريقي ـ الخارق الرهيب
لن تفلتي أبداً من ساعِدي القويّ
سوف ينفخ عليك صانعُ الحلي بملء رئتيه:
سوف تُقَدُّ منك البُوتقات حيث يذيب صنائعه.
وعند إهلال القمر، فسوف تستقر عليكِ
حسب الطقوس،
البواكير المخصصة للآلهة!»

الأحجار ساچكال وچولچول وساچّار[1]

ثم استدار مليكي نحو الحجر ساچكال
وانتهر كذلك الحجر ـ چولچول والحجر ـ ساچار
ولفظ اللعنة هذه:
«أيها الحجر ـ ساچال، لأنك خلال المعركة
رميت بنفسك ضدي!
أيها الحجر ـ چولچول، لأنك صعقت رجالي المحاربين
أيها الحجر ـ ساچار، لأنك قاومتني
بكل عنف
ولأنك كزّزت أسنانك ضدي، أنا الإلّه
لذلك! يا حجرَ ـ ساچّار، فإن
حجر ـ ساچكال سوف يقطعك
وسوف يحولك الحجر چولچول،

(١) (Sagkal) و(Gulgul) و(Saggar).

إلى مسحوق دقيق أيها الفتى المتهوّر
وليتمّ وضعك على حدة
مثل ما هو تافه وعديم القيمة (ساج ـ نو ـ كال)[١]!
ولتصبحي حيث تقيمين ضحايا مجاعة قاسية (شا ـ جار)[٢]
تضطرّك إلى الاستجداء في مدينتك نفسها!
ولتسقطي إلى المرتبة الدنيا (ساج)[٣]
مثل متبجّحين مخصّيين (أور ـ ساج ـ جيمي)[٤]!
وليكرر أمامك في كل مناسبة ـ
هكذا سوف يكون اسمك ـ
«اختفي بسرعة!»
من الآن فصاعداً وعملاً بالمصير المقرّر
من قبل نينورتا
سوف تطلق عليك في البلاد تسمية:
«مواد رديئة» وهذا ما تمّ فعلاً!

اللوحة الحادية عشر

مصير صخور الديوريت

ثم أدار مليكي وجهه نحو الديوريت
و[. . .]، معبّراً بجلال ومن صميم قلبه
نينورتا، ابن إنليل، لفظ بصدد
(الديوريت) المباركة التالية:
«يا ديوريت، لقد بدّل جيشُك موقفه

---

(١) (Sag.nu.kal)،
(٢) (sha-gar).
(٣) (Sag).
(٤) (Ur.Sag.gemé).

أثناء المعركة
أنتِ تبددتِ(؟) أمامي مثل ضبابة كبيرة
دون اقتراف أي عنف، ودون الهجوم عليّ!
«تبّاً للكذب»! (كنتِ تقولين):
البطل الوحيد، هو الإله!
من يستطيع مضاهاتك يا نينورتا
يا بن إنليل؟»
ولذلك، سوف يعمد إلى الاستحصال
عليكِ من أعلى مواقع الجبل
وسوف تُنقلين إلى هنا منذ جبال ماجان![1]
وأنت التي تقدّين كالجلد النحاس الأكثر مقاومة
فأنتِ توافقينني تماماً، أنا الإله
(وتوافقين) شجاعتي
وعندما يرغب ملك شهير إلى الأبد
أن يصنع منك تماثيل أبدية،
بغية إقامتها حيث تراق التقدمات للآلهة،
وفي هذا الحَرَم الطوباويّ من الإينينّو[2] خاصتي
ستكونين في مكانك الملائم!»

الحجر العادي

وتوجّه الإله بعد ذلك نحو الحجر العادي (نا)[3]
وبينما هو يخدش سطح هذا الحجر العادي

---

(١) (Magan) بلاد ماجان تقع في الجزيرة العربية إلى الشرق من البحرين وهي إذن بعيدة عن المنطقة الجبلية المتمردة. وفي هذا الجرد عن مصادر المواد الحجرية، أراد النص على ما يظهر تعيين مصدر استخراج حجر الديوريت من جبال ماجان.

(٢) (Eninnu) معبد الإله نينخيرسو (نينورتا) في أحد أحياء لغش.

(٣) (Na).

لفظ نينورتا ابن إنليل
ضده اللعنة هذه:
«أيها الحجر العادي، لأنك تمنيت أخذ مكاني،
أيها الحجر العادي، لأنك أردت
الاقتراع على امتيازاتي
لذلك، يمكنك البقاء متراخياً مثل خنزير
عندما يشتغلونك!
وتبقى دون مناعة، ولو لم تُستعمل لأي شيء
وتنتهي غباراً!
ودون إعارتك أي اعتبار، سوف
تحول إلى عجينة!»

الحجر الكلسي الأبيض

ثم استدار مليكي نحو الحجر الكلسي الأبيض
ولفظ نينورتا ابن إنليل
بصدده المباركة التالية:
«أنت الحجر الكلسي الأبيض، استعملت دهاءك
لنشر الخوف في الجبل الثائر
ثم في وسط المنطقة المتمردة جعلت السكان
وهم في حالة هيجان يهتفون باسمي!
لذلك! فلن تفقد قط شيئاً من تمامك!
ولن يُستطاع تحويل كتلتك إلى مسحوق
وسوف تُنقَشُ منسَّقة (كتابياً؟) على
سطحك قُدراتي!
وعندما اضطر لمجابهة الأبطال،
ستكون ملائماً تماماً لمثل هذه الحرب!

وفي معبدي، في ساحته الكبيرة
سوف انصّبك فوق قاعدة
وباعجابٍ أمامك سوف تردد
البلاد المديح لك!»

مصير حجر الدم (الشاذنج)

ثم التفت البطل نحو حجر الدم (الشاذنج)
وهاتفاً بقوةٍ بقدر ما هو صلد،
أعلن نينورتا ابن إنليل بصدده
البركة هذه:
أيها الشاب الجريء المحترم، ذو السطح البرّاق
أي حجرَ الدم! عندما وصلتك الشكاوى
من المنطقة المتمردة
من المؤكد، أنك أطلقت صرخة الحرب،
الصرخة الشرسة والحماسية،
لكن يدك المنتصرة، لم تمسّني قط
ولم أرك بين الثائرين!
لذلك سوف تكون لك مكانة في البلاد:
وسوف يكون دور الشمس دورك:
لتكون قاضياً وحاكماً للجبال.
والصانعُ الماهر في جميع الفنون،
سوف يَرْفعُ قيمتك لمستوى الذهب!
أيها الفتى الصلب العود الذي ربحتُه لجانبي،
سوف أسهر دائماً لتبقى حيّاً
ومن الآن فصاعداً وعملاً بالمصير الذي
قرّره لك نينورتا

سوف يُهتف «يحيا حجر الدم»
وهكذا سيكون!»

اللوحة الثانية عشر

مصير المرمر

والتفت البطل بعد ذلك نحو المرمر
وبصدده لفظ نينورتا ابن إنليل
المباركة التالية:
أنت أيها المرمر، الذي تضيء مادتُه كالنهار!
يا فضّة نقية، أيها الفتى الجريء المخصص للقصور!
لأنك وحدك مددت نحوي يدك
ولأنك في أعلى الجبل
سجدت أمامي
لم أسقِط عليك هراوتي
ولم أجعلك تشعر بقوّة ذراعي
أنت أيها المحارب الشجاع، لقد لبّيت ندائي
ووضعت نفسك تحت تصرفي
إذن! فليكن الاحتفاء بك كبيراً!
ولتكنْ لك اليد الطولى على مستودعات البلاد
ولتكنْ مديراً لها!
ولتكن دليلاً للأنونّا، الآلهة العظام!
ولتخصّص لمعابدهم، أيها المرمر!»

مصير العنبر الأصفر (الكهرمان)

ثمّ بنظرة حاقدة، توجّه الملك
نحو العنبر الأصفر

والإلّه وهو غاضب، ناداه من البلاد.
نينورتا، ابن إنليل، لفظ ضدّه
اللعنة هذه:
«بما أنّك تردّدت لدى مجيئي
لذلك! سوف تكون أول من يُوجّه إلى مشغلي
وسوف تكون مطاوعاً لكل ما يراد أن تكون عليه!
أيها العنبر الأصفر، سوف تكون
تقدمة منتظمة ويومية لشاغلي المعادن!»

مصير العقيق وأحد عشر حجراً كريماً آخر

ثمّ استدار مليكي نحو العقيق
كما توجّه في الوقت نفسه نحو الكلسيدوان
والعقيق الأحمر واللازورد
والمَرْو الملوّن[١] والسابا[٢] والخوريصو[٣] والمَرْخالي[٤] واليَشْم الأصفر
وعين السمكة والبِجادي الرماني والأنزوجولم[٥]
وحجر الحيّة،
ولصالح هذه [. . .]
ردّد نينورتا ابن إنليل المباركة التي هي هذه:
«ذكوراً وإناثاً، كلّ أمامي وعلى طريقته،
وبدون أي اتهام، أنتِ ساندتني،
وعفوياً وجهاراً، أشَدْت بي!

---

(١) هو اليشب أي (Jaspe).
(٢) (Saba).
(٣) (Khurisu).
(٤) (Markhali).
(٥) (Anzougoulme).

لذلك! فأنا سوف أشيد بك في قلب
جمعية الآلهة!
(ولذلك) في المجلس الحزبي، لعبتِ
دوراً حاسماً لمصلحتي(؟).
لذلك! [. . .(؟)] سوف تفضلين
على العسل والخمر!
وسوف تُرصّعين جيعك بالمعادن الثمينة
والإلّه الذي يحتفظ بالأولوية بين الآلهة
سوف يجعل جبال مولدك تسجدُ
أمامكِ وأنفها على الأرض!»

مصير الصوان

ثم ألقى مليكي نظرة غضبٍ حين
استدار نحو الصوّان
وبغضبٍ حين ناداه من البلاد،
نينورتا ابن إنليل، لفظ بصدده
اللعنة التالية:
«أين أنت! أيها الصوّان المخادع!
في الجبل سوف يُحطَّم قرناك»
قرنا الثور الوحشي!
وسوف تسجد أمام الإثمد!
لأنك لم تتصرف مثلي، أنا الذي ساندتك!
ولسوف أمزقك إذن مثل كيس مبتذل
وسوف تحوّل إلى مسحوق،
ويتفنّن عامل الأحجار بشطر
أوجهك بواسطة مِقطعة

يا أيها الشاب الصلد، الحامل للأحقاد!
وسوف يعمد النجّار، حين يريد إنهاء عمله
بإسقاطك الماء وسحقك مثل الحبوب الناتئة!»

اللوحة الثالثة عشرة

مصير الصلصال القصديري والإيليغو[1]

ثم التفت مليكي نحو الصلصال القصديري
ونادى الإيلّيغو[1]
ثم لفظ نينورتا ابن إنليل
اللعنة التالية:
أيها الصلصال القصديري، أنت زعقتَ
في الجبل ضدي!
وضدي يا إيلّيغو أطلقت نداء حربٍ
شرساً ومتحمساً!
لذلك، سوف ألاشيك مثل النار
وسوف أطرحك أرضاً كإعصار
ومثل أسَلٍ سوف أعزقنك
واقتلعَنَّك مثل أعواد القصب:
ومن هو الذي سوف ينجدك؟
أيها الصلصال القصديري لا أحد يعير
أذناً أو انتباهاً لطلبك النجدة
يا صلصال القصدير ويا إيلّيغو،
لن يقودكما طريقكما إلى القصر أبداً!»

---

(١) (Elligu).

حجر الغزال والدّوبان والأوروتو

ثم التفَت مليكي نحو حجر ـ الغزال
ومنادياً أيضاً دوبّان(١) وأوروتو(٢)،
حدّد نينورتا ابن إنليل طبيعتها
ولفظ ضدّها اللعنة هذه:
«يا حجر ـ الغزال، يا دوّبان، يا أيتها الشعلات الملتهبة!
يا أوروتو الذي لا يقاومه أحد!
عندما أشعلَ البازلتُ فيكِ «النار»
«التهبت»
و«احترقت» ضدي مثل الجمر
في المنطقة المتمرّدة!
في بلاد سابو(٣)، أعلنت الثورة ضدي!
لذلك! يا حجر ـ الغزال، فلتُذبحنّ
مثلما يذبح الخروف!
وأنت يا دوبّان لتسحقنّ مثل الدقيق!
ولتقطعَن(؟) مثل كتلة سلاح يا أوروتو.
وبواسطة رؤوس الشبه للسهام الآلهية
لِتتم إبادتك [. . .] أيتها الخناجر الرهيبة!»

مصير الشاجارا!

والتفت مليكي بعد ذلك نحو الشاجارا(١)
ولفظ نينورتا ابن إنليل بصدده

(١) (Dubban).
(٢) (Urutu).
(٣) (Sabu) يعتقد أنها المنطقة الواقعة إلى الشمال من سوز القديمة في إيران.
(١) (Shagara).

اللعنة التالية:

«شاچارا، أنت الذي تحطّمُ في السهوبِ
جمجمة المسافر المنفرد
في الجبل حاولت دوسي بقدميك
بينما كنتُ منشغلاً في الحرب
ولأنّك وجدت لذّة في الصراع ضِدّي -
لذلك! فإن صانع السلال، بعد ضغط قَصَبِه
سوف يرميك في زاوية
ويُنسى بعد ذلك مسقط رأسك ولن
يطالب بك أحد!
ولا أحد سوف يشعر بافتقادك
ولن يشتكي الناس من إضاعتك،
وعندما تترك حيث يتمّ الطقس الأبدي
تمجيداً للمكان حيث تستريح نينخورساج،
سوف يطعمونك بقايا مصنع الجعة
مثلما يطعمون الخراف
وعليك الاكتفاء بنُتفةٍ من الطحين:
هذا هو معنى اسمك!»

مصير المرغاشيت

ثم توجّه مليكي نحو المَرغاشيت(١)
ولفظ نينورتا ابن إنليل بصدده
المباركة التالية:
«يا مرغاشيت، لأنّك [. . .] لي الجَبَل

(١) (Marcassite) بالعربية والفارسية «مارغاشيت»، وهو سلفات الحديد المتبلور، يستعمل في صناعة الحُلي والترصيع.

الذي أُخذ منك [. . .]
ولأنك لم تشارك في المجزرة
التي دبّرها مواطنوك، [. . .] ـ
لذلك، سوف تكون الوعاء الموضوع
تحت المرشّح لتلقي الماء الصافي!
وسوف تستعمل من أجل ترصيع [. . .]
الإلّه [. . .]!
وسوف تشكّل زينة مختارةً للخواتم!
وسوف تحتل مكان الشرف في معابد
الآلهة يا مرغاشيت!»

اللوحة الرابعة عشرة

مصير الخاشتو

ثم بعينٍ حاقدةٍ توجّه البطل نحو الخاشتو[1]
وناداه الإلّه بغضب من البلاد
ولفظ ضدّه نينورتا ابن إنليل
اللعنة هذه:
«أنت يا خاشتو زَعقت ضدي في الجبل!
وإلى صراخ المعركة الوحشي، ضَمَمْت
هتافاتك المنفعلة،
وبذلك الصياح، ركّزت في الجبل
الشيطان ليلو[2]! ـ
لذلك أيها الشاب الجريء سوف تدفن في الأرض

(١) (Khashtu).
(٢) (Lilû).

وسوف تسمّى «حفرة» (خاشتو)!
نعم من الآن فصاعداً وعملاً بالمصير
المقرر من قبل نينورتا
سوف يقال لك «خاشتو» وهذا ما تم!»

مصير الدورول[1]:

واستدار مليكي بعد ذلك نحو الدورول
ويصدده لفظ نيتورتا ابن إنليل
المباركة التالية:
«دورول، يا لون الحزن(؟)،
أيها الفتى الضرير الغارق هنا في ليل (داكن)(؟)
لأنك على الجبل قدّمت لي الاحترام
ولأنك أعلنت: «آه لو تمكنتُ من تحطيم قيودي
لأقف أمامه: في خدمة مليكي
الإله نينورتا»
لذلك، وأينما ذُكر اسمك، سوف
تكون لك قيمتك الذاتية
وسوف يقول العارفون: أنا أشتريه
بقيمة الذهب!»
وسكان جميع البلاد، ترافقهم المزامير
مثل الموسيقيين سوف يدعونك إلى الرقص!»

إثنا عشر حجر آخر

والتفت مليكي بعد ذلك نحو السيچسيچ[2]

---

(١) (Durul).
(٢) (Sigsig).

ونادى أيضاً الإينْجِين[١] والإينْجِيشا[٢]
والإيزينوم[٣]
والأوجّون[٤] والزاهِم[٥٦]،
والمدانوم[٦] والخاشامانو[٧] (المادلّي)[٨]
والـ[...] والمورسوخ[٩] والمولوج[١٠]
ولفظ تينورتا ابن إنليل بصددها
المباركة التالية:
«أيتها الأحجار [...]
بما أنك [...]
مشدودة الخواصر، تتلوى قدودك والقلوب مرتاحة
كنتِ تتمايلين مثل الدببة،
وبـ[...] اتخذت طريقك للانضمام إليّ
وانحنيت أمامي حتى الأرض
على خلاف الآخرين،
وكنت مهدّات تحت تصرفي كما دعمتِ بابي -
لذلك عندما يرتدي الرياضيون لباس المصارعة
ويتبارون قابضين على السيقان
وجاعلين الرأس يلامس الأرض

(١) (Engen).
(٢) (Engisha).
(٣) (Ezinum).
(٤) (Uggen).
(٥) (zahem).
(٦) (Madanum).
(٧) (Khashmanu).
(٨) (Madalli).
(٩) (Mursukh).
(١٠) (Mulug).

ثم يرفعون الصلب على التوالي،
فأنت وحدك، في كامل البلاد، ستكونين
المفضّلة من قبل هؤلاء الأبطال!»

مصير الكورچارا والبال ومسحوق التجميل الأصفر

واستدار البطل بعد ذلك نحو الكورچارا[١]
ونادى أيضاً البال[٢]
وكذلك المسحوق الأصفر للتجميل[٣]
ولفظ نينورتا ابن إنليل بصددها
المباركة التالية:
لأنك أعلنتِ، «سوف تُفرحُ
قلوب الرجال!»
سأرسلهم إليك،
وسوف تجعلين أمرداً الشاب الذي
يجوز إعجابك(؟)
حتى أن الكالاتور(؟)[٤] سوف يحمدك!
كوني التقدمات في يوم عيد الأرواح(؟)
ومن أجل الهلال الجديد وحتى اليوم
التاسع من الشهر، سوف ينذر
لك الشبّان ألعابهم الطقسية!»
ثم عيّن هذه الأحجار لعبادة نينخورساچ

---

(١) (Kurgara).
(٢) (Bal).
(٣) نوع من الكحل.
(٤) (Kalatur) شاب مخنث متنكر في زي امرأة له دور في طقوس إنانا/عشتار.

اللوحة الخامسة عشرة

ملاحو سفينة نينورتا يحتفلون به بعد عودته ونصره

بعد الانتصار على الجبل، وأخذ طريقه عبر
السهوب، كان البطل يتألق مثل الشمس
وبين الجماهير الهاتفة تباعاً، كان
يتقدم بجلال!

وهكذا تقدم مغتبطاً، نحو
سفينته المفضّلة: الماچور[١]
للصعود على ماكارنونتاإي[٢] خاصته.
عند ذلك أطلق الملاّحون نشيداً جميلاً
ومن صميم قلوبهم كرّموه بالمدائح،
وجّهوا عندَ ذلك لنينورتا ابن إنليل
هذا الثناء الأبدي:

«أيها البطل الإلٓهي المتفوّق،
أيها الإلٓه نينورتا، سيد الأنونّا
أنت الذي تُمسك بيمينك الهراوة
ذات الرؤوس!
أيها السيل الجارف في هجومه جميع أعدائه!
من ذا الذي يمكنه مضاهاة مآثرك
العظيمة والرائعة؟

أيها البطل! يا جائحةً لا مَرَدَّ لها!

---

(١) (magur) سفينة كبيرة كانت تستعمل في المواكب الاحتفالية على النهر.
(٢) (Makarnunta'é) تسمية سفينة نينورتا(؟).

حتى أنكي[1] ونينكي[2] لا يجرؤان
على معاندتك!
أيها البطل، المدمِّر للمدن والمنتصر على الجبل
يا ابن إنليل! من بمقدوره الارتفاع لمرتبتك؟
من ذا الذي يمكنه مضاهاتك، يا نينورتا
يا ابن إنليل، يا بطل؟
أي مليكي، هناك شجاع[3] مخلص لك
ولعبادتك:
إنه يتّبع طريقك، كما هو معروف عنه
وهو دائماً ينجز بأبّهةٍ، الاحتفال
الطقسي في معبدك!
إنه أعلى شأن مسكنك!
ويحتفل بعظمةٍ رائعة بأعيادك
وهو يؤدي طقوسك المقدسة!
ومن أجل استحقاق الحياة،
قرر هذا البرنامج:
«يجب إعلاء شأن نينورتا في البلاد!
فليكن قلب آن[4] راضياً عن الإلّه
ومع نينورتا الساعد الأيمن لإنليل
لتتألق باوا[5] الأم المقدّسة مثل النهار!»
هكذا كان (الملاحون) ينشدون بملء

(١) (Enki) إلّه الأبسو المعروف.
(٢) (Ninki) التسمية المقابلة لقرينته.
(٣) يعتقد أن المقصود هو الملك جوديا حاكم مدينة لغش.
(٤) (An) إلّه السماء السومري.
(٥) (Bawa) قرينة نينورتا.

أصواتهم في مقدمة السفينة،
التي كانت تنساب ببهجةٍ على صفحة الماء
حيث كان الماكار ـ نونتا ـ إي[١] يتقدم متألقاً!

الأنونّا يحيّون البطل وإنليل يباركه

من أجل تحيّة البطل العائد من المعركة
خرج الأنونّا من المعبد للقائه
وهم منحنون حتى الأرض واليد على
موضع القلب
ردَّدوا على مسامع الإله هذا الثناء:
فليهدأ قلبك الغاضب أيها الإلّه!
ارفع رأسَك بكبرياء نحو السماء
أي نينورتا، ملكٌ، أوتو ـ أولو[٤] أنت!

اللوحة السادسة عشرة

ثمّ باركه أبوه إنليل بهذه التعابير:
«يا ملكاً تخطّى الكونَ اسمُه الجليل!
أنت الذي تُحدِث الرخاء (؟) وأنت في مسكنك!
يا ذا الصدر العريض يزينه جلد صوف
أيها الإلّه المقاتل، أمام المنطقة المتمردة
لقد زوّدتُك بالزوبعة الخارقة للطبيعة!
السلاح المجتاح، الذي يلتهم الجبل ناراً
لقد منحتك إياها أيها البطل الكوني!
يا مَلِكاً، مَلأت المكائد طريقه، خلال الاضطراب:

---

(١) (Makar.nunta.é) ورد سابقاً في السطر (٦٥١).
(٢) (Utu.Ulu) صفة لنينورتا وردت سابقاً في السطر (٦٩).

ولكنني آمنت بنجاح حَمْلتِكَ على الجبل،
وكمُسبور أُطلق لمطاردة فريسته
غَامَرْتَ بنفسك في المنطقة المتمردة
تواكبك تلك الزوبعة الخارقة للطبيعة!
ولن تقوم بعد ذلك قط، قائمة
الجبل الذي غَلَبْتَه
والذي أَبَدْتَ مدنه
والذي فقد أمراؤه المتغطرسون
أنفاسهم أمامك!
لذلك، فإن سلاحاً خارقاً للطبيعة
ومُلْكاً عامراً إلى الأبد،
وحياةً أبديّة، وفق تمنيات إنليل،
وإرادة آن الكلّي ـ القدرة:
هذه هي مكافأتك أيها البطل العليّ!»

نينورتا يكلف الإلّهة نيسابا بالسهر على مكتسبات التقدم الحضاري الذي أدخله نينورتا بعد انتصاره

عند ذلك وبعد أن أطاح بالآساكّو
وجعل منه ركاماً من الصخور،
وبعد أن أمر بأن تطلق عليه تسمية «أحجار»
عهد نينورتا ابن إنليل
الـ[...] التي كان [...]؛
المياه التي رَسَمَ لها شخصياً مسارها
من الأعلى نحو الأسفل
والمحراث، مصدر الثراء الذي ابتدعه؛
والأثلام المستقيمة التي علّم كيفية شقها،

وأكوام الحبوب التي كدّسها،
والأهراءات التي ملأها،
هو نينورتا ابن إنليل، (عهد بها)
إلى سيدة القدرات الإلّهية المستقلة
الجديرة بأسمى التمجيد:
إلى نيسابا[1]، المرأة المقدسة، الكلية ـ الحكمة
والفائقة السمو في كل مكان،
إلى التي تحتفظ باللوحة العظيمة
حيث سُجِّلت قُدرات الملوك والرؤساء
إلى التي في وسط «الجبل المقدس»[2]، حياها
أنكي بذكاء فائق للغاية!
726 المجد لكِ يا نيسابا!
إلى المرأة، إلى النجمة، التي في الأبسو،
أرْضَتِ الأميرَ بشكل رائع،
إلى سيّدة المعرفة التي توزّع السعادة!
الوحيدة، المؤهلة للحكم
والحاوية على المعرفة والتبصّر!
[...] سيّدة ذوي الرؤوس ـ السوداء
الحائزة على اللوحة التي سُجّلت عليها جميع الأشياء!
التي لا يفلت أي عصفور من شباكها،
والتي تحقق النجاح في أعمالها كلّها
والتي بمحضرها، وعلى الجَبَل

(١) (Nisaba) إلّهة الكتابة والتشريع وعهد إليها هنا بمهام أخرى.
(٢) أو «جبل الكون» مقر الآلهة ـ العظام وهو يماثل جبل الأولمب مقر آلهة الإغريق. و«الجبل المقدس» هو مكان أسطوري وهو فوق طبيعي ولا زمني. ورد ذكره أيضاً في النص رقم (٤١) من الكتاب الثاني.

ذي العقد التي لا تحلّ، تُعِدُّ
الأيام وفق نَظْم القمر!
التي مثل حصن من المعدن،
لا قدرة لأحد على اقتحامه!
التي تَنْفُذُ إلى كافة الأفكار وتعرف كل شيء!
الملكة التي تسهر على ذوي الرؤوس ـ السوداء
والتي تعرف كيفية التكلم مع البشر!
ال[. . . .] المثيلة الشخصية لإنليل
المرأة المقدّسة، النجمة المقرّبة من آن.

الختام

أيّها الإله الذي منحه إنليل السيادة،
أي نينورتا، يا سليل الإيكور[١] الرائع
يا سند والدك وصانع أيامك
كم هو عذب الاحتفال بك.

العنوان

هذا نشيد شير ـ سود[٢] احتفاءً
بنينورتا.

---

(١) (Ekur) بيت الجبل وهو معبد إنليل في نفر.
(٢) (Shir.Sud) تم شرحه في تقديم النص (فقرة ٩).

(٨٠) ـ عودة نينورتا إلى نفّر

١ ـ هذا النشيد يمجّد نينورتا، بوصفه وريثاً لمجد أبيه إنليل، ويعلي من شأنه، ليتبوّأ مركزه الجديد بين بقية الآلهة. ولا عجب في ذلك، فهو يعود إلى نفّر، كما رأينا ذلك في النص السابق، بعد انتصاره المجيد على الجبل، على «المنطقة المتمردة»، التي أخضعها وعاد محمّلاً بغنائم الحرب وجعل منها تقدمة فريدة في معبد إنليل في نفّر. فحازت إعجاب أبيه وإعجاب جميع الآلهة، وخولته مركز الصدارة والشأن والاعتراف به ومبايعته.

٢ ـ وكانت لهذا النشيد السومري، كما أسلفنا، شهرة مماثلة لنشيد إخضاع «شعب الحجارة» عبر القرون، وقد نقل إلى اللغة الأكادية أكثر من مرة، على الرغم من أنه لا يقدم لنا مشاهد المعركة وتفاصيلها ونتائجها، بل ينقلنا مباشرة إلى مشهد عودة نينورتا، دون اعتماد أي طريقٍ مائي، بل يعود على عربته الحربية محملة بغنائمه.

٣ ـ يعود تأليف النص إلى نهاية الألف الثالث ق.م.، وقد أمكن استكمال النشيد والتوصل إلى إعادة تشكيله عبر أكثر من خمسين لوحة وجزءٍ من لوحة، يعود معظمها إلى الثلث الأول من الألف الثاني لما قبل الميلاد، مما سهّل على القارىء أن يتابع محتوى هذا النشيد وأن يفهمه. وهو يقع في حوالى ٢٠٩ أسطر، ويعود إلى زمن ازدهار عمليات النسخ، للنصوص السومرية القديمة ونقلها إلى اللغة الأكادية والاحتفاظ بها في المكتبات التي كشفت عنها التنقيبات المختلفة. ووفقاً لتصنيف ذلك الوقت، كان

هذا النشيد معروفاً بمطلعه «آن ـ جيم» (ديمّا)[١] والمقصود هو نينورتا، ومعنى هذا المطلع هو «مثل آن» (تكوينك).

٤ ـ يبدأ النشيد بتمجيد لعظمة نينورتا وبالتذكير بنصره على الجبل ـ المنطقة الجبلية «المتمردة»، من خلال معارك عديدة يخرج من كلّ منها حاملاً غنائم الحرب، ليتوجه بعد ذلك إلى نفّر. ولدى اقتراب عربته من مدينة أبيه، يستقبله على مدخل المدينة «نوسكا»[٢]، ممثل إنليل، ليهدىء من عنفوانه الحربي، بغية عدم إخافة الأنوناّ[٣] الآلهة ـ العظام.

يصل بعد ذلك نينورتا إلى نفّر، وفي معبد الإيكور[٤]، يقدّم غنائمه محوطاً بإعجاب الآلهة ومدائحهم، وبتقدير أبيه إنليل، «الجبل ـ الكبير» وافتخار أمّه نينليل بنصره. ونتعرف بهذه المناسبة على المكانة الخاصة التي يحتفظ بها نينورتا لأمه نينليل.

٥ ـ يطلق بعد ذلك نينورتا تمجيداً لنفسه مطالباً إنليل الاعتراف بتفوقه وتخصيص مكان ملائم لنصره في قاعة العرش.

ثمّ يقدّم نينورتا التمنيات لدوام مجد نفّر وازدهار معبدها، كما يتلقى قبل مغادرته مقرّ أبيه للتوجه نحو مقره، يتلقى التماساً لمصلحة ملك المدينة[٥]، فيستجيب لهذا الطلب، مما يدلّ على مباشرته ممارسة سلطة جديدة خُوِّلت إليه، وينتهي النشيد بتمجيد ختامي لنينورتا مشيداً بعذوبة الاحتفال به وتكريم اسمه.

تمجيد نينورتا الافتتاحي

١ تكوينك مثل آن! يا ابن إنليل!
أي نينورتا، وليد نينتو[٦] المكون مثل إنليل!
الأقدر بين الأنونّا، وليد (سيدة) الجبال![٧]

---

(١) (An.gim (dimma)).
(٢) (Nuska) حاجب إنليل أو مستشاره.
(٣) (Anunna) مجموع الآلهة ـ العظام.
(٤) (E.kur) بيت الجبل وهو معبد إنليل في نفّر.
(٥) الملك المقصود، إن لم يكن جوديا فهو أي ملك يحكم عند ترديد هذا النشيد احتفالاً بنينورتا.
(٦) (Nin-tu) بمعنى سيدة ـ الولادة.
(٧) أي نينخورساج (Ninḫursag) قرينة إنليل.

أنت الذي تنشر رعباً مروّعاً
يا ابن إنليل، الواثق من قوّته!
منتصرٌ أنت يا مليكي: فليُحتفل بنصرك!
أنت سيد البلاد كلها، بقوة إقدامك
وبطل إنليل، بشدّة عزمك
أيها البطل المهيب: أنت استوليت بنفسك
على سلطاتٍ كبيرة كالسماء!
أنت تملّكت يا ابن إنليل
سلطاتٍ واسعة كالأرض!
لقد استوليت لنفسك على سلطات الجبل
التي هي ثقيلة كالسماء
لقد تملّكت سلطات إريدو[١]
التي هي ثقيلة كالأرض!
وجعلت الآلهة ينحنون أمامك،
كما جعلت الأنونّا يمجّدونك(؟)

التذكير بمعركة نينورتا ضد الجبل

أي نينورتا، يا ذا البسالة التامة!
زوبعة [. . .] كان قرار السيّد
وزوبعة [. . .] كان عزم الإلّه نينورتا الثابت:
ضد الجبل المعادي [. . .]
ضدّ الأماكن المحصّنة في المنطقة المتمرّدة
[. . . . .]
متصلباً ورهيباً كان الإلّه [. . . . .]،

---

(١) (Eridu) مدينة الإلّه أنكي ويعني ذلك أن السلطة كانت في ذلك الوقت لمدينة نفّر ولسيدها الإلّه إنليل.

مستشيطاً غضباً في السماء وعلى الأرض [. . . .]،
[. . . . .]
[جَعَلتْ(؟)] إرادته الساخطة،
من الجبل جثّةً!
وهيبته التي لا رحمة فيها للعدو (جعلت)[. . . .]
وكثورٍ [. . . . .] قرنيه
مثل أُرويّ ومثل أيّل [. . . .]
وكثورٍ جبلي عملاق [. . . .]
شدّ إلى حزامه [. . . .] ـه،
سلاحه للمعركة!

غنائم انتصاراته

(الإله)، السيّد بشدّة بسالته،
نينورتا، ابن إنليل، بكبير بأسه،
(تمكّن) في المسكن ـ البراق ـ والرائع[1](؟)
من جرّ الأروية ذات الرؤوس ـ الستة؛
ومن أماكن الجبل المنيعة
سَحَب التنين المحبّ للحرب؛
ومن [. . .] في أقصى أعماق الهاوية
استخرج الماجيلوم[2]
ومن غبار معاركه
جرّ الثور الوحشي العملاق،
ومن أطراف الكون

(١) صفة للجبل، أي المنطقة المتمردة.
(٢) (Magilum).

استخرج الكوليانّا[١]؛
ومن أرض الجبل،
استخرج الجصّ(؟)
ومن الجبال المعوجة
استخرجَ النحاس المقاوِم
ومن على شجرة السنديان(؟) [. . .]
أسَرَ (الطائر) أنزو[٢]
ومن [. . .] الجبل
سحب الحيّة ذات الرؤوس السبعة!
[. . .] استعرضها جميعها!
و[. . .] أمر (؟) [. . .]
[. . .] غير مرتاح (؟) [. . .]
و[. . .] أمر [. . . .]
[. . .] قبض على بلطته ـ الحربية(؟)
[. . .] أمسك بـ [. . .]!
جعل المقدام [. . .] من الجبل جثّة ـ
الإلّه نينورتا مهدّم [. . .]
جعل من الجبل جثّة!
وبسورة غضبة جعل من
آلهة المنطقة المتمردة ركاماً!
وبشجاعته وقوّته،
روّى الإلّهُ غليلَ انتقامه(؟) .
وببسالته وقوته روّى

(١) (Kulianna).
(٢) (Anzu) ورد الشرح في الصفحة ٤٨ أعلاه.

الغنائم وعربته الحربية

على عربته البرّاقة التي تنشر رعباً مروّعاً،
علّق على المحور، ثيرانه المُقْتَنَصَة.
وعلى المجر، أبقاره المُغتنمة،
وعلى واقية الوحل (؟) الأروية ـ ذات الرؤوس ـ الستة
وعلى المقعد، التنين المحبّ للحرب
وعلى الحاضن (وضع) الماجيلوم
وعلى زَندي المِجرّ، الثور الوحشي العملاق
وعلى المِرقاة، الكوليانا
وعلى رأس المِجرّ، الجصّ (؟)
وعلى عارضة المِجرّ (وضع) النحاس المقاوِم
وفي مقدمة الهيكل، الأنزو
وعلى إطار ـ الهيكل اللمّاع (وضع)
الحية ـ ذات ـ الرؤوس ـ السبعة

نينورتا يتوجّه إلى نفّر

على هذه العَرَبة التي هي دوماً جاهزة للمعركة
اتخذ الإلّه نينورتا مكانه (للقيادة)
وأودان[1]، الإلّه ـ الذي ـ يرى ـ كل شيء(؟)
مع لوچال آن بدرا[2]، السيد ـ الملتحي،
كانا ـ يسبقانه

---

(١) (Udanne).
(٢) (Lugalanbadra).

بينما كان لوچال كوردوب[1]، رُعبُ الجبال
و[. . .] الإلّه نينورتا، يتبعه!
اتخذ عندئذٍ طريقه، (الإلّه) الذي من أسد الأبسو[2]
تلقّى سلطانه الرهيبة
والذي مُنح له في قلب السماء
إشعاع آن الذي لا يُحتمل
حتى الأنونا، الآلهة ـ العظام
ما كانوا قادرين على النظر إليه مواجهةً!
وبينما كان الإلّه يتقدم مثل الجائحة ـ
مثل جائحةٍ كان يتقدّم نينورتا،
مهدّمُ الأماكن ـ المنيعة في المنطقة المتمردة،
وكان يهدر كالزوبعة في أقصى الأفق.

ممثل إنليل يستقبل نينورتا لدى اقترابه من المدينة

ومع ذلك، وتلبية لنداء إنليل
كان بطل الآلهة هذا،
يتوجه نحو الإيكور
والبلاد ترتمي (؟) على قدميه
وحتى قبل أن يلتقي بنفّر، تحت السماء الرحبة،
خرج نوسكا[3] حاجب إنليل للقائه
وحيّا الإلّه نينورتا مردداً هذه العبارات:
«اعتنِ بنفسك أيها الإلّه والبطل الكامل

---

(١) (Lugalkurdub) مرافقو نينورتا.
(٢) المقصود هو أنكي إلّه الأبسو. ومقره في إريدو (Eridu) وهو هنا مانح السلطة لنينورتا، انظر السطر ١٢.
(٣) (Nuska).

أي نينورتا، أيها البطل الكامل، اعتنِ بنفسك
بريقك الرهيب ـ الخارق للطبيعة
غطى مثل رداء مَعْبَد إنليل!
بينما أنت، على عربتك ذات الصرير المتناغم،
تتقدم فتتداعى السماء وتتزعزع الأرض!
عندما ترفع ذراعك، ينتشر الظل
في كل مكان!
لا تجعل مجموعة الأنونّا[1]، الآلهة ـ العظام،
يتجمّدون خوفاً!
لا تُرعب أباك حتى في مسكنه.
حتى في مقرّه، لا ترعبْ إنليل،
لا تجعل قطّ الذعر يتملّك الأنونّا
وهم مجتمعون في قاعة ـ المجلس
أجْدَى بك أن تترك أباك يغمرك بالهدايا
من أجل شجاعتك وبأسك!
اترك إنليل يغمرك بالهدايا
من أجل شجاعتك وبأسك!
يا ذا السيادة! أنت «الفلّ» بيد آن[2]، الأول
بين الآلهة،
حامل ختم إنليل، الذي ألْهَمَهُ الإيكور[3]
أيها البطل، من أجل الإطاحة بالجبل،
أبوك لم يضطر إلى إيفاد
أي إله آخر لعونك ـ

(١) (Anunna) جموع آلهة سومر.
(٢) (An) إله السماء السومري.
(٣) (Ekur) بيت الجبل: مقر إنليل في نفر.

من أجل الإطاحة بالجبل، أي نينورتا
لم يضطر إنليل إلى إيفاد
أي إله لمعونتك!»

نينورتا يقدِّم غنائمه في معبد الإيكور

كانت تلك الكلمات لا تزال على شفاه نوسكا
حين أودع نينورتا
السوط والمحثّ في موضعهما،
(وأودع) بجانبهما هراوته: سلاحه الحربي
وولج معبد إنليل!
دافعاً فيه بالثيران المأسورة
ومعها الأبقار المُغتنمة
كما قدّم فيه أسلاب المُدن التي خرّبها!

إعجاب الآلهة ومديحهم لنينورتا

الأنونّا شُدهوا، [. . .]
وحتى إنليل، الجبل ـ الكبير[1]، انحنى أمامه،
آشمبابّار[2](؟) وقف أمامه بخشوع
والأم العظيمة ننليل، من مقرّها الكي ـ أور
أثنت عليه بهذه العبارات:
«أيها الثور ذو القرنين الرهيبين، يا ابن إنليل
إنك أطحت بالجبل!
أنت [. . .] أيها الإله المقدام
أنت [. . .] ت المنطقة المتمردة!»

---

(١) لقب الإله إنليل.
(٢) (Ashimbabbar) لقب آخر لإنليل.

فكانت إجابة الإلَه نينورتا:
«وحدي يا أمّاه. ما كنت لأستطيع [...]،
ما كنت لأستطيع وحدي [...] أي تنليل!
ولكن معك أنتِ [...] أنا وحدي [...]!
(معك أنتِ) ومن أجل معركة بضخامة السماء،
[لا أحد كان يمكنه] مجاراتي!

نينورتا يتباهى بانتصاراته ويمجّد نفسه

ومثل جائحةٍ [...]
[...] مِن هَدْم الجبل مثل كوخٍ من القصب!
ومثل فيضانٍ هائل
عمّمت الجبلَ معركتي:
«وبجسدٍ وعضلاتِ أسد»[1]
انقضَضْتُ على المنطقة المتمردة
والآلهة المذعورون فرّوا إلى الجبال
مصفقين بأجنحتهم مثل رفٍ من الطيور
ومثل ثيران وحشية طردت من مراعيها!
من يستطيع إذن مجابهة بريقي
الخارق للطبيعة، الكثيف كبريق آن؟
ولأنني سيّد الجبال الشديدة الانحدار
تشتّت آلهتها بعيداً (عني)!
ولأنني أخضعتُ تلك الجبال
من المرمر والعقيق واللازورد
توارتْ آلهتها الأنونّا مثل الفئران،

---

(١) مطلع نشيد لتمجيد إنانّا (Inanna) بصفتها إلَهة محاربة.

والآن وبعد أن برهنت عن
قدرتي الحربية في الجبل
فأنا أحمل على يميني سلاحي شارور[١]
وعلى يساري، أحمل سلاحي شارجاز[٢]
أحمل زوبعتي ـ ذات ـ النواطح ـ الخمسين
وهرواتي الرائعة
أحمل «زوبعتي ـ اللامردّ لها»،
هذا المحارب متسلق الجبال الشاهقة
أحمل مصدمتي ـ آجاسيليكّو[٣]:
التي تلتهم الجثث مثل تنين
أحمل هارسة الجبل:
هراوتي السماوية الثقيلة:
أحمل مقطعي ذا ـ الشفرات ـ السباعية:
المنتصر ـ على الجبل
أحمل شبكتي ـ للمعركة:
آلوخافو[٤] الجبل،
أحمل شِراكي للصيد، المثلوثة،
التي لم يستطيع الجبل الإفلات منها
أحمل مهدتي السباعية الرؤوس التي لا يتحملها
العدو، مثل ثعبان ـ بحري شرس
والتي هي فعالة في كل مكان، تسحق كل شيء
في المعركة الأكثر ضراوة

(١) (Sharur) سلاح نينورتا السحري.
(٢) (Shargaz).
(٣) (Agasilikku).
(٤) (Alluhhafu).

أحمل سيفي ذا الحدين،
ممزّق الجبل؛
أحمل نَبْوني - برؤوسه - الخمسين:
الذي هو جائحة محاربة
أحمل قوسي المكتسحة:
المُختصر الذي ينهك الرجال
أحمل عصاي الراشقة وترسي
مهدماً معابد المنطقة المتمردة،
أحمل رمحي، معين المحاربين
أحمل «جارفة تسوية الجبل»،
التي لها بريق يوم مضيء
أحمل الذي «لا مفر - منه - لأي عدو»
المساند الكلي للشعوب،
أحمل ما ضياؤه الخارق للطبيعة
يغطي الأرض
ملائماً ليميني بشكل رائع،
التحفة المصنوعة من الذهب واللازورد
مساعدتي التي تشده المتأمل فيها،
أحمل السلاح الرائع والمدهش والممتاز،
الأمين في المعركة والذي لا شبيه له
الملائم في المعمعة لقبضتي بشكل تام.
هراوتي - ذات الرؤوس - الخمسين
هراوتي - ذات الرؤوس - الخمسين، التي كحريق
هائل، تلتهم المنطقة المتمرّدة!

طلب نينورتا الموجه إلى إنليل لتكريس تفوقه

فليستقبلْ أبي في معبده
عدّتي الحربية
وليغسل إنليل أسلحتي المجيدة وفقاً للطقوس!
وليبثر الماء المقدس على (الأسلحة)
التي حملتها ذراعاي الرهيبتان!
وفي قاعة العرش ليعدّ
من أجلي مكاناً مجيداً
ويرفع على منصته عربتي الرائعة،
كادناً عليها مثل ثيران قَرنِةٍ،
المحاربين الذين أسرتهم بيدي.
وليجعل الملوك الذين سجنتهم، يقومون
بإجلالي مثل نور السماء
لأنني، أنا هو، المقدام الفريد، الذي
لا يضاهيه في الجبل أحد.
أنا نينورتا، ولدى سماع اسمي
فليسجد الجميع!
أنا ابن إنليل الكلّي القدرة، ذو رأس
الأسد الذي ولده (أبوه) في عزّ قوته.
أنا الزوبعة تحت السماء، «القيد» بيد الآلهة،
والوحيد الذي فضّله آن، في تفوّق (سلطته)
أنا الهراوة التي هدّمت الجبل،
أصبحتُ في الأعالي، جديراً بالسيادة
أنا السلاح المقتدر في المعركة الذي تحركه أناثا،
أنا الشجاع المؤهّل من قبل أنكي للسلطات الكبرى!

فليُعترف بتفوّقي
حتى أطراف الكون!
ولأحظَ بفائق الاحترام
أنا الأكثر موهبة بين الآلهة!

تمنيات نينورتا بالنسبة لنفّر ومعبدها

فلتشمخ مدينتي الحبيبة، نفّر المكان المقدس
ولترّفع ذروتها حتى السماء
ولتتفوق على مدن إخوتي!
وليرتفع معبدي مثل موجة عالية
تفوق ارتفاع معابد إخوتي!
ولتصبح منطقة مدينتي
بئر - الماء - العذب لسومر!
وليأتِ إخوتي الآلهيون الأنونّا
إليها للسجود
ولتعشّش فيها عصافيرهم
ولينعم تحت ظلالي، الذين
يلتجئون إليها!»

مغادرة نينورتا لمعبد إنليل وتقبله التماساً من أجل الملك

عندما غادر نينورتا معبد إنليل
فالمخلص - ذو - الوجه - الأكثر من - مضيء
نينكارنونّا[1] لدى سماعه
الإعلان اللطيف

---

(١) (Ninkarnunna) أحد المقربين إلى الإله نينورتا.

توجّه مسرعاً نحو الإلّه
وقدم إليه الالتماس التالي:
«سيدي، فليرافقك السلام
أنت ومدينتك المحبوبة
ليرافقك السلام مع مدينتك المحبوبة
أيها الإلّه نينورتا ـ
ليرافقك السلام أنت ونفّر المكان المقدس
مدينتك المحبوبة!
عندما ستدخل شخصياً في الأيشوميشا[1]
معبدك الحبيب،
إلى قرينتك نين ـ نيبرو[2] الفتية
قلْ ما يحمله قلبك
قلْ لها ما تكنّه بداخلك
وأبلغها لمصلحة الملك
بقرارٍ حسن ودائم تتخذه من أجله!»

نينورتا يستجيب لطلبه

هكذا نينكارنونّا ابن الأمير
حين تلفّظ بهذا الالتماس
الذي تعرض فيه للرخاء
فإنه أثلج بذلك صدر نينورتا
الملك، وعندما، قصد نينورتا إظهار
امتلاكه للسلطات الأبدية

(١) (E.Shumesha) جناح نينورتا في معبد أبيه إنليل في نفّر.
(٢) (Nin.Nibru) بمعنى سيدة نيبرو أي سيدة نفر ولا ذكر هنا للآلهة باوا (Bawa) ومقر نينورتا في لغش.

تقدم أمام الجميع من الإيشوميشا
ويرضيّ،
وجّه إلى نينكارنونّا نظرةً حسنة
وعندما دخل شخصياً إلى الإيشوميشا،
إلى قرينته نين - نيبرو الفتية
قال ما كان يحتويه قلبه
قال لها ما كان يكنّه بداخله:
وأعلمها بقراره الملائم والدائم
الذي اتخذه لمصلحة الملك!
وهكذا تمكن المقدام ذو الجدارة الفائقة
نينورتا ابن إنليل
تمكن من إقامة عظمته في حَرَم إنليل!

الخاتمة

أيها الإلّه، يا مهدم الجبل الذي لا مثيل له،
أنت الذي بعنفوان رميت بنفسك
في تلك المعركة الهائلة
أيها المحارب العظيم، يا بن أعمالك،
يا جائحة إنليل الكلية القدرة،
أي نينورتا، أنت المنتصر، وليد الإيكور
يا فخر الأب الذي ولدك
كم هو عذب الاحتفال بك!

تصنيف النشيد

هذا نشيد شير - سود، تمجيداً لنينورتا.

الفصل الثاني

(٢) ـ السلطة والولاء

(٢ ـ ١) ـ الولاء لإنليل

١ـ أشارت النصوص التي تم استعراضها في بداية هذا الكتاب إلى أن الإلّه إنليل، سيد مجمع الآلهة في سومر، كان الإلّه الذي يمتلك السلطة العليا، فهو «الجبل الكبير»[١] وهو «سيد البلاد كلّها»[٢]، وهو بالتالي الإلّه الذي يتجه إليه ولاء الآخرين. ويتضح ذلك من النصوص التي سنستعرضها من ضمن هذه الفقرة.

وإذا ما تحدثنا عن سلطة الإلّه إنليل وتفوّقه، فإن ذلك يعني في الوقت نفسه، السلطة والأولوية لمدينته نفّر[٣] التي هو حاميها والتي اختارها مقراً له وأقام فيها معبده الإيكور[٤]، «بيت الجبل».

في ذلك الوقت، كانت الحضارة والسلطة تدوران حول المعبد وكانت مركزية المعبد، والسلطة الإلّهية الممنوحة للملك، هي الأساس في الحكم. وكان المعبد إذاك يمثل المؤسّستين الدينية والاقتصادية في الوقت نفسه، إلى أن أصبح القصر فيما بعد وليس المعبد، مشرفاً على اقتصاد البلاد وإدارتها، كما أمكن استنتاج ذلك من أهمية

---

(١) النص رقم (٧٥).
(٢) النص رقم (٧٦).
(٣) (Nippur) مدينة الإلّه إنليل.
(٤) (E.kur) معبد إنليل في نفّر.

الوثائق الملكية في مدينة ماري[1] وكما أثبتت ذلك بشكل خاص مكتشفات مدينة إيبلا[2]، التي قدمت لنا برهاناً ساطعاً على «حداثتها» من هذه الناحية.

٢ ـ عندما عاد نينورتا منتصراً من حملته ضد الجبل، المنطقة المتمردة، عاد إلى نفّر، مدينة والده إنليل، مقدماً له ولاءه ومطالباً لنفسه بسلطات جديدة. كما أنه تمنى الازدهار لمدينة نفّر، لكي تفوق المدن الأخرى، «مدن إخوته»، ولتصبح «بئر الماء العذب لسومر»؛ وقد اتضح لنا ذلك بشكل لا ينقصه حُسن التعامل والانفتاح نحو المدن الأخرى، كما ورد ذلك في النص رقم (٨٠)[3].

٣ ـ أما المدن الأخرى، التي كانت تتوجه أنظارها نحو مدينة نفّر في سعيها لكسب بركة إنليل، «لكي تفيض أماكنها سمناً وعسلاً وخمراً»، فيعددها لنا النص رقم (٨١) حين يروي لنا رحلة الإلّه القمر نانّا ـ سوئين[4] من مدينة أور[5] إلى نفّر، على سفينته الخاصّة، المحمَّلة بالهدايا لمدينة نفّر، ماراً بخمس مدنٍ أخرى تقع إلى الجنوب الشرقي منها.

وفي ما يتعلق بفن بناء السفن في ذلك الوقت، فإن النص نفسه يقدم لنا الكثير من التفاصيل عن بناء سفينة الإلّه القمر التي أعدَّها خصيصاً لهذه الغاية دون إغفال الإشارة إلى مصادر موادها.

٤ ـ كما يعلمنا النص رقم (٨٢) الذي نقدّمه من ضمن هذه الفقرة، عن كيفية قيام الإلّه أنكي[6] بإشادة مقرّه في أبسو[7] إريدو[8]، المكان المقدس وهو البيت «الذي أقامه كَجَبَلٍ فوق البلد المسطح» وتوجه بعد ذلك إلى نفّر ونال بركة الإلّه إنليل على عمله. وهنا أيضاً، لا يغفل هذا النص عن تقديم بعض التفاصيل الخاصة بتزيين المعبد وقدسيته وبخاصة عن البهجة التي ينشرها حين تصعُد مجموعة الآلات الموسيقية فيه

(١) (Mari) (تل الحريري) إلى الشمال الغربي على مقربة من مدينة البوكمال السورية على الفرات.
(٢) (Ebla) (تل مرديخ) في منطقة إدلب السورية بجوار سراقب.
(٣) راجع الأسطر (١٧٠ ـ ١٧٦).
(٤) (Nanna-Su'en) نانّا هي التسمية السومرية للإلّه القمر وسوئين بمعنى «ذو الشروق المضيء» هي صفة لنانّا. ومنها اشتقت التسمية الأكادية سين (Sin).
(٥) (Ur) مدينة نانّا على بعد حوالى ١٦٠ كلم إلى الجنوب الشرقي من نفّر.
(٦) (Enki) إلّه الحكمة والخلق ومهارة الصنع.
(٧) (Apsu) محيط المياه العذبة الباطنية التي يطفو عليها قرص الأرض وهي مقر أنكي.
(٨) (Eridu) هي المدينة الواقعة على بعد حوالى ١٠ كلم إلى الجنوب الغربي من أور.

أنغامها العذبة، تمجيداً لأنكي.

٥ ـ وإذا ما كان الولاء لإنليل، هو ما أشارت إليه النصوص السابقة، فإن نصوصاً أخرى تتعلق ببناء الحضارة وبتنظيم البلاد، نثبتها في فقرة مستقلة، تشير إلى انتقال الولاء إلى الإلّه أنكي، سيد الذكاء والمعرفة ومهارة الصنع، وهو الذي في مناسبات عديدة سبق عرضها في الكتابين الأول والثاني ينقذ الآلهة من مآزقهم الجماعية، باقتراح الحلول المناسبة وخلق ما يلزم لتحقيق ذلك.

وما يهمنا هنا، ليس بحث الولاء وانتقاله، بل تقديم النصوص التي من شأنها إعلامنا عن مشاركة الإلّه أنكي في بناء الحضارة في سومر.

٦ ـ وعن الولاء لإنليل ولمدينة نفّر، تقدم هذه الفقرة النصّين التاليين:

النص رقم (٨١) ـ من أور إلى نفّر أو زيارة الإلّه القمر لإنليل.

النص رقم (٨٢) ـ أنكي وبناء البيت.

(٨١) ـ من أور إلى نفّر:
زيارة الإله القمر لإنليل

١ ـ يعود نص زيارة الإلّه القمر نانًا ـ سوئين[١] إلى نفّر، إلى الفترة البابلية القديمة (حوالى ١٧٠٠ ق.م.)، وقد عُثر على معظم أجزائه في حفريات نفّر، وهو يقع في ٣٥٢ سطراً.

يتخلل النص مقطعان مفقودان، لا يعيقان تفهّم معناه الإجمالي.

٢ ـ زيارة الإلّه القمر نانًا سوئين إلى نفّر، هي كما أسلفنا، في تقديم هذه الفقرة، زيارة ولاء وبركة تجاه الأب إنليل. وتنعكس هذه البركة بشكل طبيعي على مدينة أور وملكها.

٣ ـ من المفيد تذكير القارىء بأن النص رقم (٢) من الكتاب الأول روى لنا ولادة الإلّه سين أو سين ـ آشيمبابار[٢] بنتيجة اتحاد الإلّه إنليل مع الإلّهة نينليل.

٤ ـ يحتوي هذا النص على معلومات دقيقة حول بناء سفينة الإلّه القمر ومصادر موادها، وكذلك عن لائحة الهدايا التي تحملها السفينة المتوجهة من أور إلى نفّر مما يدلّنا على عادة تبادل الهدايا بين المدن أو بين آلهتها منذ ذلك الوقت.

---

(١) (Nanna-Su'en) ورد في الحاشية (٤) من الصفحة ١٢٤.

(٢) (Sin-Ashimbabbar) سين هو الاسم الأكادي للإلّه القمر واشيمبابار هي صفته بالسومرية ومعناها: ذو الشروق المضيء وتقابلها سوئين الأكادية.

قرار نانّا ـ سوئين زيارة نفّر

إلى مدينة أمّه
[توجّه] البطل نانّا ـ سوئين
سوئين ـ آشيمبابّار
[توجّه] إلى مدينة أمّه
إلى مدينة أمه وأبيه
نانّا ـ سوئين قرر التوجّه.
إلى مدينة إنليل ونينليل
آشيمبابّار، قرر التوجه.
(قال) «أنا البطل إلى بلد (منشأي)
أريد الذهاب.
سوف أذهب إلى مدينتي: سوف أقابل أبي
أنا سوئين، سوف أذهب إلى مدينتي!
سوف أذهب إلى مدينتي، سوف أقابل أبي ـ
سوف أقابل أبي إنليل!
سوف أذهب إلى مدينتي: سوف أقابل أمي(!)
سوف أقابل أمي نينليل!
(إلى مدينتي سوف أذهب:)
سوف أقابل أبي!
أيتها المدينة المنوّرة[1]، المكان المقدس

ستة أسطر مفقودة

متسـ[ـعة........]
متسـ[ـعة........]

---

(١) المدينة المقصودة هي نفّر مدينة الأب إنليل.

متسـ[ـعة........]
متسـ[ـعة........]
يا مدينتي [نفّر]، حيث تنتصب في مكان مبارك،
أشجار الكيشكانو[١] الداكنة
يا [معبدي في نفّر] حيث أشجار الكيشكانو
[يا مدينتي نفّر]، ذات الصحن الرحب التجاوب!
يا معبدي في نفّر، ذو الاسم الميمون!
يا مدينتي نفّر، ذات الصحن الرحب التجاوب!
يا معبدي في نفّر، ذو الاسم الميمون!
مدينتي حيث كان ينمو النخيل
قبل أن تأتي دلمون[٢] إلى الوجود!
يا نفّري، حيث كان ينمو النخيل
قبل أن تأتي دلمون إلى الوجود!
حيث نينليل، الأم العظيمة
تلبس الكتان الثمين!

سوئين يعد لبناء سفينة ملكية

سوئين [من أجل أن يبني لنفسه(؟)] «سفينة ملكية»
[من أجل أن يعدّ لنفسه (؟)] سفينة ملكية
أوفَدَ من يستجلب حُزَم القصب!
من أجل الحصول على قصب السفينة
نانّا ـ سوئين أوفد مكلّفاً إلى تومّال[٣].
من أجل قار السفينة

---

(١) (Kishkanu).
(٢) (Dilmun) منطقة البحرين وردت قصة إحيائها في النص رقم (١) من الكتاب الأول.
(٣) (Tummal) المدينة القريبة من نفّر والواقعة على بعد حوالى ٨ كلم إلى الجنوب.

أوفد آشيمبابّار مكلّفاً إلى الأبسو[١].
من أجل حُزَم الحَلْفاء
أوفد نانّا ـ سوئين مكلّفاً إلى دو ـ آشاجا[٢].
من أجل أعواد عاجنها، أوفد
آشيمبابار مكلفاً إلى غابة الأرز.
من أجل أخشاب حسن انسيابها
أوفد [نانا ـ سوئين] [مكلفاً] إلى غابة كونونا[٣].
[من أجل تثبيت ألواح دفتها (؟)، أوفد
آشيمبابار مكلّفاً] إلى جبل الأرز ذي الأريج
[من أجل أخشاب أرضية سطحها]،
أوفد آشيمبابّار مكلّفاً إلى غابة إيبلا[٤]
من أجل أخشابها من تنوب الصنوبر
أوفد نانا ـ سوئين مكلفاً
إلى غابة الأرز ذي الأريج
من أجل [. . .] من العرعر
أوفد آشيمبابّار مكلفاً إلى لانجي[٥]
من أجل [. . .] من القصب
أوفد آشيمبابّار مكلفاً إلى [. . .]
من أجل [. . .] من القصب،
أوفد نانا ـ سوئين مكلفاً، إلى [. . .]

---

(١) (Apsu) منطقة مدينة إريدو مقر آنكي حيث محيط المياه العذبة.
(٢) (Du-Ashaga).
(٣) (Kununa).
(٤) (Ebla) المدينة القديمة التي تم اكتشافها في منطقة ادلب السورية (تل مرديخ).
(٥) (Langi).

حينما جُلب القصب من أجل السفينة من توممال
إلى نانّا ـ سوئين؛
ومن الأبسو حين جُلب القار من أجل السفينة
إلى آشيمبابار؛
ومن دو ـ أشاچا حين جُلبت حُزَم الحلفاء
إلى نانا ـ سوئين،
ومن غابة الأرز، حين جلبت
أعواد معاجن السفينة إلى آشيمبابار،
ومن غابة الكونونا حين جلبت أخشاب حسن انسيابها،
إلى نانا ـ سوئين؛
ومن جبل ـ الأرز ـ ذي الأريج حين
جلبت ألواح تثبيت دفتها(؟) إلى آشيمبابار،
ومن غابة إيبلا، من أجل أخشاب أرضية سطحها،
حين جلبت إلى آشيمبابار؛
ومن غابة الأرز ـ ذي ـ الأريج، من أجل أخشاب التنوب
حين جُلبت (إلى) نانا ـ سوئين،
ومن لا نجي [. . .] من العَرْعر
حين جُلبت إلى آشيمبابار؛
[ومن من [. . .] [. . .] ها
حين جُلبت إلى آشيمبابار
ومن أجل [. . .] من القصب من [. . . .]
حين جلبت إلى نانا ـ سوئين؛
[. . .]
عندها كان آشيمبابار راضياً عن ذلك!

وضع [. . .]
وكان نانا ـ سوئين راضياً عن ذلك
(الأسطر (٨٣ ـ ١٦٤) غير كاملة أو مفقودة ويتعذر نقلها. ومن الأرجح أنها كانت تشير إلى بناء السفينة وبداية الرحلة).

«أنا [نانا ـ سوئين]،
أريد [التوجه؟] إلى مقر إنليل [ ]
أنا بنفسي، آشيمبابار، إلى مقرّ إنليل
[. . .] أريد التوجه
(الأسطر (١٥١ ـ ١٥٥) مفقودة)

لائحة الهدايا المعدة لمعبد إنليل

[نانا ـ سوئين، اتخذ طريقه إذن
نحو مقر إنليل.
كان يصطحب قطعاناً من الثيران والماشية،
من أجل مقر إنليل.
آشيمبابار [كان يصطحب] النعاج المسمّنة،
من أجل مقر إنليل.
أفرغ (؟) نانا ـ سوئين؟ حظائره
من أجل مقرّ إنليل،
أطعم آشيمبابار الجريش المسمّن لماعزه،
من أجل مقرّ إنليل،
[. . .] نانا ـ سوئين الشياهم[١]،
إلى مقر إنليل.
[. . . .] نانا ـ سوئين الجرْذان السنجابية،

(١) القنافذ.

إلى مقر إنليل.
[. . .] آشيمبابار، إلى
مقر إنليل.
[. . . .] نانا ـ سوئين فراخ الكودا[١]
إلى مقر إنليل.
اصطحب آشيمبابار من مدجنته(؟)
طيوراً ـ صغيرة [. . .]
إلى مقر إنليل.
من مدجنته (؟) اصطحب نانا ـ سوئين،
صغار الآزانچونو[٢]
إلى مقر إنليل.
كدّس آشيمبابار(؟) سمك الشبوط الضخم
من أجل مقر إنليل.
[. . .] نانا ـ سوئين، شبوط المستنقعات [. . .]
إلى مقر إنليل.
أعدّ آشيمبابار بلا حساب الزيوت والجعة المهدئة
من أجل مقر إنليل.
ملأ نانا ـ سوئين سلالاً من البيض
[من أجل] مقر [إنليل]
[استحصل آشيمبابار] على فروع قصب (غضّة)
ونبتات فتيّة، من أجل مقر إنليل.
أبعد (نانا ـ سوئين) عدداً كبيراً من النعجات
عن حملانها،

---

(١) (Kuda)
(٢) (Azangunu).

وجعل أكباشه تنزو عليها
من أجل توزيعها على ضفاف التورونچال[١]
[وهو في طريقه نحو] مقر إنليل.
كما [أبعد] آشيمبابار عدداً كبيراً من العنزات
عن جديانها،
وجعل تيوسه تنزو عليها
من أجل توزيعها على ضفاف التورونچال
[وهو في طريقه نحو] مقر إنليل.
وأبعد نانا ـ سوئين، أبعد عدداً من البقرات
عن عجولها،
وجعل ثيرانه تنزو عليها،
من أجل توزيعها على ضفاف التورونچال
[وهو في طريقه نحو] مقر إنليل.

مراحل السفر ومحاولات المدن الواقعة على الطريق النهري الاستئثار بحمولة القافلة

عندما وصلت مقدمة الموكب إلى إينيجي[٢]،
كانت المؤخرة [لا تزال في أور][٣]
والتي لم يسبق أن غادرت قط، أن غادرت قط معبدها
خرجت منه حينذاك،
نينجيريدا[٤] التي لم تكن قط تغادر معبدها
خرجت منه:

---

(١) (Turungal) المجرى القديم للفرات بين مدينة لارسا (Larsa) القديمة وضاحية نفّر الشمالية.
(٢) (Enegi) المحطة للأولى باتجاه نفر وهي على بعد حوالى ١٢٠ كلم منها.
(٣) (Ur) مدينة الإلّه القمر على بعد ١٦٨ كلم تقريباً من مدينة نفر.
(٤) (Ningirida) إلّهة مدينة (Enegi) وقرينة (Ninazi).

«أهلاً! أهلاً! أهلاً! (قالت للسفينة)
أهلاً بسفينة سوئين! أهلاً بالسفينة!»
صعدت إلى [ظهر السفينة الملكية]
وتوجهت نحو مخزن الطحين(؟)
وسكبت من [ ]!
ثم اقتربت (؟) من [حوض] الجعة
وسحبت بيدها سدادته، من خشب البقس!
«هذه السدادة (قالت):
سوف أمسحها بالزيوت الثمينة المهدئة!
لكي يفيض هذا المكان سمناً وعسلاً وخمراً،
وحتى سَمكُ الشبّوط ـ الضخم وشبّوط المستنقعات،
[لكي يرتَعِصَ فرحاً(؟)] أمام مقدمة السفينة!»
ولكن السفينة لم تتخلَّ لها عن حمولتها:
«[أنا في طريقي] إلى نفّر!» (قالت السفينة).

عندما وصلت مقدمة الموكب إلى لارسا[1]،
كانت المؤخرة لا تزال في إينيجي
والتي لم يسبق أن غادرت قط، أن غادرت قطّ معبدها
خرجت منه حينذاك
شيريدا[2]، التي لم تكن قطّ تغادر معبدها
خرجت منه (حينذاك)
«أهلاً! أهلاً! أهلاً! (قالت للسفينة،
أهلاً! بسفينة أبي، أهلاً بالسفينة!»

---

(١) (Larsa) المحطة الثانية باتجاه نفّر وهي تقع على مسافة حوالي ١٢٠ كلم منها على مسار دائري تتبعه السفينة بعد إينيجي.
(٢) (Sherida) إلّهة مدينة لارسا وهي هنا قرينة شمش.

إلى ظهر السفينة الملكية صعدت
وتوجّهت نحو مخزن الطحين(؟)
وسكبت من [. . .]
ثم اقتربت (؟) من حوض الجعة
وسحبت بيدها سدادته، من خشب البقس
«هذه السدادة (قالت) سوف أمسحها بالزيوت الثمينة المهدّئة!
لكي يفيض هذا المكان سمناً وعسلاً وخمراً،
وحتى سمك الشبوط الضخم وشبوط المستنقعات،
[لكي يرتعص فرحاً (؟)] أمام مقدمة السفينة!»
ولكن السفينة لم تتخل لها عن حمولتها:
[«أنا في طريقي] إلى نفّر» (قالت السفينة).
عندما وصلت مقدمة الموكب إلى أوروك[١]
كانت المؤخرة لا تزال في لارسا.
والتي لم يسبق أن غادرت قط، أن غادرت قط معبدها
خرجت منه حينذاك.
إنانّا[٢] المقدسة التي لم تكن قط تغادر معبدها،
خرجت منه (حينذاك)
«أهلاً! أهلاً! أهلاً! (قالت) للسفينة
أهلاً بسفينة سوئين، أهلاً بالسفينة!»
إلى ظهر السفينة الملكية صعدت،
وتوجّهت نحو مخزن الطحين (؟)
وسكبت من [. . .]
ثم اقتربت (؟) من حوض الجعة

---

(١) (Uruk) مدينة المحطة الثالثة على بعد حوالى ١٠٣ كلم من نفّر.
(٢) (Inanna) إلّهة الحب والخصب.

وسحبت بيدها سدادته من خشب البقْس،
«هذه السدادة (قالت) سوف أمسحها بالزيوت الثمينة المهدِّئة!
لكي يفيض هذا المكان سمناً وعسلاً وخمراً،
وحتى سمك الشبّوط ـ الضخم وشبّوط المستنقعات،
[لكي يرتعص فرحاً(؟)] أمام مقدمة السفينة!»
ولكن السفينة لم تتخل لها عن حمولتها:
[«أنا في طريقي إلى نفّر» (قالت السفينة).

عندما وصلت مقدمة الموكب إلى شوروپّاك[1]
كانت المؤخرة لا تزال في أوروك
والتي لم يسبق لها قط، لم يسبق لها قطّ أن غادرت معبدها
خرجت منه حينذاك،
نين أونو[2] التي لم تكن قطّ تغادر معبدها
خرجت منه (حينذاك)
«أهلاً! أهلاً! أهلاً! (قالت) للسفينة،
أهلاً بسفينة سوئين، أهلاً بالسفينة!»
إلى ظهر السفينة الملكية صعدت،
وتوجّهت نحو مخزن الطحين (؟)
وسكبت من [. . .]
ثم اقتربت(؟) من حوض الجعة
وسحبت بيدها سدادته من خشب البقْس،
«هذه السدادة (قالت) سوف أمسحها بالزيوت
الثمينة المهدئة

(١) المحطة الرابعة وهي مدينة الطوفان السومري وتبعد حوالى ٦٠ كلم عن نفّر. (Shuruppak)
(٢) إلّهة شوروپّاك، وقرينة (Ninsazu). (Ninunu)

لكي يفيض هذا المكان سمناً وعسلاً وخمراً
وحتى سمك الشبّوط ـ الضخم وشبّوط المستنقعات،
[لكي يرتعش فَرَحاً(؟)] أمام مقدّمة السفينة!
ولكن السفينة لم تتخلَّ لها عن حمولتها:
«أنا في طريقي إلى نفّر» (قالت السفينة).

عندما وصلت مقدمة الموكب إلى تومّال[1]
كانت المؤخرة لا تزال في شوروباك
والتي لم يسبق لها قط، لم يسبق لها قط أن غادرت معبدها،
خرجت منه حينذاك
نينليل[2] المحبوبة، التي لم تكن قط تغادر معبدها
خرجت منه (حينذاك)
أهلاً! أهلاً! أهلاً! (قالت) للسفينة.
أهلاً بسفينة ابني الأمير، أهلاً بالسفينة!»
إلى ظهر السفينة الملكية صعدت
وتوجهت نحو مخزن الطحين(؟)
وسكبت من [. . .]
ثم اقتربت (؟) من حوض الجعة
ومسحت بيدها سدادته من خشب البقْس
«هذه السدادة (قالت) سوف أمسحها بالزيوت،
الثمينة المهذّبة،
لكي يفيض هذا المكان سمناً وعسلاً وخمراً
وحتى سمك الشبوط ـ الضخم وشبوط المستنقعات

(١) (Tummal) المحطة الخامسة والأخيرة للسفينة وهي قرية من نفر وتبعد عنها حوالي ٨ كلم.
(٢) (Ninlil) آلهة تومال وهي قرينة إنليل وأم نانا ـ سوئين.

لكي يرتعص فرحاً (؟) أمام مقدّمة السفينة!»
ولكن السفينة لم تتخلّ لها عن حمولتها
«أنا في طريقي إلى نفّر» (قالت السفينة).

عندما وصلت مقدمة الموكب إلى نفّر
كانت المؤخرة لا تزال في تومّال
على الرصيف البهيّ، رصيف إنليل
رست سفينة نانا ـ سوئين
على الرصيف البهيّ، رصيف إنليل،
رست أخيراً سفينة آشيمبابار:
توقف (آشيمبابار) عند مدخل معبد أبيه
الذي ولده،
عند ذلك نادى بوّاب أبيه:
إفتح المعبد أيها البواب! إفتح المعبد!
[إفتح] المعبد يا كلكال[1]، إفتح المعبد!
أيها الحاجب [كلكال]! إفتح المعبد!
أيها [الحارس]: أيها الحاجب ـ إفتح المعبد!
إفتح المعبد أيها البواب كلكال! إفتح المعبد!
جلبتُ الثيران والماشية قطعاناً
من أجلي، أنا نانّا سوئين، إفتح المعبد،
معبد إنليل أيها البواب،
[جلبت معي؟] النعاج المسمّنة:
من أجلي أنا، آشيمبابار إفتح المعبد،
معبد إنليل أيها البواب!

(١) (Kalkal) بواب معبد إنليل في نفّر.

أفرغت حظائري :
من أجلي أنا، نانّا سوئين، إفتح المعبد،
معبد إنليل أيها البواب!
أطعمت ماعزي الجريش المسمّن(؟)
من أجلي أنا، آشيمبابار، إفتح المعبد،
معبد إنليل أيها البواب!
(أنا . . . .) الشباهم :
من أجلي أنا، نانّا ـ سوئين، إفتح المعبد،
معبد إنليل أيها البواب!
أنا آشيمبابار [. . . ـه] الجرذان السنجابية :
من أجلي أنا، آشيمبابار، إفتح المعبد،
معبد إنليل أيها البواب!
[أنا . . .] فراخ ـ الكودا :
من أجلي أنا، نانّا ـ سوئين، إفتح المعبد،
معبد إنليل أيها البواب!
جلبت من مدجنتي؟ طيوراً صغيرة [ ]
من أجلي أنا، آشيمبابار، إفتح المعبد،
معبد إنليل أيها البواب!
جلبت من مدجنتي (؟) فراخ الآرانجوتو :
من أجلي أنا، نانّا ـ سوئين، افتح المعبد،
معبد إنليل أيها البواب!
جلبت أكداساً(؟) من سمك الشبوط ـ الضخم
من أجلي أنا ، آشيمبابار، إفتح المعبد،
معبد إنليل أيها البواب!
أنا [. . .] شبوط المستنقعات :
[من أجلي أنا]، نانّا سوئين، إفتح المعبد،

معبد إنليل أيها البواب!
جلبت بلا حساب الزيوت والجعة المهذّبة
من أجلي أنا، آشيمبابار، إفتح المعبد،
معبد إنليل أيها البواب!
ملأت سلالاً من البيض!
من أجلي أنا، نانا ـ سوئين، إفتح المعبد
معبد إنليل أيها البوّاب!
استحصلت على فروع قصب (غضّة)
ونبتات فتية:
من أجلي أنا، آشيمبابّار إفتح المعبد،
معبد إنليل أيها البوّاب!
أبعدت عدداً كبيراً من النعجات عن حملانها
وجعلت أكباشي تنزو عليها،
بغية توزيعها على ضفاف التورونچال:
من أجلي أنا، نانّا ـ سوئين [إفتح المعبد]،
معبد إنليل أيها [البوّاب]!
أبعدتُ عدداً كبيراً من العنزات عن جدياتها
وجعلتُ تيوسي تنزو عليها،
[بغية توزيعها على طول] ضفاف التورونچال:
من أجلي أنا، آشيمبابار، إفتح المعبد،
معبد إنليل، أيها البوّاب!
أبعدت عدداً كبيراً من البقرات عن عجولها،
وجعلتُ ثيراني تنزو عليها،
بغية [توزيعها على طول] ضفاف التورونچال
من أجلي أنا، نانّا ـ سوئين [إفتح المعبد]،
معبد إنليل أيها [البواب]،

إفتح المعبد، أيها البواب كلكال، إفتح المعبد!
وسوف أمنحك هدية تدشين،
ما يوجد في مقدمة السفينة
وكهديّة وداع، ما يوجد في مؤخرتها
وبفرح شديد، بفرح شديد، فتح البواب
(عند ذلك) المعبد، يملؤه الفرح!
الحارس كلكال يملؤه الفرح
وبكل بهجةٍ فتح البواب (عند ذلك) المعبد
كلكال، رجل المزلاج، والفرح يملأ قلبه،
بفرح شديد فتح البواب (عند ذلك) المعبد.

إنليل يُعجب بالهدايا ويعدّ مأدبة لابنه سوئين

وفي معبد إنليل، أمام الجبل الكبير
قدم نانا ـ سوئين قرابينه.
وإذْ حازت الهدايا على إعجاب إنليل،
أمر بإعداد مأدبة لابنه سوئين
وإرضاه عن سوئين، أعلن بعذوبة:
«قدّموا لهذا الشاب الحلوى: إنّه يُحبّها!
قدّموا «لنانّا ـ أبيه» الحلوى: إنّه شديد الرغبة فيها
أخرجوا لنا من الإيكور، ما يتيح لنا
أحسنَ القصوف!
اسكبوا له من جعتي الأكثر جودة،
أعدّوا له دنّ الجعة
ثابتاً على قواعده والمسمّى [...]!

إصنعوا من أجله الحلوى (وأعدوا) الخبز [. . .] والماء البليل»

نانا ـ سوئين يشكر أباه ويعرض مطالبه

فأجاب سوئين أباه ومولّده:
«أي أبي ومولّدي، ما قدّمته لي من المآكل
غمرني (حقاً)!
أي أبي ومولّدي، أيها الجبل الكبير،
ما قدّمت لي من الشراب
غمرني (حقاً)
أينما وقع نظرك تمتد سيادتك!
كم هو رحب خيرك (؟) أي إنليل!
إمنحني إياه يا إنليل، إمنحني إياه
لكي أعود إلى أورا
إمنحني فيض النهر،
لكي أعود إلى أورا
إمنحني الحبَّ حتى زمن متأخرٍ في حقولي،
لكي أعود إلى أورا
إمنحني شبّوط المستنقعات والشبّوط ـ الضخم في أحواض التربية،
لكي أعود إلى أورا
إمنحني القصب (الغضّ) والنبتات الفتيّة في المقاصب
لكي أعود إلى أور
إمنحني الأرويّات والعنز البري في الأجمات،
لكي أعود إلى أورا
إمنحني المشجور[١] في الأرياف،

(١) (Mashgur) نوع من الشجر يُعتقد أنه الطرفاء.

لكي أعود إلى أور!
إمنحني أنواع الشراب والخمور في البساتين،
لكي أعود إلى أور!
إمنحني (أخيراً) الحياة المديدة في القصر الملكي
لكي أعود إلى أور!

إنليل يستجيب

ومنحه إنليل: منحه كل ذلك،
قبل عودته إلى أور!
منحه فيض النهر
قبل عودته إلى أور!
منحه الحبَّ حتى زمن متأخر في الحقول
قبل عودته إلى أور!
منحه شبّوط ـ المستنقعات والشبّوط الضخم في أحواض التربية
قبل عودته إلى أور!
منحه القصب (الغضّ) والنبتات الفتيّة في المقاصب
قبل عودته إلى أور!
منحه الأُزويّات والعَنز البريّ في الأجمات
قبل عودته إلى أور!
منحه المشچور في الأرياف،
قبل عودته إلى أور!
منحه أنواع الشراب والخمور في البساتين،
قبل عودته إلى أور!
منحه (أخيراً) حياة مديدة في القصر الملكي،
قَبْلَ عودته إلى أور

تحويل البركة إلى ملك أور

أيها الملك الجالس على عرشه بإرادة إنليل
ليكن بيد نانا ـ سوئين الحفاظ على حياتك لأمَدٍ طويل!
وأنت على عرشك الذي كفلته نينليل.
وليحفظ آشيمبابار السيد،
حياتك لأمدٍ طويل جداً!

(٨٢) ـ أنكي وبناء البيت

عُثِر على معظم أجزاء هذا النص في نفّر، وهو يتألف من ١٢٩ سطراً، تعود كتابتها إلى نهاية الألف الثالث إلى أبعد حدّ. ومن المحتمل أن تكون النسخة التي وصلتنا تمت إعادة كتابتها في بداية الألف الثاني قبل الميلاد.

يروي النص، كيف قام أنكي إلّه الأبسو[١] وحده ببناء معبده في إريدو[٢] فوق الغمر وكيف توجّه بعد ذلك إلى نفّر وحاز على بركة الإلّه إنليل، لبنائه البيت «كجبل» لكي يعمر ويدوم.

أنكي يبني لنفسه بيتاً في إريدو

في ذلك الزمان، بعد أن كانت المصائر قد قرّرت،
وحين مَنَحت السماءُ سنةً من الرخاء
جعلت العشب والخضرة ينتشران على الأرض،
قام أنكي، ملك الأبسو،
السيد الذي يقرر المصائر،

(١) (Apsu) المنطقة المستنقعية الواقعة في أقصى الجنوب من بلاد سومر على الشاطىء القديم للخليج حيث كانت تقع مدينة أور. والأبسو، أسطورياً، محيط المياه العذبة الباطنية التي يطفو عليها قرص الأرض كما أشرنا سابقاً.

(٢) (Eridu) هي المدينة التي بنى فيها أنكي مقرّه في وسط الأبسو وهي تقع على بعد حوالى ١٠ كلم من أور.

قام أنكي ببناء قصر من الفضّة واللازورد.
فضّته ولازورده يسطعان كضوء النهار!
نشر هذا المقام البهجة في الأبسو
وكانت جبهاته في بروزها الساطع
تنتصب أمام الإلّه نوديمّود[1]
أقامه حينئذٍ من الفضّة المزينة باللازورد
والمطعّمة ذهباً بسخاء!
أقامه في إريدو على الشاطىء
أقام هذا القصر.
كان آجرّه، يُرجع صدى آلاف الأصوات
وجدرانه القصبية تُسمع خواراً، كمثل الثيران!
(نعم!) كان قصر أنكي صخّاباً:
حتى في الليل كان يبتهل
ويحتفل بسيّده في صخب بالغ.

إيسمود حاجب أنكي يصف البيت

متوجهاً للملك أنكي، وقف إيسمود حاجبه
أمام جبهة القصر، ومن صميم قلبه صاح (منشداً)،
وهو واقف بين جدران الآجر، أسمع صوته (منشداً):
«أيها البيت المبني من الفضة واللازورد
أنت ذو الأسس التي استقرت في الأبسو
حيث يحرص عليك الأمير!
أنت البيت الذي يجلّه دجلة ويجلّه الفرات
أنت الذي ينشر البهجة في أبسو أنكي،

---

(١) (Nudimmud) لقب أنكي ومعناه المختص بعمليات الصنع والخلق.

حَصينٌ هو قضيب غلقك:
مزلاجك كحيوانٍ ضارٍ مخيف
حوامل ذروة سقفك تلقّت في طرفها
ثوراً سماوياً!
حصائر تغطيتك
صُنعت من اللازورد المنسوج فوق الحوامل!
مسلّة سقفك ثور بقرنين متطاولين
بوابتك حيوان مفترس يحتجز
الناس بمخالبه؛
حجر العتبة على مدخلك، أسد
رابضٌ يجابه النّاس.
أبسو! أيها المكان الشريف المقدس
يا قصر إنجور[١]، الذي يسكنه سيّدك!
أنكي، ملك الأبسو،
زيّن قاعدتك بالعقيق الأحمر،
جمّلك إذْ كساك(؟) باللازورد
يا قصر أنكي، يا انعكاس نور لالْغار[٢] الذي هو تحت الأر
أنت تشبه ثوراً يسير مستقيماً أمام سيّده
ويخور بكل قوة،
مُسمعاً صوته المتناغم!
يا قصر إنجور حيث قام أنكي (شخصياً)
بجدل قصب التصوينة المقدّسة!
فيك أنت، نُصبت المنصّة العالية!

---

(١) (Engur) تسمية مرادفة للأبسو.
(٢) (Lalgar) تسمية مرادفة للأبسو.

ردهتك، هي «حدّ» السماء المتلألئة!
أي أبسو، أنت أحد الأماكن المقدسة
حيث تُقرّرُ المصائر!
أنكي، الحكيم إلى أبعد حد، السيد
نودّيمود سيد إريدو
ذو «بطن الكبش» الذي لا يمكن لأحد
أن يثبّت نظره عليه،
سوّاكَ كأنك واحِدٌ من أولئك الأبكالّو[1] القدامى(؟)
ذوي الشعور الكثيفة(؟)،
إريدو، أيتها المدينة المفضّلة لدى أنكي!
يا قصر إنجور الذي يفيض خيراً!
أي أبسو، محيي البلاد، أيها المفضّل لدى أنكي،
القصر الذي شُيّد على شكلٍ مستطيل،
والذي أحسن تشييده لحفظ أسرار
السلطات كلّها.
إريدو أنتِ التي يتطاول ظلّك حتّى عرْضِ البحر
أيها البحر الهائج الذي لا ندّ له!
النهر الجليل العظيم،
الذي ينشر الرعب في البلاد!
يا قصر إنجور الضخم الذي يستحيل هدمه!
يا قصر شاطىء البحر! الأسد في قلب الأبسو
يا بيت أنكي المجيد،
مصدر (كل) معرفةٍ من أجل البلاد كلّها!
هديرك، كأنه هدير نهرٍ في زمن الفيض،

(١) (Apkallu) هم الحكماء الذين كلفهم أنكي قديماً بنقل الحضارة إلى البلاد.

أسمِعْنا نغماً من أجل أنكي السيّد!
في مقرك المقدس تُسمَعُ بشكل شجيّ (الآلات):
ألجار، بالاج، ألجارسورّا،
خرخار، سابيتوم، ميريتوم[1] التي
تملؤه بالأنغام.
بواسطة البالاج ذي الوقع العذب
يتعزز الإنشاد(؟):
كلّ هذه الآلات، تُحدث فيه أصواتاً،
كلّ على طريقته!
فالْجار المقدّس خاصّة أنكي[2] يُصدي منفرداً،
والتيجي[3] السبع تدوّي في (مقرّك)!
لا بديل لأوامر أنكي
كلمته راسخة البناء لا تتزعزع!»
هذا ما كان يجهر به إيسمود لجدران الآجرّ
هذا ما كان ينشده بتناغم في قصر إنجور.

أنكي يقرّر الذهاب إلى نفر بعد إنجاز البناء

عندما أنهى بناءه، عندما أنهى بناءه
عندما أنهى أنكي بناء إريدو،
تلك الكتلة الرائعة التتويج

---

(١) (Algar)، (Balag)، (Algarsurra)، (kharkhar)، (Sabitum)، (Miritum) أسماء الآلات الموسيقية المستعملة في المعبد.

(٢) الألجار خاصة أنكي قد تكون آلة موسيقية ابتدعها الإله أنكي شخصياً ونحن نعلم كما ورد في لوحة موسيقية اكتشفت في أوغاريت، أن الوتر الرابع في القيثارة التساعية الأوتار هو المعروف سومرياً بالوتر الصغير وأكادياً بالوتر الذي خلقه إيا (Ea)، وسوف تتم دراسة هذه اللوحة في كتاب لاحق.

(٣) (Tigi) تسمية لنوع من الطبول وهي تدل كذلك على نشيد كان يرافقه قرع التيجي.

وكأنها تطفو على وجه الماء،
على الشاطىء، وتحت مظلة من القصب، اتكأ
(ليرتاح) في بستانه «أجلبْ ثمراً كثيراً»[١]،
حيث تبني العصافير أعشاشها
فيما يمرح سمك الشبّوط
بين النباتات المائية اللّدنة،
فيما كان يرتعص الشبّوط
بين نبات الجيزي[٢] الفتيّة!
ثمّ نهض أنكي واقفاً على قدميه
فأخرجت الأسماك من الماء رؤوسها!
لشدّة ما كان منظره جيلاً وهو منتصب وسط الأبسو.
كان يُدخِل الفرح إلى قصر إنجور،
غير أنّه كان ينشر الرهبة في (عرض) البحر،
ويعمّم الرعب في (وسط) النهر العميق
كان يثير على الفرات هيجان ريح ـ الجنوب!
كانت الحيّة الخارقة للطبيعة[٣] هي عود محجنهِ
وأعواد «القصب الصغير» كانت بمثابة مجاذيفه!
عندما رفع الشراع،
كان ذلك خلال سنة الفيض!
حلّ بنشاطٍ رباط السفينة
وبسرعةٍ سحب القلْس!
وكان كلّما(؟) ابتعد (؟) عن إريدو

(١) تسمية تيمنية للبستان.
(٢) (Gizi) نوع من النبات المائي.
(٣) الصورة الشعرية هنا مستوحاة من الجناس بين (Gi-mush) وهي التسمية السومرية للمحجن وبين (mush) وهي تسمية الحية الأسطورية.

يردّد النهر لمليكه صدىً
شبيهاً بعجيج عجلٍ، أو خوار بقرةٍ رائعة!
(لدى ذهابه) ضحّى (أنكي) بذبائح
ثيران وخرافٍ بكثرة (وسخاء)،
استقدم الطبول التي كانت تنقصه
والطبلات التي لم تكن متوافرة لديه
وحين اتّجه إلى نفر،
حمل معه كل ما يلزم
إلى الجيجونو[١]، الهيكل المقدس في نفّر.

أنكي يقيم مأدبة لإنليل ومجمع الآلهة بعد وصوله إلى نفّر

وعندما وصل (إلى نفّر) أمرَ بإحضار الخمر
وأعدّ الجعة
ثم سكب الخمر في آنية واسعة
بينما أعدّ جعة الجُنجل
إلى أن حصل على أفضلها جودة،
حرّك بعد ذلك في الكوركورو[٢] عصيدة الملت(؟)
ثم سكب حتى الطفح، حجماً مماثلاً من شراب ـ البلح،
وخلّط كل ذلك إلى أن حصل
على شرابٍ «لذيذ» ومنعش[٣]!
هكذا عمد أنكي في معبد نفّر،
إلى تقديم وليمة لأبيه إنليل

---

(١) (Gigunu) قدس الأقداس المخصص للإلّه إنليل في معبد نفّر.
(٢) (Kurkurru) وعاء.
(٣) لدينا هنا تركيبة «كوكتيل» الإلّه أنكي!

أجلَسَ آن[1] في المرتبة الأولى
وجعل إنليل يجلس إلى جواره
كما أجلَسَ نينتو[2] في مركز الشرف
عند ذلك، شغل الآنونا[3] مقاعدهم كلٌ بدوره
قام كل هؤلاء بارتشاف الجعة وتذوّق الخمر،
فامتلأت الكؤوس حتى الطفح
وشربوا نخب السماء والأرض،
وهم توّاقون بهدوء إلى القُرب المليئة،
(والمجوّفة) كالقوارب.

بركة إنليل بنهاية المأدبة

بعد أن تم شرب الجعة وتذوق الخمر
وبعد أن أبعدت عن المائدة محتوياتها
نهضَ إنليل والنشوة تملأ قلبه، في
قصره في نفّر،
وأمام جميع الآنونّا أعلن:
«أيها الآلهة العظام الذين جلسوا هاهنا
أيها الأنونا الذين يديرون مجمع الآلهة،
خذوا علماً بأن ابني، أنكي السيد،
قد بنى لنفسه بيتاً!
أقامه في إريدو
كجبل فوق البلد المسطّح!
أقام قصره

(١) آن (An) إله السماء.
(٢) (Nintu) الإلّهة ـ الأم.
(٣) (Anunna) أعضاء مجمع آلهة سومر.

في موقع ملائم:
في إريدو، المكان المقدس، حيث لا يمكن لأحدٍ أن يدخل!
بنى بيته من فضّة،
مزيّنة باللازورد.
وسوف يدوّي فيه معاً قرع التيجي السبع[١]
وفيه سوف تصعّد الصلوات!
وسوف تجعل منه الأناشيد المقدسة
مكاناً مليئاً بالبهجة!
هكذا سوف يكون معبد الأبسو، تحفة أنكي
التي أُحسِنَ تشييدها، لكي تحفظ أسرار السلطات كلها!
ولأنك أقمت في إريدو هذا البيت المقدس
المجد (لك) يا أنكي المبجّل!

(١) (Tigi) نوع من الطبول ورد شرحه سابقاً.

(٢ ـ ٢) ـ بناء الحضارة
ودور الإله أنكي

١ ـ يمكننا القول في ما يتعلق بالحضارة بأن الإلّه أنكي، ذهب إلى أبعد مما ذهب إليه الإلّه إنليل. وَلئن استمر الولاء لإنليل لمدة طويلة لكونه رئيساً لمجمع آلهة سومر، فإنّ ذلك لم يمنع الإلّه أنكي في كل المناسبات من إظهار حكمته ومهارته في الخلق وفي إيجاد الحلول لإنقاذ الآلهة من المصائب والتعقيدات التي كانت، من وقت لآخر، تحلّ بمجموعهم وتهدّد مصيرهم.

٢ ـ وبالمفهوم الميتي (الميثولوجي)، كان الإلّه أنكي، إلّهاً «قريباً من البشر» أكثر مما كان عليه إنليل بعد إنجاز مساهمته الزراعية، وبعد أن جعل من مدينة نفرّ ومن بيت الجبل، معبدها، محجّاً لبقية الآلهة بقصد تقديم الولاء لإنليل ونيل بركته.

وكإلّه قريب من البشر، فإن أنكي هو الذي كان يدافع عنهم، وهو الذي عارض وأفشل ـ ولو مواربة ـ قرارات إنليل «اللامسؤولة» بصددهم حين أصرّ على إبادتهم. فأنكي هو الذي أوحى إلى «الفائق الحكمة» بما يجب عمله للحيلولة دون استمرار الجفاف والوباء. وهو الذي نقل إليه قرار إنليل بإحداث الطوفان[١] منقذاً بذلك البشرية من الهلاك. وكانت الإلّهة إنانا / عشتار تقف إلى جانب أنكي، حين وُجِّهت إلى إنليل تهمه «إطلاقة الطوفان بدون تروٍ».

٣ ـ وحين خطف الطائر أنزو «لوحة الأقدار» من إنليل وفر بها إلى الجبل، فإن أنكي، هو صاحب فكرة دعوة الإلّهة نينتو، أمّ جميع الآلهة، لحضور اجتماع المجلس

---

(١) انظر النص رقم (٥٦) في الكتاب الثاني.

وطَلَبَ منها إيفاد ابنها البطل نينورتا للقضاء على الطائر أنزو واسترداد لوحة الأقدار منقذاً بذلك شرف أبيه إنليل[1] ومعيداً بذلك السلطة إلى نفر. وبالإضافة إلى ذلك، فإن أنكي بعد فشل محاولة نينورتا الأولى، هو الذي رسم له خطّة القتال التي تقضي ببتر جناحي أنزو[2].

٤ ـ وحين سيطر الغرور على نينورتا بعد انتصاره على أنزو وراودته فكرة الاستيلاء على سلطة أنكي، فإن إله الذكاء ومهارة الصنع، هو الذي خلق سلحفاة، أهانت «البطل العظيم». وبذلك تمكن أنكي من تلقين نينورتا درساً في التواضع. وبعملية خلقٍ مماثلة، نُقِلَ عن الإلّه إيا[3]، وهو أنكي الأكادي، بأنه ابتدع مخلوقة شرسة[4]، أعدّها لمجابهة الإلّهة عشتار[5] بقصد تهدئة عنفوانها الحَرْبي وحدّة طبعها وإعداد عشتار المحاربة لتقبّل فترة السلم. وهذا النص عن «عشتار في زمن السلم تجابه صلتو» سوف نعرضه من ضمن فقرة لاحقة تحت رقم (٩٠). أمّا النص الرئيسي في هذه الفقرة، وهو قيام الإلّه أنكي بتنظيم البلاد بعد أن عمّم فيها فترة سلام، و«جعل الناس يتركون أسلحتهم في بيوتهم»، فسوف نورده هنا تحت الرقم (٨٣).

٥ ـ ومتابعةً لمآثر الإلّه أنكي، نذكّر بأنه هو الذي قام بإحياء بلاد دَلْمون بعد أن عمد أوتو الإلّه الشمس، إلى إخراج الماء من الأرض، وعند ذلك، خلق أنكي القصب والأعشاب والنباتات الأخرى. وباقترانه بنيتو «أم البلاد» وبواسطة سلسلة من الاقترانات، ولدت مجموعة آلهات، هنّ إلهة الخضار وإلهة النباتات ذات الألياف وإلهة النسيج وخَلَقَتْ نينخورساج فيما بعد إلهات نباتات الشفاء من الأمراض[6].

٦ ـ وفي نص آخر[7] فإن أنكي، هو الذي صمّم وخلق البشر لإنقاذ الآلهة من أعمال السخرة وذلك بناء على طلب أمّه بأن «يمارس مواهبه بذكاء».

ولأنكي أيضاً، يعود الفضل في خلق شجرة النخيل، الشجرة المقدسة وذلك

---

(١) وردت أسطورته تحت الرقم (٦٢) من الكتاب الثاني.
(٢) ورد في النص رقم (٧٢) من الكتاب الثاني.
(٣) (Ea) هو المقابل الأكادي للإلّه (Enki) السومري.
(٤) هي «صَلْتو» (Saltu) أو «نزاع» وسوف يرد شرح صلتو فيما بعد.
(٥) (Isthar) المقابل الأكادي للإلّهة إنانا (Inanna) السومرية.
(٦) الرجوع إلى النص رقم (١) من الكتاب الأول.
(٧) النص رقم (٤) من الكتاب الأول.

بواسطة غراب (؟) يقوم بعمل بستاني[١].

٧ ـ وهكذا، بعد أن بنى الإلّه أنكي مقرّه في أبسو إريدو، كما ورد ذلك في النص رقم (٨٢) من هذا الكتاب، ونال على ذلك بركة الإلّه إنليل، فلا غرابة بعد ذلك، بالنسبة لذكائه وحكمته ومهارته في التصور والصنع والخلق، ومآثره التي عدّدناها، لا غرابة أن تصبح مدينته إريدو مثاباً لآلهة يفدون إليها، كما فعل الإلّه نينورتا، طلباً لاستصدار القرار الملائم من أجل سومر (النص رقم ٨٤)، لأن أنكي هو الذي «يقرر المصائر بشكل ملائم» وهو الذي يعرض على مجلس الآلهة بنهاية السنة، «القرار الصحيح». وهو حبيب آن وحبيب إنليل الذي منحه القدرة، لكي تستمر الأفراح بين الملوك والأسياد وهو «سيد الرخاء والمهارة» وسيد المعرفة الذي «يجعل النجوم تجوب في السماء ويعرف عددها!».

٨ ـ والإلّهة إنانّا هي أيضاً ركبت سفينتها، «سفينة السماء» وقصدت إريدو، لتحمل معها «أسس الحضارة» وتعود بها إلى مدينتها أوروك[٢]. ومع أن عملية نقل الحضارة هذه لم تتم بشكل عفوي، لأن أنكي ندم فيما بعد على عطائه وحاول إيقاف السفينة، ولكنها وصلت بنهاية الأمر إلى أوروك وأفرغت حمولتها. وهذا ما يرويه لنا بأسلوب سردي لا ينقصه التشويق لمعرفة النهاية، النص رقم (٨٥).

٩ ـ روى لنا النص رقم (٧٩) من هذا الكتاب كيف انتصر الإلّه نينورتا على مخلوق الجبل الغريب «الآساكّو»[٣]. وكانت لذلك الانتصار كما أوضحنا من ضمن العرض دلالة حضارية أدت إلى إقامة السدود لحماية جبهة البلاد، وإلى تجميع مياه الجبال وتحويلها لكي تصبّ في دجلة والفرات، وبالتالي تنظيم أعمال الريّ والزراعة.

وفي معركة بدئية ثانية بطلها أنكي هذه المرة، يتم الانتصار على وحش المياه الباطنية، التنين كور[٤] الذي كان يسيطر على تلك المياه، وقد يكون انتصار أنكي على التنين كور هو الذي مكّنه من بناء بيته وسط الأبسو[٥] ليصبح بذلك أمير الأبسو وسيد

---

(١) النص رقم (١٠) من الكتاب الأول.
(٢) (Uruk) المدينة حيث أقيم معبد «بيت السماء» مقام إنانا.
(٣) (Asakku): «المحارب الشرس الذي لم يقم أي أب على تربيته».
(٤) (Kur) التنين كور كان على ما يظهر يسيطر على المياه الباطنية ويحول دون عصف غضبها.
(٥) (Apsu) مقر أنكي وهو محيط المياه الباطنية حيث أقام أنكي مقره.

مدينة إريدو.

وفي عودةٍ لنينورتا، ومن ضمن نص موازٍ لانتصار نينورتا على آساكّو الجبل (النص رقم ٧٩)، نشهد صراعه مع شيطان المرض «أساج»[٣] الذي يقيم في كور، وهنا بمعنى العالم السفلي. وكان للقضاء على أساج أثره السلبي على سومر إذا ارتفع منسوب مياه البحر البدئي فشنّت هذه المياه هجومها على الأرض وحالت دون وصول مياه الريّ العذبة إلى الحقول، فماتت الزروع وعمت المجاعة لأن مياه دجلة لم تعد «صالحة».

وأنقذ نينورتا الموقف بمراكمة الحجارة فوق كور وبناء جدار كبير لحماية سومر من مياه البحر البدئي، وهنا أيضاً نشهد سيطرة نينورتا على مياه البحر ببناء سدّ أمامها كما سيطر على مياه الجبل في النص السابق الموازي.

وعن التنين الذي هدد الأرض أيضاً وصلنا نصان آخران يرويان قصة قتل التنين «لابو»[٢] والتنين «بشمو»[٣] وسوف نورد تحت الرقم (٨٦) النصوص المتعلقة بالانتصار على التنين.

١٠ ـ النصوص التي أوردناها عن الإلّه أنكي / إيا من ضمن هذه الفقرة، جعلت منه مناراً ومدرسة لنقل الحضارة وهكذا كان الأمر عملياً، إذ إن أنكي اعتمد في ذلك على معاونين له. ومعاونوه في هذه المهمة، هم الحكماء مثال أدابا[٤] وكذلك الذين عُرفوا بالأبكالو[٥] ناقلو الحضارة، ونورد ما وصلنا عنهم تحت الرقم (٨٧).

١١ ـ وعلى أساس ما تمّ عرضه أعلاه، فإن الفقرة (١ ـ ٥) سوف تشتمل على النصوص التالية:

---

(١) (Asag) كان مقره العالم السفلي وفي كل الأحوال فإن القضاء عليه كان يعني اجتياح مياه المحيط البدئي «المالحة» لبلاد سومر.

(٢) (Labbu) منه اشتق اسم الأسد، كما يعتقد وهنا بمعنى «الغاضب».

(٣) (Bashmu) لا يعرف عنه أكثر من الوصف الذي ورد في النص.

(٤) (Adapa) انظر النص رقم (٧٣) من الكتاب الثاني.

(٥) (Apkallu) نورد شرح التسمية مع عرض النص.

(٨٣) ـ أنكي ينظّم البلاد

١ ـ تعميماً للوفر والرخاء في البلاد وإسكاتاً للسلاح ونشراً للسلام، يقوم الإلَه أنكي بجولته في بلاد سومر والعالم المحيط بها. يقرّر المصائر، ويحدد لكلٍ دوره. يخصب مياه دجلة والفرات ويجعلها تتدفّق، كما ينظم العلوم والفنون ويعين لها حماتها من الآلهة.

٢ ـ يتألف النص من ٤٦٧ سطراً ويعود إلى بداية الألف الثاني قبل الميلاد وقد عثر على معظم أجزائه في مدينة نفرّ. وينتهي النص، على الرغم من فقدان القسم الأخير منه، بنقاش مهم حول دور الإلَهة إنانّا في «زمن السلم»، بصفتها إلَهة للحرب بالإضافة لكونها إلَهة للحبّ والخصب.

٣ ـ نذكّر بأن مقتطفات من هذا النص أوردناها سابقاً تحت عنوان «أنكي وبلاد سومر» في النص رقم (٥) من الكتاب الأول.

نشيد تمجيد أنكي والتغنّي بمركزه بين الآلهة

1 أيها الإلَه، عظيم أنت في الكون!
لك السيادة بالطبيعة!
أي أنكي المبجل، وليد الثور،
وليد الثور الوحشي[١]

---

(١) صفة تمجيد يعنى بها إلَه السماء السومري آن (An).

حبيب إنليل، الجبل ـ الكبير، وحبيب
آن المقدس!
أيها الملك! يا شجرة الميس[١] القائمة
في الأبسو مشرفة على الأرض،
المنتصبة في إريدو كتنين شامخ،
تحمي العالم بظلّها!
أيها البستان ذو الأغصان المنتشرة
على البلاد كلها!
أنكي، يا سيد رخاء الأنونا[٢]
أي نوديمود[٣] صاحب السيادة المطلقة في الإيكور،
الكلّي القدرة في السماء كما على الأرض.
أنت صاحب [القصر] المقام في الأبسو دون مثيل
والذي يشكل الدعامة الكبيرة للعالم!
بلفتة عين منك يا أنكي، تقلب الجبل
من حيث تأتي الثيران الوحشية والأيائل،
والخنازير البرية والشياهم!
حتى [...]، حتى المروج، حتى المهاوي الوعرة،
حتى السماوات المتلألئة، المتنعة،
أنظارك مديدة، كأنها قصب الخلخال!
أنت الذي تعدّ الأيام وتضع الأشهر
في أماكنها وتحسن إنهاء السنين
وحين تنتهي (كل سنة)

(١) (Més) أشرنا سابقاً إلى أنها شجرة محلية عرفتها بلاد ما بين النهرين لم يتمكن العلماء من تحديد نوعها ويظهر هنا أنها كانت تنمو في الأبسو.
(٢) (Anunna) مجموع الآلهة ـ العظام الذي يشكلون مجلس الآلهة السومري.
(٣) (Nudimmud) لقب الإله أنكي ومعناه العارف بكيفية الصنع والإنتاج والخلق.

أنت الذي تعرض على المجلس القرار الصحيح.
وتعلن الحكم[١] أمام الجميع!
أي أنكي الجليل، سيّد جميع البشر
هو أنت!
كل شيء يتوافر، فلا تكاد تتكلم
حتى يغمر الأرض الرخاء!
[. . .] غصونك المثقلة بالثمار التي [. . .]،
تُزيّن وتزيد في ثراء [. . . .] الآلهة
[. . . .] ك شجرة(؟) في الغابة،
رداءٌ من الصوف طويل(؟)!
نعاجك وخرفانك المختارة
تزيّن وتزيد في ثراء الـ[. . . .]
وعندما الـ[. . . .] يقوم بحراثة(؟) حقولك
المعدّة لذلك،
أكوامٌ وأكداسٌ من الحبوب تتراكم (تبعاً لأمرك)!
[في الأرياف] توزّعُ الحظائرُ والزرائبُ
أدسمَ حليبِها
وينغّم الراعي ببهجةٍ أغنيته
وبصبرٍ يمخض (الريفي) قِرْبَةَ الحليب
وأنت وفقاً للطقوس، ترتّب جميع المنتجات
في أطباقٍ من أجل غرفة طعام الآلهة!

دور أنكي تجاه البشر

كلمتك تملأ الرجل الشاب قوة

---

(١) المقصود هو الحكم الذي يتقرر بموجبه مصير البلاد للسنة المقبلة.

وكالثور في الحلبة ينطح بقرنه!
كما تقوم المرأة الشابة تبعاً لأمرك
بتعديل كسوة رأسها
35 التي يعجب بها الجميع في كل مكان
(السطران ٣٦ و٣٧ ناقصان).
40 إنليل، الجبل ـ الكبير، منحك القدرة على
39 أن تُبهج وأن تجعل الأفراح تستمرّ
38 بين الملوك والأسياد
41 [أنكي] أنت سيّد الرخاء والمهارة
[أنت الإلّه] الذي هو حبيب آن يا زينة إريدو!
أنت الذي تُعدّ [الأوامر] والقرارات
وتقرر المصائر بشكل ملائم
45 أنت الذي تجعل النجوم تجوبُ السماء
وتعرف عددها!
أنت الذي ركّنت البشر في مساكنهم
وسهرتَ لكي يتبعوا راعيهم!
(سطران مفقودان)
50 أنت الذي جعلتهم يتركون السلاح في بيوتهم[. . . .]،
فضمنت لهم بذلك أن يعيشوا بسلام!
عندما يقوم أنكي الموقّر باجتياز الأرض المبذورة
تنتج (هذه الأرض) حبوبها بكثرة!
عندما يزور نوديمود، نعاجنا الحوامل
تلدُ (عندئذٍ) الحملانَ السمان!
عندما يأتي لزيارة بقراتنا الخصبة،
تلد (عندئذٍ) العجول الممتلئة الجسم!

عندما يأتي لزيارة عنزاتنا الولودة
تلد (عندئذٍ) جدياناً وافرة اللحم!
عندما تأتي لزيارة حقولنا وأريافنا،
تجعل الحبّ يتجمّع أكواماً وأكداساً،
على السهل المرتفع
وحين تقترب منها، ولو قليلاً
فإن الأماكن الأكثر جذباً في البلاد
[تتحول إلى مراعٍ مخضوضرة]
سطر (مفقود)

أنكي يعرّف بنفسه

يقوم أنكي، ملك الأبسو، واثقاً من عظمته
بتمجيد نفسه معلناً:
«أبي ملك السماء والأرض
وضعني في المرتبة الأولى من الكون!
أخي البكر، ملك البلاد كلّها،
وضع بين يديّ جميع السلطات
ومن الإيكور[1]، معبد إنليل
حملتُ إلى إريدو، إلى الأبسو،
جميع الفنون![2]
أنا هو الوريث الشرعي، وليد الثور
الابن الذي يفتخر به آن!

(١) (E.kur) معبد إنليل في نفّر ومعناه بيت الجبل.
(٢) من نفّر حمل أنكي جميع الفنون إلى مدينته إريدو. وسوف يرد بالتفصيل ما يوازي نقل أسس الحضارة (الفنون) من مدينة إلى أخرى في النص رقم (٨٥) حين تزور إنانا إريدو بقصد نقل أسس الحضارة إلى مدينتها أوروك.

أنا هو الإعصار الهائل الذي خرج
من تحت الأرض
أنا سيّد البلاد العظيم
أول الملوك، أبو العالم
أخو الآلهة البكر، خالق الكثرة،
مستشار الكون،
أنا المهارة وطاقة الخلق القُضويان
أنا الذي، إلى جانب آن على منصّته،
أحكم بالعدل.
أنا الذي أتفحّص الأرض قبل تقرير مصيرها،
مع إنليل جنباً إلى جنب،
(إنليل) هو الذي خوّلني هذه المهمة
(أمارسها) حتى أطراف العالم!
أنا المفضل الحقيقي لدى نينتو[١]
أنا الذي تلقيت من نينخورساج[٢] إسماً مباركاً[٣]
أنا سيّد الأنونّا
ابن آن الرئيسي
الذي هو فخر أبيه!!
وعندما كان الإله (أنكي) يعلن على هذا
الشكل فائق سموه
وعندما كان الأمير الكبير، يعرض تمجيده لنفسه
كان الأنونّا وهم وقوف أمامه
يصلّون ويبتهلون إليه قائلين:

(١) (Nintu) الإلّهة ـ الأم، ومعناها سيّدة الولادة.
(٢) (Ninhursag) قرينة إنليل ومعناها سيّدة الجبل.
(٣) بمعنى مصير حظٍ سعيد.

أيها الإلّه الذي يمتلك الفنون كلّها،
أنت الخبير (بإصدار) القرارات، الذي يستحق التصفيق،
المجد لك يا أنكي!
ولشدة رضاه عن نفسه، وللمرّة الثانية
كان أنكي، ملك الأبسو، وبكامل سموّه
يعظم نفسه مكرراً:
«أنا هو سيد النظام الذي لا جدال فيه، (أقف)
في المرتبة الأولى من الكون،
تنفيذاً لأوامري، أقيمت المعالف،
وسيّجت الحظائر.
حين ألمس السماء تنبجسُ منها أمطار الرخاء
حين ألمس الأرض يأتي الفيض
وحين ألمسُ الحقول المخضوضرة
تتجمع أكوام وأكداس من الحبّ تبعاً لأوامري!

معبد إريدو

في مكان مقدس، بنيتُ قصري، (أقمت) معبدي[1]
وأطلقت عليه إسماً مباركاً
في [. . .] أقمت في الأبسو خاصتي معبدي
وقررت له مصيراً سعيداً.
يمتد ظلّ هذا القصر على الهوْر النائم
حيث تحرك الأسماك عذباتها
بين «النباتات ـ الغضّة».
وبين نبتات «القصب ـ الصغيرة»،

(١) وردت تفاصيل بناء هذا القصر في النص رقم (٨٢).

يحرّك سمك الشبّوط ذيله

وفي عشوشها تزقزق جاعياً العصافير الصغيرة.

100 في حضرتي، يصمت

المسؤولون عن المعبد

وفي [. . .] يأتون إليّ، أنا أنكي!

102/ 103 الأبكالو[1] [. . .]

104 الإينكوم[2] [. . .]

105 أمامي أنا، يتطهّرون بالماء [. . .]

الأناشيد المقدّسة والابتهالات

تملأ الأبسو!

وصف سفينة أنكي

سفينتي «التاج»، «أيّل الأبسو»

تحملني بخفّة و(تنقلني)

حيث أريد الذهاب: على الهوَر المقدس

110 إنها تهزّ ردفيها

وتمشق نحوي (؟) «رقبتها»

المجذّفون عليها، يعرفون جيداً كيف يفعلون

(يجذّفون) وهم ينشدون، مما يجعل النهر فَرِحاً!

ونيمجيرسيج[1] القائد

يرفع عصاه الذهبية

115 ليقود سفينتي «أيّل الأبسو».

---

(١) (Apkallu) كان أنكي/إيا يعتمد في مهمته الحضارية على مساعدين سبعة هم الأبكالو وسوف يردون في النص رقم (٨٧).

(٢) (Enkum) منشدو الآلهة ومؤنثه (Ninkum) نينكوم للمنشدات.

(٣) (Nimgirsig) اسم قائد السفينة.

أنكي يقرّر القيام بجولته في البلاد لتقرير المصائر

أنا السيّد، أريد الذهاب!
أريد بلوغ بلدي [. . .] أنا أنكي!
أريد [. . .] أنا سيّد المصائر!

(الأسطر (١١٩ ـ ١٢٣) غير واضحة ويظهر من خلالها أن أنكي يؤكد قراره للسفر لزيارة سومر أولاً ثم بقية البلاد، بقصد التنظيم وتقرير المصير. . .)

بلاد ماچان[1] ودلمون
تتجهان نحوي، أنا أنكي،
لتحمّل حتى الامتلاء الكامل سفائن دلمون
وتشحن حتى السماء سفائن ماچان!
وسفن شحن الملوخا[2]،
سوف تنقل الذهب والفضّة
حتى نقرّ، من أجل إنليل، ملك كافة البلاد
أما للذين لا مدن لهم أو بيوت
إلى المارتو[3] فسوف أجعل القطعان نصيباً لهم.

الأنونا يوافقون على أهداف أنكي

وبتوجههم عند ذلك إلى الأمير العظيم
الذاهب لزيارة بلاده،
تكلّم الأنونّا بامتنان (قائلين):
«أيها الإلّه، يا سيد السلطات الرئيسية
السلطات المقدسة!

---

(١) (Magan) المنطقة الساحلية المجاورة لخليج عمان.
(٢) (Melukha) الشاطىء الغربي لشبه الجزيرة الهندية.
(٣) (Martu) هم قبائل البدو الذين يتجولون في الشمال الغربي من بلاد ما بين النهرين بجوار البليخ والخابور من شمالي سورية. انظر النص (رقم ٧٥) من هذا الكتاب.

المكلّف بالسلطات العظمى، السلطات
التي لا عدّ لها!
أنت الذي هو أكثر بروزاً في الكون الكثير الاتساع
أنت الذي خَصّصت بالسلطات العليا
إريدو، المقام المقدس
أنكي يا سيد الكون، المجد لك!»
عند ذلك، ومن أجل الأمير العظيم،
الذاهب لزيارة بلاده
الأسياد والملوك،
ومُعَوّذو إريدو
والذين «يرتدون ـ الكتان»[1] في سومر،
جميعهم، أقاموا شعائر التطهير في الأبسو.
ووقوفاً في المقام المقدس، المكان الذي
لا شبيه له، المخصص لأنكي الموقر،
نثروا الماء (المقدس) على مسكن الأمير
مكاناً بعد مكان.
غسلوا الأبسو، المقام العظيم،
جارّين عليه أغصان العرعر الطويلة،
الشجرة المقدّسة
أصلحوا حالة الـ[. . .] المقدّس
الممرّ المخصّص لأنكي!
وأقاموا بعد ذلك عبّارة إريدو
المؤدية إلى الرصيف البديع!
وعندما تمّ إرساء «أيّل الأبسو» (السفينة)

---

(١) الكهّان المكلفون بالمراسم الدينية.

على الرصيف المقدّس والمدهش نفسه،
قاموا بإعداد مُصلّ الأوسجا[1] المقدس
مرددين فيه من أجل أنكي صلاةً تلو صلاة!
الأسطر (١٥٥ ـ ١٦٤) مفقودة
وخلال (أغصان) «القصب الصغير»
كانت أسماك الشبّوط تحرّك أذيالها (فرحاً)!
رُفِعَ حينئذٍ في الأبسو الشعار الكبير،
المظلّة الواقية،
التي تغطّي المكان وتطَمئِنُ الناس!
وبشكلٍ مسيطرٍ على الهوْر، رفعوا السارية
المنتصبة على الكون!
ثمّ عمد الإلّه، أمير الأبسو العظيم،
واقفاً على «أيَل الأبسو»، (عَمد)
إلى إصدار أوامره (وتعليماته)
كان مستقيماً ورائع الجمال
كشجرة ميس[2] نبتت في الأبسو
وهو الذي من أجل إريدو، المقام المقدس،
المكان الذي لا شبيه له
قد احتفظ بالسلطات العظمى.
ومراقب الأرض ذو السمو المطلق، إبن إنليل
قبض على المِحجن المقدّس!
والبطل بتلفّته بكل فخر نحو الأبسو(؟)
(الأسطر (١٧٦ ـ ١٨٣) مشوّهة وغير قابلة للفهم)

---

(١) (Usga) مصلّ قريب من رصيف إريدو.
(٢) (Mês) وردت في السطر ٤ أعلاه.

قام القائد نيمجيرسيج، مواجهاً للإله
برفع عصاه الذهبية.
وبينما كان اللاخامو[1] الخمسون
يتوجهون (إلى أنكي) بخشوع
كان المجذفون [. . .]، كطيور ـ الخاجام[2]
يطوّفون الفلك بجلال:

الوصول إلى سومر

يقترب أنكي المبجّل من البلد،
ولكي تُحقّق زيارةُ الأمير العظيم هذه،
تعميمَ الرخاء في كل مكان!
قرّر (أنكي) مصير البلد بهذه التعابير:
«أي سومر، البلد العظيم، والإقليم اللامتناهي،
المغلّف بالنور الذي لا ينطفىء
يا من توزّع السلطات على الشعوب كلّها
شرقاً وغرباً!
سامية وعَصِيّة هي سلطاتك
وقلبكِ تملؤه الأسرار التي لا تُكتنه
ومهارتكِ الخلاّقة، القادرة أن تلد
حتى الآلهة[3]
هي أيضاً بعيدة المنال كما السماء:
إنها تلد الملوك الذين تحمّل (رؤوسهم)
بالتيجان الحقيقية،

---

(١) (Lakhamu) آلهة ثانوية مائية تحت تصرف أنكي.
(٢) (Khagam) نوع من الطيور المائية (؟).
(٣) إشارة إلى مهارة أنكي في تنفيذ صور وتماثيل للآلهة . .

(وتلد) الكهنة الذين (تميزهم) عمائمهم!
بسمو فائق يجلس سيّدكِ
جنباً إلى جنب مع آن على منصته!
مَلِكُكِ إنليل المبجّل، الجبل ـ الكبير،
أبو الكون، ألبسك رداء الـ[...]
الذي يشبه شجرة مخضوضرة!
الأنونّا، الآلهة العظام
المستقرون في بيتكِ
يحتفلون في جيجونا[١] معبدك،
تغمرهم الروائح الطيبة من جميع الألوان!
يا بيت سومر، سوف تقام لكَ
حظائر عديدة
وسوف تتكاثر مواشيك الكبيرة!
وبسخاءٍ سوف تُبنى لك زرائبك:
وسوف لا تُحصى ماشيتك الصغيرة!
جيجونا معبدك سوف يلامس الغيوم،
وسوف يرتفع معبدك الحقيقي حتى السماء[٢]
وفيه، سوف تقرّر الأنونّا المصائر!»

الوصول إلى أور

ولدى وصوله إلى أور، المدينة المقدّسة
عمد أنكي، ملك الأبسو إلى إقرار المصير كما يلي:
«أيتها المدينة الكلية ـ الكمال، التي تغتسل في الماء (قواعدها)
أيها الثور القوي

---

(١) (Giguna) المكان المخصص لسكن الإله في معبده.
(٢) المقصود هو بناء الزيقورة أي البرج ذو الطبقات.

أيتها المنصّة الغنيّة التي تسيطر على الأرض
المرتفعة مثل جبلٍ
أيتها الغابة الصغيرة الفاتحة طيوباً
ظلّك منتشر وأنت واثقة من قوّتك
سوف تغمرك (رضيً) السلطات المعدة من أجلك!
لأن إنليل، الجبل ـ الكبير
لفظ اسمك الرائع أمام الكون (بأجمعه)
أيتها المدينة التي قرّر مصيرها أنكي
يا مدينة أور المقدّسة، سوف ترتفعين
حتى السماء!»

مصير منطقة مِلوخّا[1]

ولدى وصوله إلى بلاد ملوخّا
قرر لها أنكي ملك الأبسو المصير التالي:
«أيها البلد الداكن[2]، أشجارك سوف تكون كثيفة،
في غابات سكانك الأصليين!
المقاعد التي سوف تُصنَعُ منها[3]
سيكون لها مكانها اللائق في قصور الملوك!
قصبك سوف يكون كبير القساوة، قصبك المحلي[4]
سوف يرفعه الشجعان كسلاح
في ساحات القتال!
ثيرانك، ثيرانك المحليّة، سوف تكون ذات بأس.

---

(١) (Melukha) ورد الشرح في السطر ١٢٨ أعلاه.
(٢) قد يرد ذلك إلى لون بشرة سكانها.
(٣) خشب الموغانو الهندي(؟).
(٤) قصب البامبو(؟).

خِوارها سوف يماثل
خوار ثيران الجبال!
سلطات كبيرة، أعدها الآلهة من أجلك!
سوف تكتسي (أحجالك) جميعها ريشاً من العقيق
كل طيورك سوف تكون طواويس
تملأ أصواتها قصور الملوك!
فضتك سوف تتحول إلى ذهب
ونحاسك سوف يصبح شبهاً
سوف يزيد بوفرةٍ إنتاجك في المنطقة
وسكانك سوف يتكاثرون
وكل واحد من رجالك
سوف يكون ثوراً من أجل الآخرين

مصير ماجان[١] ودلمون[٢]

(السطران (٢٣٦ و٢٣٧) مفقودان وقد يتضمنان إشارة إلى بلد ماجان)

(و؟) أنكي نظّف بعد ذلك بلاد دلمون وطهّرها.
عيّن لها نينسيكيلا[٣] حاميةً
وفي معبد البلاد الرئيسي وقف (أنكي) أهواراً
لكي تؤكل أسماكُها؛
وفي أرضها الصالحة للزراعة عيّن بساتين نخيلٍ
لكي تؤكل تمورها!

---

(١) (Magan) ورد الشرح في السطر ١٢٤ أعلاه.
(٢) (Delmun) منطقة البحرين (راجع النص رقم (١) من الكتاب الأول).
(٣) (Ninsikila) بمعنى السيّدة الطاهرة.

مصير بلاد عيلام ومارخاشي[1]

[قرر بعد ذلك(؟)]
من أجل بلاد عيلام ومارخاشي،
[تلك البلاد المحبّة للحرب] والتي تلتهم كل شيء(؟):
أن يتمكّن الملك المخوّل من قبل إنليل، السلطة في البلاد،
من هدم مساكنهم ودكّ أسوارهم
وأن يحمل إلى إنليل
إلى ملك الكون في نفّر
فضّتهم ولازوردهم
(وجميع) كنوزهم!

مصير قبائل المارتو[2]

أما الذين لا مدن لهم ولا بيوت
المارتو فقد خصص لهم القطعان نصيباً!

العودة إلى سومر والاهتمام بدجلة والفرات

بعد أن حوّل (أنكي) نظره
عن جميع هذه الأماكن
وعندما وجّه أنكي الموقّر نظره إلى الفرات
رفع قامته وكأنه ثور متلهّف،
نصّب قضيبه ودفّق منيّه
فملأ النهر بالماء المتلألئ
كما لو كان (النهر) بقرة في المراعي
تخور من أجل عجلها الذي بقي في الحظيرة [. . .]

---

(١) (Markhashi) المنطقة الواقعة إلى الشرق من سوز العيلامية في بلاد إيران.
(٢) (Martu) ورد الشرح في السطر ١٣٢ أعلاه.

ثم خضع له نهر دجلة بعد ذلك،
كما يخضع لثور متلهّف
وهو منتصب القضيب، يدفع «بهديّة ـ العرس»:
وكثور وحشي عملاق في حالة النزو
جعل دجلة يشعر باللذة
والماء الذي سكبه هكذا، كان متلألئاً
عذباً ومُسكراً
والحَبّ الذي ينتجه هذا المكان كان
وازناً ومغذّياً!
فغمر على هذا الشكل مسكن إنليل بالثراء!
وبفضل (أنكي) ابتهج إنليل وعمّت الأفراح في نفّر!
ثم تكلّل أنكي بعد ذلك بتاج الرئاسة
وغطّى رأسه بالتاج الملكي
وإذْ لامسَ الأرض بيمينه،
جعل الكثرة تتدفق من الأرض
(أما الذي) يُمسك العصا بيساره
ويردد بنشاطِ الكلمات
التي تجعل مياه
دجلة والفرات تتمازج
(أما الذي) في القصر يجعل الرخاء يسكب
سهلاً كالزيت
فهو إنبيلولو[١] مراقب المسالك المائية
وهو الذي عيّنه الإلّه الذي يقرر المصائر،
أنكي ملك الأبسو

(١) (Enbilulu) إلّه ثانوي مكلف بالاهتمام بالأنهار وبمجاري المياه والأقنية.

(عينه ليهتم) بالنهرين.
ثم يستذكر (أنكي) الهوْر الذي يزوّده بالأسماك [. . .]
ومنابت القصب التي يزوّدها بالقصب الجاف
وبالقصب الغضّ.
(الأسطر (٢٧٦ ـ ٢٧٨) مفقودة)

نانا[١] تهتمّ بالهوْر

(ثم إلى التي) لا يمكن لأية سمكةٍ
التحرر من شباكها
وإلى التي لا يمكن لأي رباعيّ القوائم،
الهرب من خُفرِ مصائدها،
إلى التي لا يتخلص من فخاخها أي عصفور
ابنة الـ[. . . .]
إلى نانا (؟) حبيبة الأسماك،
عهد أنكي بالهوْر.

لنانشي[٢] المبجلة البحر ومعبده

ثم أقام (أنكي) معبداً،
مقاماً عزيزاً وذي متاهات:
أقامه في عرض البحر
هذا المقام ذو التقسيمات البديعة،
والمعقدة كتلافيف جدبلة

---

(١) (Nanna) هنا إلَهة ثانوية تهتم بمنطقة الأهوار في الجنوب.
(٢) (Nanshê) هنا إلَهة ثانوية مكلفة بحماية البحر ومتاهاته في المنطقة الجنوبية من البلاد في دلتا النهرين وقد تكون هي نفسها الإلَهة التي ارتبط اسمها بمدينة لجش (Lagash) في فترة الحكم السومري الجديد وسوف يأتي ذكرها بالتفصيل فيما بعد.

والتي تشبه قاعدتها
كوكبة الفرس الأعظم
ويشبه جزؤها العلوي كوكبة الحَرَبَة
[يغلّف المعبد] موج صاخب
ينبعث منه بريق خارق ورهيب
وحتى الأنونّا الآلهة ـ العظام
لم يجرؤوا على الاقتراب منه
ثم أقام فيه [. . .]، فعمّت البهجة القصر
ووقف الأنونا أمامه مصلّين مبتهلين!
في هذا المعبد البحري
أقاموا لأنكي منصّة عالية
ومن أجل الإلّه [. . .]
الأمير العظيم [. . .]
عصفور [. . .]
غمر (أنكي) الإيكور[١] مقرّ إنليل بالغنى
وبواسطة أنكي ابتهج إنليل
وملأت البهجة نفّر!
ثم إلى تلك التي تَتَنَقّل(؟) في المقام العزيز
وتدفع إلى الاقتران(؟) [. . .]
موجة البحر الكبيرة
وهياج الريح والمدّ العالي،
إلى تلك التي خرجت من تجوّف أمواج (؟) البحر[٢]

(١) (E.Kur) بمعنى بيت الجبل وهو مقر إنليل في نفّر.
(٢) تذكر هذه الصورة بولادة أفروديت الإغريقية من زبد أمواج البحر وحملتها الرياح حتى شواطىء قبرص.

إلى سيّدة سيرارا[1]، إلى نانشي المبجّلة،
أناط أنكي البَحْر بكامل اتّساعه.

أنكي ينظّم تغير حالة الطقس

ذكر أنكي بعد ذلك المطر، ماء السماء
الذي جَمعه في الأعالي في أشكال
غيومٍ عائمة؛
ودفع حتى الأفق الريح التي تحرّكها
لكي تتحول الأرض الموات إلى حقولٍ تنتج الحبوب.
(أما) راكب العواصف
الذي ينقضّ على البرقِ
والذي يغلق السماء بمزلاجه المهيب،
ابن آن، مراقب الكون،
إيشكور[2]، سيد الرخاء(؟)
(كلّ ذلك) كلّفه به أنكي.

الأعمال الزراعية والحبوب

سيّر أنكي بعد ذلك المحراث
مع النير والمِكْدَن
الذي شكّله الأمير العظيم من ثورين قَرِنَيْن
بغية شقّ التَلْمِ الكريم
وجعل الحَبّ ينبت في الحقول المحروثة
(وهو) السيد المتوّج «بزينة الحقول»

---

(١) (Sirara) المدينة التي أقام فيها الملك السومري إينتيميتا (Entéména) (حوالى ٢٤٣٠ ق. م) معبداً للآلهة نانشي.

(٢) (Ishkur) إله الأمطار والعواصف السومري وهو الذي حل عله أدَدَ فيما بعد.

فلاح إنليل الماهر،
أنكيمدو[١]، حامي المجاري
والسدود الأرضية،
إليه، أناط (أنكي) (بالزراعة)
ثمّ تلفّت الإلّه نحو الحقل المحروث
وزوّده بالچونو[٢]
(كما) زوده بالبيقة والعدس و[الفول (؟)]،
كدّس فيه أكواماً من الإيشتوب[٢] والچونو[٢] والأينوخا[٢]
وكثّر فيه الحزمات والكوم.
ومن أجل إنليل عمّم الكثرة في المنطقة!
(وأمّا) السيدة ذات الرأس والجسم المبقّع
وذات الوجه الذي يقطر عسلاً
التي تشجع على التسافد، حيوية البلاد
حياة الرؤوس السوداء،
(أمّا) أشنان[٣]، الحبّ ـ الجيّد، الخبز الشامل
فهي التي عهد إليها (أنكي) (بالحبوب)!

أعمال الآجرّ والعمارة

ثم قام الأمير العظيم بتزويد المعزق بحبل،
وأعدّ القالب ـ للآجر
ثم قطع وكأنه (يقطع) في السمن
مساحات في الصلصال المتبّن

(١) (Enkimdu) اسم الفلاح وقد تعرفنا عليه من خلال منافسته مع الراعي دوموزي كما ورد في النص (١١) من الكتاب الأول.
(٢) (Eshtub) و(Gunu) و(Innukha) ثلاثة أنواع من الحبوب.
(٣) (Ashnan) إلّهة الحبوب (راجع النص رقم ٧: من الكتاب الأول).

(وإنه) الإلّه حامل المعزق ذي الشطرين
كأنه [. . . .] الثعبان
صاحب قالب ـ الآجر المتين
و[. . . .] المتوازية
(إنّه) كُلا[1]، الذي يرتّب بحذاقة
الآجرات المستخرجة من قالبها
إلى كلاً عهد (أنكي) بهذه الصناعة
ثم عمد بعد ذلك إلى شدّ حبل (البناء)
وخطّط أساسات مستقيمة
وتلبيةً لإرادة مجمع (الآلهة)، رسم مخطط مسكن
وطلب أن تنفّذ عليه عملية التطهير (الأولية)
ثم بعد ذلك قام الأمير العظيم بحفر الأساسات
وبنى عليها جدران الآجر
(وإنه) إلّه المداميك التي لا تتزعزع
(إلّه) البنيان الذي لا ينهار قط
والذي تلامس السماء صقالاته(؟)
كأنها قوس ـ قزح.
إنه موشداما[2] البنّاء ـ العظيم، (بنّاء) إنليل،
إليه عَهَد أنكي (بهذا الفن)،

المراعي والحظائر

ثم على السهل الفسيح وضع (أنكي)
إكليلاً كريماً،
وعلى السهوب، نَشرَ فروةً لازوردية؛

---

(١) (Kulla) إلّه الآجر المعدّ للبناء.
(٢) (Mushdamma) إلّه فن البناء والعمارة.

وألبسها تاجاً من اللازورد
كما حَبَا الأرض الخصبة بالأعشاب الغزيرة؛
زوّد فيها القطعان وأسكنها بيسر،
فتكاثرت فوق المراعي الكباش والنعجات(؟)
إذْ جعلها تتسافد!
وإنّه البطل، تاج السهوب،
وملك السهل
أسد البرية
قبضة إنليل الرائعة والشديدة البأس
(إنه) شاكان[١] ملك «الجبل»
إليه عهد (أنكي) «بالحياة الرعوية»
ثم بنى (أنكي) بعد ذلك الحظائر
ووضع قواعد صيانتها؛
أقام الزرائب،
وزوّدها بالحليب الدسم، أفضله!
وهكذا ملأ بسخاء
قاعة طعام الآلهة.
وفي السهب المخضوضر عمّم اليسر!
(وإنه) الملك، ممّوِن الإيانا[٢] الأمين
صديق آن[٣]
«الصهر» المحبوب من قبل سين ـ الشجاع[٤]،

(١) (Sakan) الإلّه الثانوي المسؤول عن الماشية الصغيرة.
(٢) (Eanna) بمعنى بيت السماء وهو معبد الإلّه آن.
(٣) (An) إلّه السماء السومري.
(٤) (Sin) الإلّه القمر الأكادي وهو نانا السومري والإلّهة إنانا ابنته.

وعشيق إنانا[١] المقدسة
ـ سيدة السلطات العظيمة ومليكتها جميعاً
التي تدفع إلى الحبّ في شوارع كلاّبا[٢]
(إنه) دوموزي[٣] أوشومجالانا[٤]، صديق آن
إليه عهد (أنكي) (بالحظائر)
وهكذا غمر بالخيرات الإيكور
مقر إنليل
وبفضله ابتهج إنليل
وعمّت الأفراح نفر!

نظام «المساحة وتحديد العقارات»

عمد أنكي بعد ذلك إلى تحديد الأرض
فثبّت معالم الأرض بالأوتاد
وبالنسبة للأنونا حدّد أنكي
أماكن مساكنهم في المدينة
(وحدّد) ممتلكاتهم في الحقول!
(وإنه) البطل، الثور الخارج
في الغابة الفائحة الطيوب
الأسد المزمجر
أوتو[٥] المقدام، الثور
الذي يُظهر بكبرياء قوته

---

(١) (Inanna) إلّهة الخصب والحب وعشيقة الراعي دوموزي.
(٢) (Kullabu) حي متطرف من أوروك أو مدينة مجاورة لها.
(٣) (Dumuzi) الراعي والملك وعشيق إنانا وهما بطلا أناشيد الحبّ في الكتاب الأول.
(٤) (Ushumgalanna) لقب دوموزي.
(٥) (Utu) الإلّه الشمس السومري.

(إنه) أب «المدينة العظيمة»[١] في الشرق
الرسول العظيم لآن المقدّس،
القاضي الذي يُصدر الأحكام
عوضاً عن الآلهة،
إنه الذي تزيّن (وجهه) لحية من اللازورد،
ويرتفع من أفق السماء
أوتو، ابن نينجال[٢]
إليه عهد (أنكي) (الكون بأجمعه).

أعمال النسيج

شدّ (أنكي) بعد ذلك السداة ونسّق اللُحمة
وهكذا وضع حتى الكمال قواعد
فن النساء بنوع خاصّ(؟)!
وبفضل أنكي، صُنعت
الألبسة الفاخرة!
(وإنّها) زينة القصور، حلية الملوك
إلى أوتو[٣] الأمينة والسَكُوتة
عهد (أنكي) بهذا (الاختصاص)!

إنانا تعترض وتطالب

عند ذلك، التي لم يُعيّن لها منصب
إنانا [المقدّسة(؟)] المرأة الفتية،
التي لم يعيّن لها منصباً

---

(١) المقصود هو العالم السفلي الذي تلجه الشمس عند الغروب، لتخرج منه مشرقة في اليوم التالي.
(٢) (Ningal) الإلّهة ـ الأم بمعنى السيدة الفائقة السمو.
(٣) (Uttu) أوتّو إلّهة النسيج، قرأنا عن ولادتها في النص رقم (٢) من الكتاب الأول.

قدمَتْ لمقابلة الأب أنكي،
وبدأت تشكو(؟) باكيةً ومحدثةً ضجّة كبيرة:
«من بين جميع الأنونّا الآلهة ـ العظام
خوّلك إنليل حريّة تقرير المصيرا
ولكن أنا، أنا المرأة، لماذا
عاملتني بشكل آخر، أنا وحدي؟
أنا إنانّا المقدسة ما عسى، ما سوف
تكون مهاميّ؟
فآرورو[1]، أخت إنليل
الملقّبة بنينتو[2]، حامية عملية ـ الولادة،
تلقت كإشارة لِقُدُراتها
اللوحة المقدسة للتوليد:
وهي تمسك بمقدّ ـ حبل الصرّة،
(تمسك) بحجر الإمّان[3] و«الكُرّات»(؟)؛
كما تسلّمت السيلاجارّا[4] وإناء اللازورد الأخضر،
وتسلمت آلا[5] المقدس، الوعاء المكرّس
وأصبحت بذلك مولّدة ـ العالم
وعادت إليها ولادة
الملوك والأسيادا
أما أختي النبيلة نين إيسنّا[6] المقدسة

---

(١) (Aruru) أخت إنليل (راجع النص رقم ٣).
(٢) (Nintu) بمعنى إلّهة الولادة.
(٣) (Imman) نوع حجر (؟).
(٤) (Silagarra) وعاء.
(٥) (Ala) وعاء.
(٦) (Nin.Isinna).

فقد تلقت شمار حجر ـ شوبا[١]
وأصبحت بذلك غاية آن:
إنّها (دوماً) تحت تصرّفه
وتعلن له بصوتٍ مرتفع
ما يتمنّاه قلبها!
وأختي النبيلة نينموج[٢]
تلقت المقصّ الذهبي والمطرقة الفضية
وسكين الطرّان العريض
وأصبحت في البلاد
فنانة الخشب والمعادن
القادرة على صنع الملوك
بإحاطة رؤوسهم بالإكليل الأبدي،
وبوضع التاج
على رأس الملك الشرعي.
أما أختي الكريمة، نيسابا[٣] المقدّسة
فقد تسلّمت مسطرة القياس
وتحتفظ إلى جانبها بمعيار اللازورد،
إنها توزّع السلطات العظيمة
تعينّ الحدود وتحدد بالأوتاد المعالم:
أصبحت أمينة سر البلاد
حتى أن محاسبة «إعاشة» الآلهة،
كلفت بها!

---

(١) (Shuba) حجر نصف كريم غير محدّد.
(٢) (Ninmug) اسم لآلهة ثانوية عرف خلال الفترة السومرية الحديثة حوالى (٢١١٠ ـ ٢٠٠٠) ق.م.
(٣) (Nisaba) وهي أيضاً الإلهة التي تشرف على فن الكتابة.

أمّا نانشي[1] السيدة العظيمة
التي تقف البومة(؟) عند رجليها
أصبحت مسؤولة عن نتاج البحر (والصيد)
الأسماك المختارة والطيور الألذّ طعماً
تقدمها لأبيها إنليل في نفّر!
أما أنا، أنا المرأة، لماذا عاملتني
بشكل آخر، أنا وحدي؟
أنا إنانا المقدّسة، ماذا سوف
تكون مهامّي؟»

جواب أنكي

وأجاب أنكي إنانّا المقدسة، «ابنته»:
ـ «ما الذي رُفض لك؟
ما الذي رفض لك أيتها السيدة؟
ما عسانا أن نكلّفك به إضافةً ـ
أيتها المرأة الفتية إنانّا، ما الذي رُفض لكِ؟
ما الذي يمكننا تكليفك به إضافةً؟
هو أنت التي تعلنين [. . .]
وأنت التي من أجلها أعدّوا الـ[. . . .] بقصد [. . .]
أنت التي تلبسين الرداء «قدرة ـ الرجال»
وأنت التي تختارين الكلمات الواجب التلفظ بها.
أنتِ التي تمسكين بالعصا والقضيب
ومِنسأة الراعي!
فما الذي مُنِع عنك، أيتها المرأة

---

(١) (Nanshe) وهي أيضاً الإلّهة التي ارتبط بها اسم مدينة لغش واسم ملكها جوديا (Gudea).

الفتية، إنانا؟
هو أنت التي تعدين وتعلنين
المعارك والحروب!
وفي صميم المعارك، هو أنت
- دون أن تكوني بذلك الطير الحامل لسوء الطالع -
هو أنت التي تلفظين الكلمات التي لا تخطيء!
أنت التي تطوين ما هو مستقيم،
وتجلّسين ما هو ملتوٍ!
والتي تكتسي وتلبس الكتّان
{أنت التي تُسَدِّين الصوف، وتبرمين الخيوط بالمغزل
أنت التي تشابكين الخيوط المتعدّدة الألوان!}
إنك تكدسين كالتراب الرؤوس المقطوعة
وتنثرينها كالبذور!
أنت تكنسين عن وجه الأرض
ما لا يجب كنسه يا إنانا!
أنت تنزعين عن طبل(؟) المناحات
النسيج(؟) الذي يغطيه،
كما تعيدين إلى غلافاتهما، أيتها المرأة
الفتية، إنانا،
التيجي[1] وكذلك الآداب[2] المحمّسين
دون أن تملّي أبداً من نظرات المعجبين بك!
أيتها المرأة الفتيّة إنانا، أنت لا تعرفين إذن
«ربط الحبال من أجل الآبار العميقة»؟

---

(١) (Tigi) اسم لنوع من الطبول.
(٢) (Adab) اسم نوع آخر من الطبول.

ولكن قلب إنليل، في الوقت الحاضر طفح (طيبة):

فعمد إلى تنظيم البلاد،

طفح قلب إنليل (بالطيبة): فعمد إلى

تنظيم البلاد.

وبما أن قلب إنليل طفح (طيبةً)

تجاه البشر،

عليكِ ألا تضحي إذن [. . .]

(الأسطر (٤٥٠ ـ ٤٦٦) مفقودة كلياً وقد تحتوي على التوصيات أو التمنيات بصدد نشاط إنانا[١]).

467 المجد لك [يا أنكي المبجّل]!

(١) وقد يكون ذلك إبعادها عن عقلية الحرب في زمن السلم، وسوف يتضح ذلك بشكل أفضل من ضمن النص رقم (٩٠) من هذا الكتاب.

(٨٤) ـ زيارة نينورتا لأنكي
من أجل رخاء سومر

١ ـ هذه الزيارة، التي يُرسّخ نينورتا[1] بنتيجتها، سيادته على نفر[2] ويضمن الرخاء لسومر، هي زيارة ولاء من نفر إلى إريدو[3]، إلى أنكي[4] مقرر الأقدار والكلي الحكمة، الذي نظّم البلاد ورسّخ أسس الحضارة.

نينورتا وريث إنليل، يتلقى السيادة من إنليل في مدينة نفر، ولكنّ هذه السيادة لن تكون مباركة ومجدية من أجل البلاد، إلاّ بعد زيارة الإلّه أنكي وحصوله على «القرار الملائم»، لكي يعمّ البلاد الرخاء والوفرة.

٢ ـ ولا ننسى بهذا الصدد أيضاً، زيارة الإلّهة إنانا[5] إلى أنكي على سفينتها، سفينة السماء والتي جسّدت ولاء أوروك[6] لمدينة إريدو ولكنها في الوقت نفسه، ذهبت إلى أبعد من ذلك، كما سيشير إلى ذلك النص رقم (٨٥)، حين تمكّنت من نقل جميع أسس الحضارة إلى مدينتها أوروك.

٣ ـ أما نصّ زيارة نينورتا إلى أنكي الذي نحن بصدده، فقد وصلنا على لوحة

---

(١) (Ninurta) ابن إنليل وهو البطل المحارب المنتصر على الجبل (النص ٧٩).

(٢) (Nippur) العاصمة الدينية القديمة لبلاد سومر ومدينة إنليل.

(٣) (Eridu) مدينة الإلّه أنكي حيث أقام بيت الأبسو (النص ٨٢).

(٤) (Enki) إلّه الحكمة والمعرفة ومهارة الصنع وهو هنا الذي يتخذ القرار بالنسبة لرخاء سومر وهو إيا (Ea) الأكادي.

(٥) (Inanna) إلّهة أوروك حيث مقرها «بيت السماء» ويرمز إليها في السماء كوكب الزهرة.

(٦) (Uruk) مدينة جلجامش واشتهرت أيضاً كمسرح لعلاقات إنانا والراعي دوموزي (Dumuzi) الغرامية في إحدى ضواحيها.

واحدة، عُثر عليها في مدينة نفّر، وتعود إلى الثلث الأول من الألف الثاني قبل الميلاد؛ وهي تحمل أربعة أعمدة لنشيد على نغم «شير. سود. دا»[١] بمجموع حوالى (١٣٠ ـ ١٥٠) سطراً، لم يصلنا منها مع الأسف سوى الثلث.

نينورتا يتوجه إلى إريدو والغرض من زيارته

العمود الأول

بمغادرته [الإيكور][٢]، البطل [. . .]
[البطل نينورتا] بمغادرته الإيكور [. . .]
(الأسطر (٣ ـ ٦) مفقودة)

مغادراً مقرّ إنليل، ذهب نينورتا إلى إريدو
كان ذلك من أجل تحقيق الرخاء لسومر.
من أجل استجلاب] الوفرة [إلى البلاد] بكاملها
لكي تنمو المراعي والنباتات في كل مكانٍ
ولكي تفيض الحظائر والزرائب لبناً وسمناً،
فتملأ قلوب الرعاة فرحاً.
ولئن توجّه نينورتا إلى إريدو،
فلكي تلتفّ أمواج
دجلة والفرات بضجّة كبيرة
ولكي [. . .] والعمق لكي لا يسبر غوره
ولكي [يتكاثر] في الأحواض شبّوط
المستنقعات، والشبوط الضخم،
وبين مزراع القصب [. . .]
القصب الجاف والنبتات الصغيرة(؟)

---

(١) (Shir.Sud.da) نغم أو وزن يتبع عادة في أناشيد التمجيد الموجهة إلى الآلهة.
(٢) (E.kur) ومعناه بيت الجبل وهو مقر الإله إنليل في مدينة نفّر.

والحيوانات بأعدادٍ لا تحصى، وحيوانات السهوب:
[...] الأيائل اليحمورية والأرويّات [...]
ذوات القامة العالية،
مع [....] سهم
لكي تسرح وتمرح [...]
لكي [...]
ولتدوم إلى الأبد، سلطات سومر؛
وليتّخذ الجبلُ دوماً [دور تابع (؟)]،
لكي [...] وتعمّ العدالة [في البلاد(؟)] إلى الأبد
لكل ذلك، توجّه نينورتا، ابن إنليل
[إلى إريدو]: كان يريد من أجل بلاده
الحصول على قرار ملائم.
(نقص حوالى ١٢ سطراً)

العمود الثاني

(الأسطر الأربعة الأولى مفقودة)

أحد المكلفين من قبل أنكي يعدّ لنينورتا الطريق ويواكبه

بعد أن أعد الطريق،
للملك السائر نحو الأبسو[١]
بعد أن أعد الطريق لنينورتا
السائر نحو الأبسو
بعد أن جهّز له [حتى في (؟) السهوب]
طريقاً احتفالياً

---

(١) (Apsu) أبسو ـ إريدو: وهو المكان الذي بنى عليه أنكي بيته (النص رقم ٨٢). والأبسو هو محيط المياه العذبة حيث تطفو الأرض.

وَاكبَ نينورتا بكل ابتهاج
حتى أبسو إريدو.

في الأبسو، يُمنح نينورتا السلطات التي جاء لطلبها

وعندما دخله نينورتا، لم يكن هناك
غير أبّهةٍ وجلال، ليلاً ونهاراً.
عندما دخل نينورتا الأبسو، لم يكن هناك
غير أبهةٍ وجلال، ليلاً ونهاراً
وإلى بطل آن[1] منح أنكي السلطات الحيوية،
وسيّد السلطات كلّها[2]
وضعه بذلك في مقامه(؟)!
عند ذلك، الإله الراغب بتحقيق
مستقبل زاهر لسومر
نينورتا إبن إنليل
مثل ملكٍ وضعَ التاج على رأسه
فتفجّر(؟) منه النور
وكإله، كلّل رأسه بالتاج
فتحققت(؟) له الوفرة(؟)
تقدم بهيّاً، عاليَ الرأس في أبسو إريدو
هو الشاب المقدام
[المسؤول](؟) عن روعة الإيكور
[. . .] الملكية،
ومن [. . .] الشامل

---

(١) (An) إله السماء وبطولات نينورتا تحققت بناء على طلب الإله آن وهذا ما يفسر لقبه كبطلٍ لآن.

(٢) المقصود هنا هو أنكي حين كانت مدينته، بعد نفر على الأرجح، تمثل مصدر السلطة ومرجع الولاء.

تملؤه السعادة للجلوس على العرش
مع آن و[إنليل] في الساحة [...]
(فقدان حوالى ١٢ سطراً)

العمود الثالث

(فقدان حوالى عشرة أسطر، يلي بعد ذلك الاحتفال بتينورتا، وفيما يلي ما أمكن قراءته مما بقي منه):

«حصن سومر العالي (السطر ١١)
والذي يفتخر بشجاعته (السطر ١٢)
والذي «مع آن يقرر المصائر في أبسو إريدو»(١٦)
«ذو الأوامر التي لا تتبدّل والتي تثير رهبةً شاملة»(١٧)
«المهيب والمُلتَمَسُ من قبل الآلهة(١٩)»
الذين يثنون على شجاعته ويضعون أنفسهم
تحت إمرته(٢٣)
يُشار أيضاً إلى صلاته بالإيكور(٢٥)
وإنليل(٢٩)،
كما يذكر أيضاً، بأن «بريقه الخارق
للطبيعة غمر المنطقة المتمردة»(٣٠)
«أتى من الجبل بالفضّة المنقّاة من أجل إنليل(٣٧)
وإنه «بطل إنليل» (السطر ٣٨)

العمود الرابع

(يستمر النشيد على هذا المنوال في العمود الرابع، في الأسطر الـ ٢٧ المشوّهة والتي تتخلّلها مقاطع غير مقروءة. وينتهي هذا العمود بالعنوان التالي):

28 (هنا) نشيد شير. سود. دا تمجيداً لنينورتا
[....] بطل آن والذي [تضَمَنَ(؟)]
سلطةُ الحياة للبلاد.

(٨٥) ـ من أوروك إلى إريدو
على سفينة السماء:
زيارة إنانا لأنكي

١ ـ هذا النص، الطّويل نسبياً والمتكرر في بعض أجزائه، كما هي العادة في النصوص السومرية والأكادية، يعود إلى الثلث الأول من الألف الثاني لما قبل الميلاد (حوالى ١٧٠٠ ق.م)، ويستدلّ من شكله وأسلوبه إمكانية احتمال إعادة تأليفه إلى نهاية الألف الثالث.

٢ ـ يروي هذا النص كما هي الحال في النصوص الأخرى التي تنقل أخبار تبادل الزيارات بين مدينتين، أي بين إلَهيّ كلٍ من المدينتين، اعترافاً بالأولوية أو تقديماً للولاء الموحَّد للبلاد أو نقلاً لكنوز حضارية من مدينة لأخرى. وهذا ما حدث حين غادرت إنانا مدينتها أوروك، متوجِّهة إلى إريدو لزيارة الإلّه أنكي. وفي هذه المرة فإن الزيارة تشتمل على تفاصيل مذهلة، وحول الهدف منها، وحول نتائجها، إذ تعود إنانا من زيارة إريدو بما يسميه النص الـ «مو»[1] التي تمتلكها إريدو، والتي يفهم من تعدادها أنها ليست سوى مجموعة المعارف والفنون والعلاقات الاجتماعية، وكل ما جعل من إريدو عاصمة معرفةٍ و«سلطة».

وبالإضافة إلى المضمونات المتعددة التي اشتلمت عليها الملاحظة رقم (١) فإن الباحثين الأجانب، يميلون بالنسبة لتعبير «مو» تبنّي كلمات «السلطات» أو

(١) (Mo) أو (Meu) مو ولها معان عديدة، تتّصل بكل ما من شأنه خلق الأشياء وقدرة الكلمة الإلّهية التي تكفي لذلك، وكل ما من شأنه ضمان سير نظام الكون والظواهر الحضارية التي تعبر عنها قوانين ونماذج لها ديمومة الآلهة، وفيها جوهر الأشياء وما خفي من كنهها.

«الصلاحيات» أو «سر الأشياء». ونفضّل كل ما أمكن ذلك من ضمن النص المعروض، استعمال تعبير «أسس الحضارة» الذي يشمل التعداد المشار إليه أعلاه.

٣ - والمعرفة التي كانت تحوّل القدرة و«السلطة» هو مفهوم لم يغفل عنه مفكرو ما بين النهرين منذ ذلك الزمن. يتألف النص الذي نحن بصدده من حوالى ٨٠٠ سطراً، موزّعة على ستة أعمدة. وعلى الرغم من النقص والاتلاف الذي اعتراه، يمكننا متابعة تسلسله، ونرى فيه كيف أن إنانا، تتوجّه بسفينتها «سفينة السماء» من مدينتها أوروك إلى إريدو حيث يستقبلها الإله أنكي. وأثناء مأدبة يقيمها على شرف إنانا المقدّسة، يمنحها بسخاء كل «أسس» الحضارة التي في إريدو، فتحملها كبضاعة ثمينة إلى سفينتها لتعود بها إلى أوروك. إلاّ أن أنكي يندم بعد ذلك على سخائه ويريد استرداد «الأسس» محاولاً منع السفينة من الوصول إلى أوروك. لكن السفينة تبلغ مرفأها على الرغم من ذلك، بفضل تدخّل نينشوبور[1] مساعدة إنانا.

وينتهي النص بالاحتفال بعودة إنانا إلى أوروك وبموافقة أنكي لكي تحتفظ إنانا بالأسس، أسس الحضارة والمعرفة، أسس مهارة الصنع والتقدم لمجتمع المدينة. ويبارك أنكي مدينة أوروك حليفةً لإريدو.

اللوحة الأولى

تمجيد إنانا لنفسها ومشروع السفر إلى إريدو

العمود الأول

الأسطر (١ - ٦٠) هي في حالة لا تسمح بإعطاء ترجمة متواصلة، إلاّ أنه يفهم من النص، أن إنانا تذهب إلى السهوب للالتقاء بعشيقها (الراعي دوموزي على الأرجح)، وهي تتغنى بمقدرته الجنسية أو بجمال قضيبه «الجذاب». كما يحتوي النص على تمجيد إنانا لنفسها وقرارها السفر إلى إريدو للقيام بزيارة موجبة لأنكي وذلك رغبةً منها في الحصول على ما يحسّن حياة مدينتها أوروك.

---

(١) (Ninshubur) مساعدة إنانا وهي هنا تتقن السحر الذي ينقذ «سفينة السماء».

السفر إلى إريدو

عند ذلك إنانا، (إنانا) المرأة الفتية [. . .]،
إنانا المقدّسة، قامت وحدها بسلوك طريقها
نحو أبسو أنكي في إريدو.
وعندما لم تكن إلاّ على مسافة قريبة من قصر إريدو
في تلك اللحظة بالذات (قام) الحكيم
مالك أسس المعرفة في السماء كما على الأرض،
والقادر إلى النفاذ بعيداً حتّى إلى قلوب الآلهة،
[أنكي ملك] الأبسو، الكلّي المعرفة (قام)
باستدعاء [إيسمود[١] حاجبه]
وأعطاه التعليمات التالية:
«تعال هنا يا حاجبي، واستمع إليّ جيداً[. . .]

العمود الثاني

الأسطر (١ ـ ٤) مفقودة

المرأة ـ الفتية إنانا،
على وشك [الدخول] إلى أبسو إريدو ـ
إنانا [سوف تدخل] إلى أبسو إريدو:
والآن! عندما (تدخل) المرأة ـ الفتية
إلى أبسو إريدو
عندما تكون إنانا دخلت أبسو أريدو
قدّم لها لتأكل الحلوى (المصنوعة) بالزبدة،
وليصبّ لها الماء البارد المنعش للقلب!

---

(١) (Ismud) حاجب الإله أنكي ومستشاره الأمين.

على مقربة من الأسد[1]، [قدّم] لها الجعة
استقبلها كصديقة، عاملها كحليفة:
على المائدة المقدّمة، على المائدة السماوية
رَحّبْ بقدوم إنانا المقدسة!»
عندما تكلّم هكذا!
أعار إيسمود كبير الاهتمام
لما طلبه منه سيّده
أدْخل (إنانّا) المرأة ـ الفتية إلى أبسو إريدو
إلى أبسو إريدو أدخل إنانّا
إنانّا دخلت إذن إلى أبسو إريدو
وتلذّذت بالحلوى المصنوعة بالزبدة،
وصبّ لها الماء البارد المنعش للقلب!
وعلى مقربة من الأسد قدم لها إيسمود الجعة:
استقبلها كصديقة وعاملها كحليفة!
على المائدة المقدّسة، على المائدة السماوية
رحّبَ (إيسمود) بقدوم إنانا المقدّسة
وأنكي، جنباً إلى جنب مع إنانا في الأبسو
ملأ دنان الجعة وتجرّع معها الخمرة
كانت كؤوسهما مليئة حتى الطفح
شربا معاً نخبَ السماء والأرض
وارتشفا دونما تسرّع
في أقداح عساسٍ [مجوّفة كأنّها قارب(؟)]!
وبعد أن ارتُشِفَت الجعة وتمّ تذوّق الخمرة
قال أنكي لحاجبه إيسمود:

---

(١) أسد إريدو وقد كشفت عنه الحفريات الأثرية في المدينة.

هدايا أنكي لأنانا

«تعال هنا، يا حاجبي واسمع جيداً!
باسم سلطاني! وباسم الأبسو (مقرّي)!
إلى إنانا المقدّسة، إبنتي، لأقدّمنّ،
ولن يحول أحد دون ذلك،
(شعارات) منصب إين[١] ومنصب لاجال[٢] والوظيفة المقدّسة؛
والتاج الشرعي الرفيع والعرش الملكي
أخذتها إنانا
«باسم سلطاني وباسم الأبسو (مقري)
إلى إنانا المقدّسة، إلى ابنتي، لأهدينّ،
ولن يحول أحد دون ذلك،
الصولجان السامي وعصا القيادة والرداء (الملكي)
والرعوية والملكية
فتقبّلتها إنانا
«باسم سلطاني وباسم الأبسو (مقرّي)!
إلى إنانا المقدّسة، إلى ابنتي، لأهدينّ،
ولن يحول أحد دون ذلك،
منصب الإيجيزي[٣] والنينديننجير[٤] وإيسيب[٥]
ومنصب لوماخ[٦] ومنصب جودو[٧]
فتقبلتها إنانا.

---

(١) (En) بمعنى السيد أو الحاكم وكذلك كاهن الأضاحي في المعبد.
(٢) (Lagal) بمعنى السيد أيضاً أو الفائق السموّ، وهنا مرتبة كهنوتية.
(٣) (Egizi).
(٤) (Nindingir).
(٥) (Ishib).
(٦) (Lumah).
(٧) (Gudu).

«باسم سلطاني وباسم الأبسو (مقري)!
إلى إنانا المقدّسة، إلى ابنتي، لأقدمنّ،
ولن يحول أحد دون ذلك،
التطابق مع الحقيقة والـ[. . .] والـ[. . .] والنزول إلى العالم السفلي والعودة منه، والتنكّر الجنسي»[١]!
فتقبّلتها إنانا.
«باسم سلطاني وباسم الأبسو (مقري)!
إلى إنانا المقدّسة، إلى ابنتي، لأقدمنّ،
ولن يحول أحد دون ذلك،
الخنجر ـ وـ الهراوة، حالة المسترجلات[٢] واللباس الأسود
واللباس المتعدد الألوان، والشعر المردود على النقرة،
والشعر المعقود على النقرة!»
فتقبّلتها إنانا
«باسم سلطاني وباسم الأبسو (مقري)!
إلى إنانا المقدّسة، إلى ابنتي، لأهدينّ
ولن يحول أحد دون ذلك،
الـ[. . .] والـ[. . .] والـ[. . .]
الـ[. . .] والـ[. . .] والـ[. . .]!»،
فأخذتها إنانا
«باسم سلطاني! وباسم الأبسو (مقرّي)!
إلى إنانا المقدّسة، إلى ابنتي، لأهدينّ،
ولن يحول أحد دون ذلك
الراية والجعبة والعلاقات الجنسية وقبلة ـ العشاق

---

(١) من طقوس رقصة إنانا/ عشتار، تنكر كل جنس بلباس الجنس الآخر أثناء الرقص.
(٢) هنّ النساء الراقصات أمام إنانا/ عشتار ويقمن بدور المحاربات المسترجلات حاملات الخنجر والهراوة.

والبغاء، و«السريع ـ الإنجاز»(؟)!»
فتقبّلتها إنانّا
«باسم سلطاني! وباسم الأبسو (مقري)!
إلى إنانا المقدسة، إلى ابنتي، لأهدينّ،
ولن يحول أحد دون ذلك،
صراحة ـ القول والرياء والمداهنة والـ[. . . .]
والحالة النذرية لإنانّا والحانة المقدسة!»
فتقبّلتها إنانا
«باسم سلطاني! وباسم الأبسو (مقرّي)!
إلى إنانّا المقدسة، إلى ابنتي، لأقدمنّ،
ولن يحول أحد دون ذلك،
التيجينجار[1] المقدّس والـ[. . . .] والبغاء السماوي(؟) والجوقة الصوتية وفن الغناء ومنصب القدماء»!
فتقبّلتها إنانا
«باسم سلطاني! وباسم الأبسو (مقرّي)!

العمود الثالث

إلى إنانا المقدسة، إلى ابنتي، لأقدمنّ،
ولن يحول أحد دون ذلك
منصب الحرب، والسلطة العسكرية، والخداع
والاستقامة وتخريب المدن،
وممارسة النواح، والقناعة!»
فتقبّلتها إنانا.
«باسم سلطاني! وباسم الأبسو (مقرّي)!

---

(١) (Nigingar).

إلى إنانا المقدسة، إلى ابنتي، لأهدينّ،
ولن يحول أحد دون ذلك،
المكر(؟) والثورة والرخاء والتجوال
وأمان السكن!»
فتقبّلتها إنانا.
«باسم سلطاني! وباسم الأبسو (مقرّي)!
إلى إنانا المقدسة، إلى ابنتي، لأقدمنّ،
ولن يحول أحد دون ذلك،
فنون شغل الخشب والمعدن، وفن الكتابة،
وصب المعادن وصناعة الجلد، والنسيج
والعمارة وصناعة السلال،
فأخذتها إنانا.
«باسم سلطاني! وباسم الأبسو (مقرّي)!
إلى إنانا المقدسة، إلى ابنتي، لأهدينّ،
ولن يحول أحد دون ذلك،
الذكاء والمهارة في الصنع والاغتسال المقدس، وحواجز تجميع السماد وتكوين الجمر
والحظيرة، والاحترام، والإجلال، والتحفظ!»
فتقبّلتها إنانا.
«باسم سلطاني! وباسم الأبسو (مقرّي)!
إلى إنانا المقدسة، إلى ابنتي، [لأهدينّ،
ولن يحول أحد دون ذلك]،
الكذب ـ والفظاظة(؟) وفن إشعال النار
[وفن إطفائها والعمل الجبري والـ . . . .
واجتماع العائلة والتناسل]»!
فتقبّلتها إنانا.

«باسم سلطاني! وباسم الأبسو (مقرّي)!
إلى إنانا المقدسة، [إلى ابنتي]، لأقدمنّ،
ولن يحول أحد دون ذلك،
المجادلة [والنصر وفن إسداء النصح
وفن التهدئة والمحاكمة واتخاذ القرار]»!
فتقبّلتها إنانا.

(نقص حوالى ٤٥ سطراً في نهاية العمود الثالث ويجب أن تحتوي على متابعة أنكي تقديم هداياه لإنانا، إلاّ أن النص يشير بعد ذلك إلى أن طرفاً ثالثاً ـ نجهل من هو ـ يشكك في حق إنانا بامتلاك الأسس مما يضطرها إلى الرد على المعترض معتبرةً بأنها تلقّتها من أنكي. وينتقل النص بعد ذلك إلى العمود الرابع حيث فُقدت بدايتُه ٣٨ سطراً، ولا نجد ضرورة لإعادة تكرارها بالاعتماد على ما سبق ونكتفي بسرد ردود إنانا اعتباراً من السطر ٣٩، مع الإشارة إلى أن نهاية النص سوف تعود مرة أخرى لتعديد أسس الحضارة من جديد).

العمود الرابع

رد إنانا

«. . . [الاستقامة، أعطاني إياها]!
تخريب المدن أعطاني إياه!
ممارسة النواح أعطاني إياها!
القناعة أعطاني إياها!
المكر أعطاني إياه!
الثورة أعطاني إياها!
الرخاء أعطاني إياه!
التجوّل أعطاني إياه!
أمان السكن أعطاني إياه!
شغل الخشب أعطاني إياه!

شغل المعادن أعطاني إياه!
فن الكتابة أعطاني إياه!
صب المعادن أعطاني إياه!
صناعة الجلد أعطاني إياها!
صناعة النسيج أعطاني إياها!
فنّ العمارة أعطاني إياه!
صناعة السلال أعطاني إياها!
الذكاء أعطاني إياه!
مهارة ـ الصنع أعطاني إياها!
الاغتسال المقدس أعطاني إياه!
تجمّع السماد أعطاني إياه!
وتكويم الجمر أعطاني إياه!
الحظيرة أعطاني إياها!
الاحترام أعطاني إياه!
الإجلال أعطاني إياه!
التحفّظ أعطاني إياه!
الكذب ـ والفظاظة(؟) أعطاني إياها!
فن إشعال النار سلمني إياه!
فن إطفاء النار سلمني إياه!
العمل الجبري سلمني إياه!
الـ . . . سلمني إياه!
اجتماع العائلة [سلّمني إياه]!
المجادلة [سلمني إياها]!
التناسل [سلمني إياه]!
النصر [سلمني إياه]!
فن إسداء النصح [سلمني إياه]!

(نهاية العمود الرابع مفقودة وكذلك بداية العمود الخامس بما يقارب ٣٠ سطراً ويظهر أنه كانت هناك ممانعة لمغادرة إنانّا إريدو لأنه حين يُستأنف النصّ، نرى أنكي وهو لا يزال في حالة النشوة، يصدر أوامره بالسماح لإنانا بالذهاب إلى أوروك بسفينتها المحمّلة).

العمود الخامس

[أنكي استدعى إذن إيسمود حاجبه]
[«إيسمود، يا حاجبي الطيب، أيتها الشّخصية السماوية!]
ـ هاأنذا [يا مليكي أنكي]! أنا طوع أمرك! اطلب!
ـ إنانّا تريد العودة إلى [أوروك] ـ كلاّبا[1]
تريد الذهاب نحو [. . . .] الشمس
فلتتمكن من ذلك دونما عرقلة. أنا آمر بذلك!»
وبعد أن جمعت إنانا المقدسة، أسس الحضارة كلّها،
حَملتها على سفينة السماء
وغادرت الرصيف!

أنكي يستفيق من نشوته ويريد استعادة السفينة

ولكن أثر الجعة تبدّد
وتأمّل الإلّه العظيم مقره الإينجور[2]
تفحّص الإلّه الأبسو ـ
أنكي صاحب السيادة، ألقى نظرةً على إريدو
ثم نادى إيسمود حاجبه:
«إيسمود، يا حاجبي الطيب، أيتها الشخصية السماوية!
ـ ها أنذا يا مليكي أنكي، أنا طوع أمرك! أطلب!

---

(١) (Kullaba) حيّ متطرف من مدينة أوروك أو إحدى ضواحيها.
(٢) (Engur) تسمية موازية للأبسو مقر أنكي.

ـ أين (شعارات) منصب إين ولاچال،
والوظيفة المقدّسة والتاج الشرعي الرفيع،
والعرش الملكي؟
ـ مليكي قدّمها هديّةً لابنته!
ـ أين الصولجان السامي، وعصا القيادة،
والرداء (الملكي) والرعويّة والملكية؟
مليكي قدّمها هديّةً لابنته!
ـ أين (شعارات) منصب الايجيزي والنيندينجير،
و(شعارات) منصب إيشيب ولوماخ وجودو؟
ـ مليكي قدّمها هديّة لابنته!
ـ أين مطابقة الحقيقة وال[. . .] وال[. . . .]
والنزول إلى العالم السفلي والصعود منه،
وقلب الأدوار الجنسية بالتنكّر؟
ـ مليكي قدّمها هديّة لابنته!
أين الخنجر ـ و ـ الهراوة وحالة المسترجلات
واللباس الأسود واللباس المتعدد الألوان
والشعر المردود على النقرة
والشعر المعقود على النقرة
ـ مليكي قدمها هديّة لابنته!
ـ أين ال[. . .] وال[. . .] وال[. . .] وال[. . .]
وال[. . .] وال[. . .] وال[. . .]؟
ـ مليكي قدمها هديّة لابنته!
ـ أين الراية والجعبة، والعلاقات الجنسية،
وقبلة ـ العشاق، والبغاء والسريع ـ الإنجاز(؟)؟
ـ مليكي قدّمها هديّة لابنته!
ـ أين صراحة القول، والرياء والمداهنة

والـ[. . .] والحالة النذرية لإنانا والحانة المقدّسة؟
ـ مليكي قدّمها هدية لابنته!
ـ أين النجنيجار المقدّس والـ[. . .] الإلّهي
والبغاء السماوي ومنصب القدماء؟
ـ مليكي قدّمها هديّة لابنته!

(تتمة هذا الحوار مفقودة في الأسطر الثلاثة أو الأربعة التي تنهي العمود الخامس وكذلك حوالى ٣٠ سطراً من بداية العمود السادس. إلا أن ما تبقى من هذا العمود هو في حالة سيئة، ويفهم منه أن إنانا توجهت بسفينتها إلى أوروك حاملة الهدايا الثمينة وهناك دور «الضفدعة»(؟) لا يزال غير مفهوم).

اللوحة الثانية

العمود الأول:

ملاحقة سفينة السماء، المرحلة الأولى

عند ذلك توجّه [الأمير] إلى إيسمود حاجبه
أنكي، استدعى حاجبه الطيب، الشخصية السماوية!
«إيسمود يا حاجبي الطيب، أيتها الشخصية السماوية
ـ هاأنذا يا مليكي أنكي! أنا طوع أمرك! أطلب!
ـ أين [هي إذن الآن] سفينة السماء؟
ـ إنها [ترسو] على رصيف [. . .]!
ـ حسناً! فليستولِ عليها الإنكوم[1]»!
وتوجّه الحاجب إيسمود إلى إنانا المقدسة:
«يا ملكتي [أبوك] أرسلني إليك
[أبوك] أرسلني إليك [يا إنانا]!

(١) (Enkum) مخلوقات مائية بإمرة أنكي مكلّفون بالحراسة.

وما قاله لي [أبوك] فائق الخطورة:
ما قاله لي أنكي عظيم الخطورة
وليس بالإمكان تجاهل [أوامر بهذه الأهمية]!»
أجابته إنانًا المقدسة:
«ماذا قال لك [أبي]؟
ما الذي [أمرك] به؟
ما أوامره [الكبيرة الأهمية]؟
التي لا يمكن تجاهلها؟
ـ [مليكي] قال لي
[أنكي] أمرني (قائلا):
دع إنانًا تذهب إلى أوروك
لكن سفينة السماء، عليك إعادتها إلى إريدو!»
[وردّ]ت إنانا المقدسة على إيسمود:
«ما حدا بأبي أن
يبدّل إرادته نحوي
لماذا أخلف وعده لي؟
ودنّس أوامره الواضحة لي
هل قال لي إذن [كلمته] وهو في حالة سكر؟
[هل] توجّه إليّ [مغرّراً]؟
هل كان ينافق
حين استشهد «بسلطانه» و«بالأبسو»؟
هل أرسلك إلي خيانة «منه لي»؟
وما كادت تنتهي من قولها،
حتى وضع الإينكوم اليد على سفينة السماء
لكن إنانًا استدعت نينشوبور[1] مساعدتها:

---

(١) (Ninshubur) مساعدة الإلهة إنانًا ورسولتها.

هلمّي! مساعدتي الأمينة في الإيانا![1]
يا مساعدتي ذات الكلمات اللبقة!
يا رسولتي ذات الخطاب الفعّال!
يدكِ لم تمسِس الماء! ورجلك لم تمسِس الماء[2]»
وهكذا أنقذت إنانا سفينة السماء
وكذلك الأسس التي قُدمت لها!

المرحلة الثانية

ومن جديد توجّه الأمير إلى إيسمود حاجبه،
استدعى أنكي حاجبه الطيب، الشخصية السماوية:
«إيسمود يا حاجبي الطيب، أيتها الشخصية السماوية
ـ ها أنذا يا مليكي أنكي! أنا طوع أمرك! أطلب!
ـ أين هي الآن سفينة [السماء]؟
ـ إنها ترسو على [. . .] المقدس!
ـ حسناً فليستولِ عليها عمالقة إريدو الخمسون!»
وتوجّه الحاجب إيسمود إلى إنانا المقدسة:
«يا ملكتي، أبوك أرسلني إليك
أبوك أرسلني إليك يا إنانا
وما قاله لي أبوك فائق الخطورة:
ما قاله لي أنكي عظيم الخطورة
وليس بالإمكان تجاهل أوامر بهذه الأهمية»!
أجابته إنانا المقدّسة:
«ماذا قال لك أبي؟
ما الذي أمرك به؟

---

(١) معبد الإلّه آن في أوروك ومعناه بيت السماء.
(٢) جملة سحرية سوف تتكرر في كل مرحلة.

ما هي أوامره الكبيرة الأهمية
التي لا يمكن تجاهلها؟
ـ مليكي قال لي،
أنكي أمرني (قائلا):
دع إنانا تدخل إلى أوروك
لكن سفينة السماء، عليك إعادتها إلى إريدو!»
وردّت إنانا المقدسة على إيسمود:
«ما حدا بأبي
أن يبدّل إرادته نحوي
لماذا أخلف وعده لي؟
ودنّس أوامره الواضحة لي
هل قال لي كلمته وهو في حالة سكر؟
هل توجّه إليّ مغرّراً؟
هل كان ينافق،
حين استشهد بسلطانه وبالأبسو؟
هل أرسلك خيانة منه لي؟»
وما كادت تنتهي من قولها
حتى وضع عمالقة إريدو الخمسون
اليد على سفينة السماء
لكن إنانا استدعت نينشوبور مساعدتها:
«علمّي يا مساعدتي الأمينة في الإيانا
يا مساعدتي ذات الكلمات اللبقة!
يا رسولتي ذات الخطاب الفعّال!
يدك لم تمسس الماء
ورجلك لم تمسس الماء»!
وهكذا أنقذت إنانا سفينة السماء

وكذلك الأسس التي قُدّمت لها!

المرحلة الثالثة / العمود الثاني

مرة ثالثة توجه الأمير إلى إيسمود حاجبه
استدعى أنكي حاجبه الطيب، الشخصية السماوية:
«إيسمود يا حاجبي الطيب، أيتها الشخصية السماوية
ـ ها أنذا يا مليكي أنكي! أنا طوع أمرك! أطلب!
ـ أين هي الآن سفينة [السماء]؟
ـ إنها ترسو بجوار تل الـ[. . . .]
ـ حسناً فليستولِ عليها [لاخامو[1] لإنيجور[2] الخمسون]!»
وتوجّه الحاجب إيسمود إلى إنانا المقدّسة:
«يا ملكتي، أبوك أرسلني إليك
أبوك أرسلني إليك يا إنانا
وما قاله لي أبوك فائق الخطورة:
ما قاله لي أنكي عظيم الخطورة
وليس بالإمكان تجاهل أوامر بهذه الأهمية»!
أجابته إنانا المقدّسة:
«ماذا قال لك [أبي]؟
ما الذي أمرك به؟
ما هي أوامره الكبيرة الأهمية
التي لا يمكن تجاهلها؟
ـ مليكي قال لي
أنكي أمرني (قائلا):

---

(١) (Lahamu) مخلوقات مائية ورد ذكرها في قصيدة التكوين والخلق البابلية على شكل كائنات بدائية.

(٢) (Engur) ورد شرحها سابقاً (العمود ٥: السطر ٤١).

دع إنانا تدخل إلى أوروك
لكن سفينة السماء، عليك إعادتها إلى إريدو!»
وردّت إنانّا المقدّسة على إيسمود:
«ما حدا بأبي
أن يبدّل إرادته نحوي
لماذا أخلف وعده لي؟
ودنّس أوامره الواضحة لي
هل قال لي كلمته وهو في حالة سكر؟
هل توجّه إليّ مغرّراً
هل كان ينافق
حين استشهد بسلطانه وبالأبسو؟
هل أرسلك خيانة منه لي؟»
وما كادت تنتهي من قولها
حتى وضع لخامو الأينجور الخمسون
اليد على سفينة السماء
لكن إنّانا استدعت نينشوبور مساعدتها:
«هلمّي يا مساعدتي الأمينة في الإيانا
يا مساعدتي ذات الكلمات اللبقة!
يا رسولتي ذات الخطاب الفعّال!
يدك لم تمسس الماء
ورجلك لم تمسس الماء»!
وهكذا أنقذت إنانا سفينة السماء
وكذلك الأسس التي قدمت لها!

المرحلة الرابعة

مرة رابعة توجه الأمير إلى إيسمود حاجبه

استدعى أنكي حاجبه الطيب، الشخصية السماوية:
«إيسمود يا حاجبي الطيب، أيتها الشخصية السماوية
ـ ها أنذا يا مليكي أنكي! أنا طوع أمرك! أطلب!
ـ أين هي الآن سفينة [السماء]؟
ـ إنها ترسو بجوار تل الـ[. . . .]
ـ حسناً فليستولِ عليها السمك الضخم بعد صدمها!»
وتوجّه الحاجب إيسمود إلى إنانا المقدّسة:
«يا ملكتي، أبوك أرسلني إليك
أبوك أرسلني إليك يا إنانا
وما قاله لي أبوك فائق الخطورة:
ما قاله لي أنكي عظيم الخطورة
وليس بالإمكان تجاهل أوامر بهذه الأهمية»!
أجابته إنانا المقدّسة:
«ماذا قال لك [أبي]؟
ما الذي أمرك به؟
ما هي أوامره الكبيرة الأهمية
التي لا يمكن تجاهلها؟
ـ مليكي قال لي
أنكي أمرني (قائلاً):
دع إنانا تدخل إلى أوروك
لكن سفينة السماء، عليك إعادتها إلى إريدو!»
وردّت إنانا المقدسة على إيسمود:
«ما حدا بأبي
أن يبدّل إرادته نحوي
لماذا أخلف وعده لي؟
ودنّس أوامره الواضحة لي

هل قال لي كلمته وهو في حالة سكر؟
هل توجّه إليّ مغرّراً؟
هل كان ينافق
حين استشهد بسلطانه وبالأبسو؟
هل أرسلك خيانة منه لي؟»
وما كادت تنتهي من قولها
حتى وضع السمك الضخم بعد الصدم
اليد على سفينة السماء.
لكن إنانا استدعت نينشوبور مساعدتها:
«هلمّي يا مساعدتي الأمينة في الإيانا

العمود الثالث

يا مساعدتي ذات الكلمات اللبقة!
يا رسولتي ذات الخطاب الفعّال!
يدك لم تمسس الماء
ورجلك لم تمسس الماء»!
وهكذا أنقذت إنانا سفينة السماء
وكذلك الأسس التي قُدّمت لها!

المرحلة الخامسة

مرة خامسة توجه الأمير إلى إيسمود حاجبه
استدعى أنكي حاجبه الطيب، الشخصية السماوية:
«إيسمود يا حاجبي الطيب، أيتها الشخصية السماوية
ـ ها أنذا يا مليكي أنكي! أنا طوع أمرك! أطلب!
ـ أين هي الآن سفينة [السماء]؟
ـ إنها ترسو على [....]

ـ حسناً فليستولِ عليها حراس أوروك!»
وتوجّه الحاجب إيسمود إلى إنانا المقدّسة:
«يا ملكتي، أبوك أرسلني إليك
أبوك أرسلني إليك يا إنانا
وما قاله لي أبوك فائق الخطورة:
ما قاله لي أنكي عظيم الخطورة
وليس بالإمكان تجاهل أوامر بهذه الأهمية»!
أجابته إنانا المقدّسة:
«ماذا قال لك أبي؟
ما الذي أمرك به؟
ما هي أوامره الكبيرة الأهمية
التي [لا يمكن تجاهلها]؟
ـ مليكتي قال لي
أنكي أمرني (قائلا):
دع إنانا تدخل إلى أوروك
لكن سفينة السماء، عليك إعادتها إلى إريدو!»
وردّت إنانا المقدسة على إيسمود:
«ما حدا بأبي
أن يبدّل إرادته نحوي
لماذا أخلف وعده لي؟
ودنّس أوامره الواضحة لي
هل قال لي كلمته وهو في حالة سكر؟
هل توجّه إليّ مغرّراً؟
هل كان ينافق
حين استشهد بسلطانه وبالأبسو؟
هل أرسلك خيانة منه لي؟»

وما كادت تنتهي من قولها
حتى وضع حرّاس أوروك
اليد على سفينة السماء.
لكن إنّانا استدعت نينشوبور مساعدتها:
«هلمّي يا مساعدتي الأمينة في الإيانا
يا مساعدتي ذات الكلمات اللبقة!
يا رسولتي ذات الخطاب الفعّال!
يدك لم تمسس الماء
ورجلك لم تمسس الماء»!
وهكذا أنقذت إنانا سفينة السماء
وكذلك الأسس التي قُدّمت لها!

المرحلة السادسة

مرةً سادسة توجه الأمير إلى إيسمود حاجبه
استدعى أنكي حاجبه الطيب، الشخصية السماوية:
«إيسمود يا حاجبي الطيب، أيتها الشخصية السماوية
ـ ها أنذا يا مليكي أنكي! أنا طوع أمرك! أطلب!
ـ أين هي الآن سفينة [السماء]؟
ـ إنها تلج تواً [مجرى] التورونجال[1]
ـ حسناً فليستولِ عليها [حراس] التورونجال!»
وتوجّه الحاجب إيسمود إلى إنانا المقدّسة
{توجّه إلى إنانا المقدسة:}[2]
«يا مليكتي، أبوك أرسلني إليك

(١) (Turungal) المجرى القديم للفرات بين مدينة لارسا (Larsa) القديمة وضاحية أوروك الشمالية. ورد أيضاً في النص رقم (٨١) من هذا الكتاب.
(٢) سطر تكرر خطأً من قبل الناسخ.

أبوك أرسلني إليك يا إنانا
وما قاله لي أبوك فائق الخطورة:
ما قاله لي أنكي عظيم الخطورة
وليس بالإمكان تجاهل أوامر بهذه الأهمية»!
أجابته إنانا المقدّسة:
«ماذا قال لك أبي؟
ما الذي أمرك به؟
ما هي أوامره الكبيرة الأهمية
التي لا يمكن تجاهلها؟
ـ مليكتي قال لي
أنكي أمرني (قائلا):
دع إنانا تدخل إلى أوروك
لكن سفينة السماء، عليك إعادتها إلى إريدو!»
وردّت إنانا المقدسة على إيسمود:
«ما حدا بأبي
أن يبدّل إرادته نحوي
لماذا أخلف وعده لي؟
ودنّس أوامره الواضحة لي
هل قال لي كلمته وهو في حالة سكر؟
هل توجّه إليّ مغرّراً؟
هل كان ينافق
حين استشهد بسلطانه وبالأبسو؟
هل أرسلك خيانة منه لي؟»
وما كادت تنتهي من قولها

العمود الرابع

1 حتى وضع حراس توروبنجال
اليد على سفينة السماء.
لكن إنّانا استدعت نينشوبور مساعدتها:
«هلمّي يا مساعدتي الأمينة في الإيانا
يا مساعدتي ذات الكلمات اللبقة!
5 يا رسولتي ذات الخطاب الفعّال!
يدك لم تمسس الماء
ورجلك لم تمسس الماء»!
وهكذا أنقذت إنانا سفينة السماء
وكذلك الأسس التي قُدِّمت لها!
(الأسطر ٨ ـ ١٩ مشوهة وغير مفهومة).

إنانا تصل إلى أوروك

20 عند ذلك (قالت) نينشوبور مساعدتها
إلى إنانا المقدسة:
«سيدتي، ها هي إذن سفينة السماء
قد أرجعت اليوم
حتى بوّابة نيجـ[ولا][1] الكبرى في أوروك ـ كلاّبا]!
الأسطر ٢٣ ـ ٢٥ غير واضحة.
26 [وأجابتها] إنّانا المقدّسة:
«أنا التي أرجعتُ في هذا اليوم [سفينة السماء]
حتى بوابة نيجولاً الكبرى في أوروك ـ كُلاّبا!
فلتغطُ «الجماهير» [الشوارع]!

---

(١) (Nigulla) إحدى بوابات مدينة أوروك.

ولتُغرَقْ «بالجماهير» الطرق!
ولـ[. . . .]
ولـ[. . . .] في الأفراح!
فليقدِّم القدماء نصائحهم
وَلْتَعرضِ المسنّات آراءهن
وليتنافس الشبّان الأبطال
على حسن استعمال السلاح
وليخرج الأطفال ـ الصغار (للّهو بلطافة)
وليعمّ عيد الأفراح في أوروك ـ كلاّبا
(الأسطر ٣٨ ـ ٤٢ مفقودة).
وليقدّم خزّان سفينة السماء الماء الصّافي(؟)
وليحيّي الكاهن ـ الكبير السفينة بالأناشيد
وليتلُ الابتهالات العظيمة
وليضحِّ الملك بسخاء الثيران والخراف
وليشرِ الجمة تكريماً للآلهة
ولتدوِّ الطبلات والطبول
ولتُعزفْ على (آلات) التيجي[1] الموسيقى العذبة
ولتحتفل بشخصي الجليل المناطق جميعاً
وليمجّدني شعبي»
وهكذا عندما وصلت سفينة السماء
إلى بوابة نيجولاّ ـ الكبرى في أوروك ـ كلاّبا
وغطت «الجماهير» الشوارع
وغرقت «بالجماهير» الطرق
وعادت السفينة إلى مرفأ مآبها(؟)

---

(١) (tigi) نوع من الطبول ويعني أحياناً انشاداً يرافقه وقع هذه الآلة.

مسكن المرأة ـ الفتية
[رست] قرب البئر المقدسة، البئر الرئيسية [. . .]
(ومرّت) سفينة السماء والأسس المهداة لإنانا
عبر بوابة الجيپار[1]
[للتوقف] على بوابة الإينون[2]!
وإنانا المقدّسة [. . .]
موضع سفينة السماء!

تبلّغ أنكي وصول سفينة السماء

عند ذلك [توجّه] الأمير إلى إيسمود حاجبه
استدعى أنكي حاجبه الطيب، الشخصية السماوية:
إيسمود يا حاجبي الطيّب، أيتها الشخصية السماوية
ـ ها أنذا يا مليكي أنكي! أنا طوع أمرك! أطلب!
ـ أين هي الآن، إذن سفينة السماء؟
ـ إنها ترسو الآن على الرصيف ـ الأبيض
حسناً [. . .]

(الأسطر السبعة أو الثمانية من نهاية العمود الرابع مفقودة وكذلك إذن تعليمات أنكي إلى حاجبه، ويظهر أن أنكي رضخ إلى أمر امتلاك إنانا للأسس المقدّمة.

وعندما يستأنف النصّ في العمود الخامس، نشهد تفريغ حمولة السفينة بحضور كورس من الأمناء لإنانا يستقبلون بالترحيب الأسس والسّلطات التي كسبتها إنانا لأوروك ويعدّدونها الواحدة تلو الأخرى في نوع من الجرد لمحتويات السفينة.

العمود الخامس

«أي إنانا [أنت جلبتِ] منصبَ إين!

(١) (Gipar) الجناح المخصص لسكن الكهنة أو الآلهة في المعبد.
(٢) (Enun) أحد معابد أوروك.

[أنت جلبتِ] منصب لاچال!
[أنت جلبتِ] الوظيفة المقدّسة!
[أنت جلبتِ] التاج الشرعي العظيم!
أنت جلبتِ العرش الملكي!
أنت جلبتِ الصولجان السامي!
أنت جلبتِ عصا القيادة!
أنت جلبتِ الرداء (الملكي)!
أنت جلبتِ الرعويّة!
أنت جلبتِ الملكية!
أنت جلبتِ منصب الإيجيزي!
أنت جلبتِ منصب تيندينجير!
أنت جلبتِ إيشيب!
أنت جلبتِ لوماخ!
أنت جلبتِ چودو!
أنت جلبتِ مطابقة الحقيقة!
أنت جلبتِ [الـ. . . .]!
أنت جلبتِ [الـ. . . .]!
أنت جلبتِ النزول إلى العالم السفلي!
[أنت جلبتِ] الصعود من العالم السفلي!
[أنت جلبتِ] قلب الأدوار الجنسية بالتنكّر!
[أنت جلبتِ] الخنجر - و- الهراوة!
أنت جلبتِ حالة المسترجلات!
أنت جلبتِ اللباس الأسود!
أنت جلبتِ اللباس المتعدد الألوان!
أنت جلبتِ الشعر المردود على النقرة!
أنت جلبتِ الشعر المعقود على النقرة!

أنت جلبتِ الـ. . . . !
أنت جلبتِ الـ. . . . !
أنت جلبتِ الـ. . . !
أنت جلبتِ الـ. . . !
أنت جلبتِ الـ. . . . !
أنت جلبتِ الـ. . . . !
أنت جلبتِ الـ. . . . !
أنت جلبتِ الراية!
أنت جلبتِ الجعبة!
أنت جلبتِ العلاقات الجنسية!
أنت جلبتِ قبلة ـ العشاق!
أنت جلبتِ البغاء!
أنت جلبتِ «السريع الإنجاز»(؟)!
أنت جلبتِ صراحة القول!
[أنت جلبتِ] الرياء!
أنت جلبتِ المداهنة!
[أنت جلبتِ] الـ[. . . .]!
[أنت جلبتِ] حالة إناثا النذرية!
[أنت جلبتِ] الحانة المقدسة!
أنت جلبتِ تينجينچار المقدس!
أنت جلبتِ الـ[. . . .] الإلهي!
أنت جلبتِ البغاء السماوي!
أنت جلبتِ الجوقة الصوتية!
أنت جلبتِ فن الغناء!
أنت جلبتِ منصب القدماء!
أنت جلبتِ منصب الحرب!

أنت جلبتِ السلطة العسكرية!
أنت جلبتِ الخداع!
أنت جلبتِ الاستقامة!
أنت جلبتِ تخريب المدن!
أنت جلبتِ ممارسة النواح!
أنت جلبتِ القناعة!
أنت جلبتِ المكر(؟)!
أنت جلبتِ [الثـ] ـورة!
أنت جلبتِ [الرخـ] ـاء!
أنت جلبتِ التجوال!
أنت جلبتِ أمان السكن!
أنت جلبتِ فن شغل الخشب!
أنت جلبتِ فن شغل المعدن!
أنت جلبتِ فن الكتابة!
أنت جلبتِ فن صب المعادن!
أنت جلبتِ فن صناعة الجلد!
أنت جلبتِ فن النسيج!
أنت جلبتِ فن العمارة!
أنت جلبتِ فن صنع السلال!
[أنت جلبتِ] الذكاء!
[أنت جلبتِ] مهارة الصنع!
أنت جلبتِ الاغتسال المقدس!

العمود السادس

أنت جلبتِ تجميع الـ [سماد]!
أنت جلبتِ تكو[يم] الجمر!

أنت جلبتِ [الحضا] رة!
أنت جلبتِ [الاحترام]!
أنت جلبتِ الإجلال!
أنت جلبتِ التحفّظ!
أنت جلبتِ الكذب ـ والفظاظة!
أنت جلبتِ فن إشعال [النار]!
أنت جلبتِ فن إطفاء النار!
أنت جلبتِ العمل الجبري!
أنت جلبتِ الـ[. . . .]!
أنت جلبتِ اجتماع العائلة!
أنت جلبتِ التناسل!
أنت جلبتِ المجادلة!
أنت جلبتِ النصر!
أنت جلبتِ فنّ إسداء النصح!
أنت جلبتِ فنّ التهدئة!
أنت جلبتِ فنّ المحاكمة!
أنت جلبتِ فنّ اتخاذ القرار!
بغية تمركز [. . . .] على الأرض، أنت جلبتِ
فن إدارة المنزل: زينة النساء!
أنت جلبتِ [. . . .]: سر الأسرار!
أنت جلبتِ [. . . .] الصغار!
أنت جلبتِ [. . . .] العظيم!
أنت جلبتِ التيجي المقدس والليليس المقدّس والأوب المقدس[1]
والميز المقدس والآلا المقدس![2]

---

(١) (Tigi) و(Lilis) و(Ub) آلات موسيقية.
(٢) (meze) و(Ala) من آلات الموسيقى.

25 أنت جلبتِ الـ[. . .] السماوي المقدس![١]
أنت جلبتِ الـ[. . . .] السماوي المقدس![١]
أنت جلبتِ الـ[. . . .] السماوي المقدس![١]
أنت جلبتِ الـ[. . . .] السماوي المقدس![١]
أنت جلبتِ الـ[. . . .] السماوي المقدس![١]
30 أنت جلبتِ الـ[. . . .] السماوي المقدس![١]
أنت جلبتِ الـ[. . . .]

(الأسطر ٣٢ ـ ٣٤ مفقودة، وما يلي حتى السطر ٥٠ يعتريه النقص والغموض. ويمكن التعرّف على شخص مؤنث، لا بدّ أن يكون إنانا شخصياً تحدد مصير الأسس والشعارات وتعيّن أماكن أوروك التي سوف تستفيد منها وبخاصة الرصيف الأبيض ثم الرصيف الأزرق.

وبعد ذلك يعود أنكي للظهور متوجهاً إلى إنانا).

قرار أنكي الأخير

51 توجّه أنكي عندئذٍ إلى إنانا المقدسة:
«باسم سلطاني! وباسم الأبسو (مقري)!

(الأسطر ٥٣ ـ ٦٤ غامضة ولا يتضح قرار أنكي إلاّ بطريقة غير مباشرة في نهاية النص).

65 فليقضِ الكاهن ـ الكبير في جيبارك[٢] المقدّس
أيامه بابتهاج!
وليتمكن مواطنو مدينتك، وأطفال أوروك
من قضاء حياة ممتعة فيها!
أما بالنسبة لك، فمدينتك تبقى
طبعاً حليفة لإريدو:

---

(١) تم التعبير عن النقص بصفة المذكر مع أن المؤنث محتمل وذلك تسهيلاً للعرض.
(٢) (Gipar) المكان المخصص هنا لسكن إنانا في معبد أوروك.

ولتحتل أيضاً مركزها السابق

(ينتهي هنا العمود السادس للوحة وكذلك ينتهي النص ويضيف الناسخ كما هي العادة في أكثر الأحيان عدد الأسطر التي تحتويها اللوحة):

المجموع: ٤١١ سطراً.

(٨٦) ـ التنين الهائل
الذي هدّد الأرض

١ ـ أشرنا في المقطع التاسع من تقديم الفقرة (٢ ـ ٢) إلى تصدّي الإلّه أنكي لتنين المياه الباطنة كور[١] وإلى قضاء الإلّه المحارب نينورتا على الشيطان أساج[٢] وما نتج عنه من اجتياح مياه المحيط البدئي لسومر وتدخل نينورتا الحضاري[٣] للحيلولة دون ذلك. وفي نصّين آخرين يرويان قصّة القضاء على التنين الذي هدد الأرض، فإن الوحشين الخطيرين سُمّيا لابّو[٤] وبشمو[٥]. ونعرض فيما يلي ما وصلنا من نصوص قصيرة وناقصة، بسبب تشوه اللوحات التي تحملها، عن قصص القضاء على التنين:

(٨٦ ـ أ) ـ القضاء على التنين كور

(٨٦ ـ ب) ـ نينورتا والأساج

(٨٦ ـ ج) ـ من سيقضي على التنين لابّو

(٨٦ ـ د) ـ التنين بشمو وليد البحر

---

(١) (kur)

(٢) (Asag)

(٣) إذ أدى ذلك لبناء سد أمام البحر.

(٤) (Labbu)

(٥) (Bashmu) بالنسبة للملاحظات (١) و(٢) و(٤) و(٥) انظر الشرح في حواشي المقطع ٩ من الفقرة (١ ـ ٥).

(٨٦ ـ أ) ـ القضاء على التنين كور

حدثت هذه المعركة التي أشرنا آنفاً إلى أن بطلها هو الإلّه أنكي، في الأزمنة البدئية، بعد أن كان قد تمّ وفقاً لقصص التكوين السومرية فصل السماء عن الأرض والأرض عن السماء وتوزع الأدوار بين آن إلّه السماء وإنليل إله الهواء، يروي لنا النصّ بأن التنّين كور خطف من السماء الإلّهة إيريشكيجال[١]. وكان على أنكي ركوب البحر للقاء كور، ويصف لنا النص كيف كان كور يقاوم أنكي برمي سفينته بالحجارة. ولا يعلمنا هذا النصّ القصير عن تفاصيل المعركة، وقد ورد في مقدّمة قصيدة كانت غايتها سرد قصة جلجامش[٢] وأنكيدو[٢] بصدد العالم السفلي، وكشف أسراره، بعد أن فَقَد جلجامش آلتيه الموسيقيتين[٣] اللتين سقطتا في العالم السفلي، حيث نزل أنكيدو لاسترجاعهما ولم يحترم التعليمات المعطاة له فأسرَهُ كور وأبقاه سجين العالم السفلي. وهذا النص السومري هو الأصل الذي اعتمدت عليه اللوحة الثانية عشرة من ملحمة جلجامش (نسخة نينوى). وفي هذا النص الذي سنورده كاملاً في الكتاب الرابع نجد في العالم السفلي، إلى جانب كور، كلاً من نامتار[٤] معاون إيريشكيجال وأساج، ومن لقبُهُ ناصب الأفخاخ في خدمة نرجال[٥].

---

(١) (Ereshligal) التي أصبحت ملكة العالم السفلي وهي أخت إنانا/ عشتار وسوف يتحدث عنها مفصلاً الكتاب الرابع.

(٢) (Gilgamesh) و(Enkidu).

(٣) الآلتان هما البوكو (Pukku) والميكّو (Mikku) ونعتقد أنهما الطبل وعصاه.

(٤) (Namtar).

(٥) (Nergal) الإلّه الذي أصبح ملك العالم السفلي بنتيجة علاقته الغرامية مع إيريشكيجال.

قلنا آنفاً بأن خبر الصراع بين أنكي وكور لم يذهب إلى أبعد من ذلك ولا يشير أيضاً إلى نتيجة المعركة، وليس من الصعب الاستنتاج بأن أنكي كان المنتصر لأن كور أصبح أسير الأبسو[١] وقد يعني الانتصار على كور هو إجباره على البقاء في العالم السفلي كما أشرنا إلى ذلك أعلاه. أما نصّ المجابهة فهو التالي:

بعد أن حصل آن على السماء
وبعد أن حصل إنليل على الأرض
وبعد أن قام كور بخطف إيريشكيجال
كأسيرة له[٢]؛
بعد أن قام برفع شراعه، بعد أن
قام برفع شراعه،
بعد أن قام الأب (أنكي) برفع شراعه
(متوجهاً) نحو كور،
قذف كور نحو الملك[٣] الحجارة الصغيرة،
قَذَف نحو أنكي الحجارة الكبيرة؛
حجارته الصغيرة، حجارة اليد؛
وحجارته الكبيرة، حجارة القصب «المتمايل»؛
حطّمت صالبة[٤] سفينة أنكي
المقاتل، كالعاصفة المهاجمة.
ولدى هجوم الملك، كانت المياه في مقدمة السفينة
تلتهم مثل ذئب،
لدى هجوم الملك، كانت المياه في مؤخرة السفينة
تخبط مثل أسد.

ولا يقول هذا النص المخصص أصلاً، كما أسلفنا للبحث في العالم السفلي، أيّ شيء عن آلتي الموسيقى اللتين فقدهما جلجامش.

---

(١) (Apsu) محيط المياه الباطنية حيث بنى أنكي مقره، وأبزو (Abzu) بالسومرية تعني البحر.

(٢) يذكر هذا الحدث بخطف بيرسيفون (Persephone) ابنة إلّهة الزراعة اليونانية وأسرها في العالم السفلي.

(٣) المقصود هو أنكي ملك الأبسو.

(٤) صالبة السفينة ـ هي الجسر السفلي الأوسط الذي يشكل العمود الفقري للسفينة.

(٨٦ ـ ب) ـ نينورتا والأساج

١ ـ الأساج الذي يقضي عليه نينورتا في هذا النص السومري يرتبط بالسيطرة على مياه البحر البدئي للحيلولة دون اجتياحها بلاد سومر وذلك ببناء جدار حماية ينتصب في وجه هذا البحر. ويتابع النص بعد ذلك، وهو أحد الأصول السومرية لانتصار نينورتا على الجبل، «شعب الحجارة» بمباركة الحجارة الحليفة ولعن الحجارة المتمردة التي حاربت إلى جانب الأساكو، عملاق الجبل، كما تم عرض ذلك في النص رقم (٧٩) من هذا الكتاب.

٢ ـ وما يهمنا هنا، هو عرض هذه البداية السومرية، التي تشير إلى الخلل الذي أحدثه في سومر القضاء على الأساج، إذ فاضت غاضبةً مياهُ البحر البدئي واجتاحت الأرض مانعةً المياه الحلوة من الوصول إلى الحقول لريّها. وسيطر اليأس على الآلهة الذين كانوا «يحملون السلّة والمعزق» وهم المكلفون بأعمال الريّ والزراعة.

وهنا أيضاً فإن «شارور» سلاح نينورتا السحري هو الذي يحرّضه على القضاء على الأساج فيتم ذلك. وهذه هي النتائج كما يعرضها النص:

هائلة كانت المجاعة، ولم يعد أي شي يُنْتَج
وفي الأنهار الصغيرة، ما من أحد «كان يغسل يديه».
ولم يعد يرتفع منسوب المياه
ولم يعد ممكناً إرواء الحقول؛
وما من أحد كان يحفر ترع الري،
ولم تعد تنبت أية زروع في جميع البلاد.

وحدها كانت تنمو الأعشاب السيئة.
عند ذلك وأمام تلك الحالة، أعمل
الإله عقله النيّر؛
نينورتا ابن إنليل، خلق عند ذلك أشياء عظيمة.

ويعلمنا النص بعد ذلك بأن نينورتا كدّس أحجاراً كثيرة فوق كور[1] وأقام جداراً عظيماً لحماية سومر، بحيث إن مياه البحر البدئي «العنيفة»، لم يعد باستطاعتها الصعود إلى سطح الأرض. جمّع نينورتا، بعد ذلك المياه التي تشتتت في البلاد وحوّلها لتصب في دجلة. فطفح النهر من جديد وأمكن فيضه من إرواء الحقول:

ما كان مشتتاً، جمعه (نينورتا)
ما كان مشتتاً من الكور
حوّله وصبّه في دجلة
والمياه العالية، أفاضها دجلة على الحقول.
وعند ذلك، هذا هو كل شيء على الأرض
يبتهج إلى أبعد حدّ، بفضل
نينورتا، ملك البلاد
فأنتجت الحقول حبّها بكثرة
ومنحت الكروم والبساتين ثمارها،
وعلى الهضاب تراكم الحصاد وامتلأت العنابر
فأزال الإله الحزن من على وجه الأرض
وطفحت بالبهجة قلوب الآلهة.

(يعرض النص بعد ذلك تكريم نينورتا لأمّه نينماخ[2] ويقرر مصير أحجار الجبل وفقاً لما ورد في النصّ رقم (٧٩) المعروض آنفاً).

---

(١) (kur) هنا بمعنى العالم السفلي مقر التنين أساج.
(٢) (Nin-Mah) لقب ام نينورتا ومعناه السيدة الفائقة السمو.

(٨٦ ـ ج) ـ من سيقضي على التنين لابو

يتعلق الأمر هذه المرة بنص وحيد عُثر عليه في مكتبة الملك أشور بانيبال في نينوى (٦٦٨ ـ ٦٢٧) ق. م. وقد فقدت اللوحة جزءاً كبيراً من نصفها الأيمن، ولم يكن ممكناً تقدير النقص الحاصل على وجه اللوحة وظهرها. إلاّ أن مضمون ما تبقى منها جدير بأن يعرض.

وفي هذه اللوحة، فإن التنين المخيف هو لابّو[1] الذي أرهق سكان المدن، حيث أن عددهم كان يتناقص باستمرار، والذي كان يلتهم طيور السماء.

حتى الآلهة، كانوا يتساءلون، عمّن أتى بهذا المخلوق إلى الوجود، كما حدث ذلك بصدد الطائر أنزو[2] الذي هدّد مصير جميع الآلهة باستيلائه على السيادة. أما هنا فإن التنين هدّد الأرض وسكان الأرض، ولم يهتم به الآلهة إلاّ بعد تفاقم خطره على البشر والطيور والحيوانات وبالتالي على التقدمات والقرابين، التي كان البشر يملأون بها معابد الآلهة. وهنا يتمّ التساؤل من الذي من بين الآلهة سوف يخلّصنا من لابّو وينقذ الأرض الفسيحة؟

إنّ إلّهاً باسم تيشپاك[3] هو الذي يكلّف بهذه المهمة. فيستعدّ للمعركة مزوّداً

---

(١) (Labbou) بمعنى «الغاضب» ومنه اشتق اسم الأسد.

(٢) (Anzou) نص «خيانة الطائر أنزو وعقابه» عرض في الكتاب الثاني تحت رقم (٦٢).

(٣) (Tishpak) إلّه ثانوي عرف في مدينة إيشنونا (Eshnuna) الواقعة إلى الشمال من بغداد (تل أسمر).

بنصائح إيا[١] كما حدث ذلك بالنسبة لنينورتا قبل لقائه الطائر أنزو.

التنين الهائل يرهب الأرض والآلهة

وجه اللوحة

أهل المدن، أنهكهم الأمر، والقاطنون [. . .]
كان عدد السكان يتناقص،
ولكن أمام صراخهم المفجع،
[الآلهة] لم [يأخذوا حذرهم(؟)]
ولم يعير [وا اهتماماً (؟)] لصراخهم [. . .]
من الذي [أوجد هذا التنين (؟)] (تساءلوا)
البحر وَحده [بإمكانه ولادة مثله (؟)]
عند ذلك رسم إنليل [شكله (؟)] في السماء[٢]
كان طوله يبلغ خمسين بيرو[٣]
وبيرو واحد [كان سمْكه(؟)]
كان قياس فمه ستة أذرع[٤]
و[لسانه(؟)] إثنا عشر ذراعاً
وعلى إثني عشر ذراعاً (كان يمتد)
محيط أذنيه
وعلى مسافة ستين ذراعاً
كان [يلتقط (؟)] الطيور [بلسانه(؟)]
إذا ما تحرّك تحت تسعة أذرع ماء [. . .]

---

(١) (Ea) إلّه المعرفة ومهارة الصنع وأمير الأبسو.
(٢) من المحتمل أن نكون هنا أمام إشارة للمجموعة الكوكبية «التنين».
(٣) (bêru) = حوالي ١٠ كيلومترات على الأقل.
(٤) التسمية في النص هي أماتو (Ammatu) بقياس ٥٠ سم تقريباً.

كان باستطاعته رفع ذنبه [حتى...]

القلق يصل أخيراً إلى الآلهة

بحيث إن كافة آلهة السماء
[بدأ يتملّكهم الخوف (؟)]
وعند ذلك، وهم سجود في السماء
أمام [إيا (؟)]،
حتى أن سين[1] كان يشدّه من
طرف ثوبه[2][...]
«من هو الذي سوف يذهب (قالوا)
للإطاحة (؟) بهذا اللابّو [...(؟)]
لينقذ بذلك الأرض الفسيحة،
و[...] يمتلك السيادة العليا؟

الإلّه تيشپاك يُختار لهذه المهمة

ـ إذهب واقتل لابّو، يا تيشپاك! [...]
أنقذ الأرض الفسيحة [...]
وامتلك السلطة العليا [...]!
ـ أنت تكلفني يا سيدي
[بقتل (؟)] وليد النهر [... (؟)]
ولكن، بصدد هذا اللابّو، أنا أجهل [...]
[...]
[...] في الماء»

(فقدان كامل الجهة السفلية من وجه اللوحة ولا يمكن تقدير النقص).

---

(١) (Sin) الإلّه القمر.
(٢) إشارة إلى الطلب من إيا التدخل لإنقاذ الآلهة من الخطر.

ظهر اللوحة/ التعليمات المعطاة إلى البطل من قبل إيا

فتح [إيا(؟)] فمه
متوجهاً إلى الإله [. . .]
«إجعل الغيوم ـ الماطرة تنحدر (عليه)
[أطلق (؟)] العاصفة [. . . .]
[. . .] أمامك، الختم الأسطواني في رقبتك [. . .]
اقذفه، واقتل بذلك اللابو [. . .]!»
جعل إذن الغيوم ـ الماطرة تنحدر
[. . .] والعاصفة [تهبّ (؟)]
[. . .] الختم الأسطواني في رقبته، أمامه [. . .]،
قذفه و[قتل] اللابو [. . .]!
وخلال ثلاثة أعوام وثلاثة أشهر
ويوم واحد، أكثر [. . .]
سال دم اللابو [. . .]

(٨٦ ـ د) ـ التنين بشمو وليد البحر

لم يبق من هذا النص، الذي عثر عليه في ما سمّي بمكتبة تغلات ـ فلصّر (١١١٥ ـ ١٠٧٧) ق.م، إلاّ بعض الأسطر. وهو يسبق نص مكتبه أشور بانيبال (٨٦ ـ ج) بعدة قرون، أمّا بطله، فليس الإلّه تيشباك، بل إلّه ثانوي آخر، نجهل اسمه بسبب النقص[١].

ونحن نعلم أنه يَبْدأ بالتوجّه إلى الإلّهة أرورو[٢] التي تُرسله بدورها إلى نرجال[٣]. وإلى هذا الأخير، يطلب إذن المساعدة لإنجاز مهمته: «واجبه كجندي». وما تبقى من النص يعدّد الأخطار التي يتوجب عليه مجابهتها، واصفاً ضخامة التنين واعتداءاته على ما في البحر والسماء، وعلى ما في الأرض من حيوانات وبشر.

21 في البحر، ولد التنين بشمو [...]
طوله ستون بيرو،
يرتفع رأسه حتى ثلاثين بيرو [...][٤]
محيط عينيه [يمتد (؟)] على نصف ـ بيرو

---

(١) العمود الأول من هذه اللوحة، أصابه تلف كامل، ومن العمود الثاني على ظهر اللوحة وحتى السطر ٢٠، أمكن سرد نتف المعلومات التي عرضت أعلاه. ويبدأ النص بالسطر ٢١.

(٢) (Aruru) إلّهة ـ أم وهي أخت إنليل.

(٣) (Nergal) إلّه العالم السفلي وكان سابقاً مقره في السماء ولكن علاقته الغرامية بإيريشكيجال إلّهة العالم السفلي جعلت منه ملكاً على هذا العالم.

(٤) (bêru) = قياسه حوالى ١٠ كيلومترات.

قوائمه تحقق قفزاتٍ لعشرين بيرو
إنّه يلتهم الأسماك، نتاج البحر [. . .]
والعصافير، نتاج السماء [. . .]
والعير الأخدرية، نتاج [الجبل. . .]
إنه يلتهم ذوي الرؤوس ـ السوداء و[. . .] البشر
[. . .] نرجال، ساحر الأفاعي [. . .]

(بقية العمود لا يمكن استثمار ما بقي منها، لأنّها مشوهة كلياً).

(٨٧) ـ الأبكالو ناقلو الحضارة، مساعدو أنكي/إيا

١ ـ تعترف جميع النصوص السومرية بدور الإلّه أنكي في نقل الحضارة وتعليم الناس الفنون التي ترفع مستوى معيشتهم وتحقق الرفاه للبلاد وللآلهة المستفيدين بدورهم من التقدمات والأضاحي في معابدهم.

ولم يتبدّل دور أنكي حين أطلقت عليه النصوص الأكادية تسمية إيا وظلّ إلّه الحكمة والمعرفة ومهارة الصنع ونقل الحضارة.

٢ ـ وتقول لنا بعض النصوص الأكادية التي لم يبق منها مع الأسف سوى أسطر قليلة، بأن الإلّه أنكي / إيا كان يعتمد في مهمته التحضيرية على مساعدين سبعة لقبوا بالأبكالو[١]، في اللغة الأكادية وفي هذا اللقب تحريف للتسمية السومرية (أب ـ جال) بمعنى «الكثير الذكاء» أي «الكبير الخبرة».

ويذكر النص المشار إليه أن الأبكالو السبعة أتوا من البحر أو خلقوا في النهر، ولُقّبوا «بسمكات الشبّوط المقدّسة». ولكي نفهم معنى هذه التسمية وأهميتها، نورد بنهاية النصين الأكاديَيْن القصيرَيْن، ما كتبه بيروز[٢] المؤرخ وكاهن معبد بل ـ مردوك في بابل حوالى عام ٣٠٠ ق.م. باللغة اليونانية، أي بعد فتح الإسكندر الكبير للشرق

---

(١) (Apkallu) أصلها السومري (Ab-Gal).

(٢) (Bérose) أو بيروزوس كاهن ومؤرخ بابلي عاش خلال الفترة الهلنستية وأراد تعريف العالم اليوناني بحضارة بابل فألف عمله التاريخي الذي عرف تحت اسم «بابيلونيكا» (Babilonica).

الأدنى في عام ٣٣٠ ق.م. ويشير نص بيروز إلى خروج الرجل ـ السمكة «أوانس»[١] من البحر الأحمر.

النص الأكادي الأول

وهو ما ورد عن الأبكالو السبعة، كما أشير إليهم في ملحمة إيرّا[٢] التي سيرد نصها الكامل في الكتاب الرابع. والمقطع الذي يهمنا هو كما يلي:

I 162 «هؤلاء الأبكالو السبعة، أبكالو الأبسو
الذين منحهم إيا سيّدهم
مهارة خارقة مثل مهارته!»

النص الأكادي الثاني

ورد ضمن لوحة تحمل نصاً عن طقسٍ خاص بالتعويذ وفيه توضيح لدور الأبكالو كما يلي:

هؤلاء الأبكالّو السبعة، سمكات الشبّوط
التي أتت من البحر
هؤلاء الأبكالّو السبعة الذين تم «خلقهم»
في النهر،
لتأمين حسن تطبيق المخططات الإلّهية
المتعلقة بالسماء والأرض....

أوانس ونقل الحضارة في نص بيروز

مقتطف عن بابيلونيكا ـ الجزء الأول:

«إلى بلاد بابل، قَدِمَ من مناطق أخرى، عدد كبير من الناس وتمركزوا في بلاد الكلدان (الجزء البحري الواقع في جنوب ما بين النهرين)، حيث

---

(١) (Oanes) تحريف هلنستي لاسم إيا.
(٢) (Erra) اسم آخر لنيورتا وهنا بصفته إلّه الحرب والدمار والحرب من أجل الحرب. وملحمة إيرا المشار إليها أعلاه هي آخر عمل ملحمي عرفته بلاد ما بين النهرين.

عاشوا حياة جهل، تماثل معيشة الحيوانات. وفي سنة أولى آنذاك، ظهر على الشاطىء كائن غير عادي (يقال إنه) خرج من البحر الأحمر وسُمّي «أوانس».

جسده الكامل، كان جسد سمكة وله تحت رأس السمكة رأس آخر بشري، وكذلك رجلان مماثلتان لرجلي إنسان ـ وهذا المظهر تمّ الاحتفاظ به في الذاكرة إذ لا يزال يُمثّل على هذا الشكل حتى في أيامنا هذه[1].

وكان هذا الكائن الحيّ، يمضي نهاره مختلطاً بالبشر دون تناول أي طعام، كما كان يعلمهم الكتابة والعلوم والفنون وبناء المدن وبناء المعابد، وأصول المحاكمات والهندسة؛ وكشف لهم أيضاً عن كيفية زراعة الحبوب وجني الثمار؛ وقد علّمهم إجمالاً كل ما يشكل أسس الحياة المتحضّرة.

تمّ ذلك بشكلٍ جيدٍ وكافٍ، حيث إنه منذ ذلك الحين، لم يتم اكتشاف أي جديد مهمّ، حول هذه المعارف.

وعند غروب الشمس، كان هذا الكائن أوانس يعود للغوص في البحر، بغية تمضية لياليه تحت الماء، لأنه كان برمائياً.

وظهر فيما بعد من هم على مثاله...[2].

(١) وصلتنا نقوش بارزة آشورية ـ حديثة، تحتوي على تمثيل لمثل هذا الرجل ـ السمكة، كما حلت لوحة برونزية مشهداً لكهّان معوذين يعالجون مريضاً وهم يرتدون كساءً من جلد سمكة كبيرة أو على شكل سمكة.

(٢) وهؤلاء هم الأبكالو السبعة أو الحكماء الذين رافقوا كل بدوره ملوك ما قبل الطوفان للقيام بدور مماثل لدور أنكي/ إيا/ أوانس.

(٢ ـ ٣) ـ إنانا/عشتار
والسلطة

١ ـ عندما نظم الإله أنكي البلاد (النص رقم ٨٢)، قرر في الوقت نفسه مصير إلهات عديدات، وكلّف كلاً منهن بمهام من شأنها خدمة الحضارة وتقدم المجتمع. ولكنه نسي أو تناسى إقرار مصير ملائم للإلهة إنانا.

ويمكن العودة إلى النص المشار إليه أعلاه، للتعرّف بأن أنكي عينّ للولادة وقطع حبل السرّة إلهتهما، وعينّ إلهةً للسهر على فن صناعة الخشب والمعادن، كما عينّ إلهةً لأعمال، تحديد العقارات (أعمال المساحة) والمحاسبة، وإلهةً للسهر على نتاج البحر والصيد، ولكنه نسي أو تناسى إنانا، ونتج عن ذلك احتجاج إنانا على هذا التصرف أمام الإله أنكي.

وقد يعني ذلك، كما يوحي به ردّ أنكي، إن إنانا كانت تتمتع، قبل تدخّل أنكي للتنظيم، بسلطاتٍ كافية، غلبت عليها صفات إنانا المحاربة التي: تلبس الرداء «قدرة ـ الرجال» وتعدّ وتُعلن المعارك والحروب. فهل يعني إغفال أنكي وإهماله لإنانا، محاولةً منه لإبعادها عن روح الحرب والقتال لأنه كان يعمد في تنظيمه إلى تعميم السلاح، لأنه هو الذي «جعل البشر يتركون السلاح في بيوتهم، ضماناً للعيش بسلام»؟ (السطران ٥٠ و٥١ من النص رقم ٨٢).

٢ ـ ونحن نعلم، كما يشير إلى ذلك النص رقم (٨٨)، الذي نُسِبَ تأليفه إلى ابنة سرجون الكبير (٢٣٣٤ ـ ٢٢٧٩) ق.م.، أن إنانا المحاربة هي التي أخضعت الجبل وجعلت إله الجبل يعترف بسلطتها و«يقبل الأرض تحت قدميها» وذلك على الرغم من محاولة إله السماء آن إقناعها بالتخلي عن مشروعها. ويصف النص معركتها بتعابير

تذكرنا بمعركة البطل نينورتا حين أخضع شعب الحجارة (النص رقم ٧٩ من هذا الكتاب).

٣ ـ تلتقي محاولة الإلّه أنكي لإبعاد إنانا عن المعارك وتهدئة عنفوانها، بمحاولته في فترة لاحقة[١]، تحت تسميته، الأكادية: إيا، محاولته إبعاد عشتار وهي إنانا نفسها عن كبريائها وصَلَفِها، بخلق ند لها لمجابهتها وجعلها تتخلّ عن الشجار والفتنة وإثارة الرعب. ونورد هذه المحاولة الناجحة والذكية من قبل الإلّه إيا في النص رقم (٨٩).

٤ ـ لا بد لمتتبّع النصوص حول إنانا / عشتار أن يلاحظ، بأنها لم تكن فقط إلّهة المعارك، فالكتاب الأول، لم يغفل التغني بدورها في الخصب والإخصاب وعلاقتها بدوموزي الراعي وأهمية ما رمزت إليه مراسم الزواج الإلّهي من إنانا، ودور الملوك بهذا الصدد.

والإلّهة إنانا/ عشتار، هي الإلّهة الوحيدة التي اجتازت العصور ولم تقف أمامها حدود البلاد ولم يقلل من أهميتها توالي العصور. فإنانا أوروك السومرية هي عشتار البابلية وعشتار نينوى الآشورية. كما أن عشتار نينوى هي التي ورد ذكرها في الأساطير الحثيّة والحورية التي عرفها الشمال السوري وساحل كيليكيا. وعشتار نينوى هي أيضاً أخت إله الرعد والعاصفة تيشوب[٢] كما كانت عناة أخت بعل الأوغاريتي. ومن بيبلوس وصيدون، عبرت عشتار/ عشتروت الكنعانية البحر إلى أثينا. كما أن روما لم تغفل أهميتها.

٥ ـ وما وصلنا من نصوص عن إنانا/ عشتار من ضمن مجموعات سومر وآكاد وآشور، وحدها، يثبت لنا بأنها كانت كبيرة إلّهات ما بين النهرين، ومنذ البداية بدأت شخصيتها تطغى على بقية الإلّهات المحلية التي حلت محلّهن وأضافت ميّزاتهن إلى شخصيتها وهذا ما يفسّر غِنى وتعقيد وتناقض هذه الشخصية، كما تحدثت عنها تلك النصوص:

ـ فعشتار، كما أشرنا إلى ذلك آنفاً هي إلّهة الرجولة في المعارك، المتحفّزة دوماً للقتال، تمثّلها النقوش البارزة واقفةً على أسدٍ تمسك

(١) فترة حكم حورابي (١٧٩٢ ـ ١٧٥٠) ق.م.
(٢) (Teshoup) يماثله حدد أو هدد وبعل الأوغاريتي.

زمامه بيدها اليسرى. وهي تحمل السيف على جانبها، وتظهر، متصالبةً على ظهرها، جعبتا سهام.

- عشتار هي أيضاً إلّهة الحب، بجميع أنواعه، الحب الطاهر والماجن، إنها العشيقة والقرينة والأم ومولّدة الآلهة ومصدر الحياة والخصب وهي في الوقت نفسه إلّهة الغانيات العاقرات وإلّهة المخنثين من الرجال.

- إنانا/ عشتار، هي التي مع الإلّه أنكي/ إيا، احتجت لأن إنليل أطلق الطوفان «بدون تروٍّ» لإبادة البشر ولم يكن له الحق بالقضاء على أبنائها جماعياً كما فعل.

- وهي التي اكتسبت أيضاً لَقَبَ الوصيّة على الكون، التي تُجلس الملوك على عروشهم وتضع بيدهم الصولجان والشارات الملكية، كما تسهر على استمرار الملكيات وتصونها.

- وفي سماء الآلهة، فإن إنانا/عشتار هي ألمع النجوم وأكثرها تألقاً، يرمز إليها في عالم السماء كوكب الزهرة أي فينوس[1] وهو الاسم الذي حافظت عليه في روما بعد أن كانت وُلِدَت من زبد البحر[2] في بلاد اليونان وحملها النسيم إلى قبرص، الجزيرة المخصّصة لها، فكانت الإلّهة أفروديت، إلّهة الحب والجمال، إلّهة الإغراء وتعدُّد المغامرات الغرامية مع الآلهة والبشر، تسخر من الذين تمكنت بحيلها من إغرائهم. . . ، إذْ كانت الإلّهة التي لا يُقاوَمُ سحرُها حتى أنها «كانت تعطِّل الاتزان في عقول الحكماء».

- ونذكر بهذه المناسبة أن سمعة أفروديت في تعدد مغامراتها الغرامية وتنقلها من عاشق لآخر لا بد أن تكون ورثتها عن اتهامات جلجامش لها عندما حاولت إغراءه بعد انتصاره على الثور السماوي ورفض بإباء طلبها معيباً عليها المصير المحزن لجميع عشاقها[3].

---

(١) (Vénus).

(٢) أي أفروس (afros) ومنه اشتق اسم أفروديت.

(٣) ورد ذلك في اللوحة السادسة من ملحمة جلجامش، نسخة نينوى والتي سيضمنها الكتاب الرابع.

- أما نزولها إلى العالم السفلي الذي سترد تفاصيله في كتاب لاحق، فقد كان سبباً في تعطيل الخصب والحياة الجنسية على الأرض.

٦ - جميع هذه الأوجه لشخصيتها الغنية والمعقدة التي عددنا، جعلت الشعراء والمنشدين يتغنون بمآثرها وبقدرتها كما جعلت المصلّين يتهلون إليها طالبين عونها.

وقد وصلتنا عنها أجمل أناشيد التمجيد، إذْ عَرِفَتْ فترة حكم نبوخذ نصر الأول (١١٤٦ - ١١٢٣) ق.م. تفتحاً جديداً لطقوس عشتار وكأنها استعادت الدور الأول وتزايدت سلطتها حتى أن أحد منشدي تلك الفترة جعلها بصفة المتكلم تمجّد نفسها ونورد هذا التمجيد تحت الرقم (٩٠). كما يحدثنا نشيد آخر عن افتخار عشتار بعطاء إنليل لها النص رقم (٩١). ومن أجمل نصوص التمجيد، العائدة لتلك الفترة أيضاً، هو ما أسميناه بنص ارتقاء عشتار ونورده تحت رقم (٩٢).

وفي ابتهال أخير موجّه إلى عشتار، نورده تحت الرقم (٩٣)، تضيف عشتار إلى ألقابها المتعددة لقب «إلّهة الإلّهات».

٧ - ومن ضمن هذه الفقرة حول إنانا/ عشتار والسلطة يمكننا القول في ما يتعلق بإنانا/ عشتار «قدرة الرجال» بأن النصوص التي نوردها عنها، هي كما يلي:

النص رقم (٨٨) - إنانا تخضع الجبل

النص رقم (٨٩) - عشتار تجابه صَلْتو

النص رقم (٩٠) - إنانا/ عشتار تمجد نفسها

النص رقم (٩١) - عشتار تفاخر بعطاء إنليل لها

النص رقم (٩٢) - ارتقاء عشتار.

النص رقم (٩٣) - عشتار إلّهة الإلّهات.

يمكننا القول بدلالة هذه النصوص إن سلطة إنانا/ عشتار عرفت خلال إثني عشر قرناً تقريباً، إذا ما اكتفينا بالفترة الفاصلة بين حكم سرجون الكبير ونبوخذ نصر الأول، عرفت صعوداً ثم هدوءاً ثم صعوداً جديداً في ما يتعلق بدورها القتالي ودون أن تفقد أية أهمية في ما يرتبط بنشاطاتها الأخرى.

(٨٨) ـ إنانا تُخْضِع
منطقة الجبل

١ ـ يتفق الباحثون على أن هذا النص من وضع إبنة سرجون الأكادي (٢٣٣٤ ـ ٢٢٧٩ ق.م.) وهي إنخيدُوانا[١] كاهنة الإلّه القمر نانّا[٢] في مدينة أور[٣]، خلال فترة حكم نرام ـ سين[٤] أو قبل هذه الفترة.

والنص محفوظ بشكل جيّد، ويتألف من ١٨٤ سطراً. يبدأ بتمجيد الإلّهة إنانّا، ثم يروي كيف أنها قررت إخضاع منطقة الإيبيخ[٥] وهي المنطقة الجبلية (ومنها جبل حْمرين) الواقعة إلى الجنوب من نينوى حيث سيقام في المستقبل الحكم الآشوري.

٢ ـ ولا بد أن يحمل هذا النص ذكرى لها أهميتها، حين تمّ خلال الفترة الأكادية لسرجون الكبير، إنشاء الأمبراطورية وتوحيد البلاد من الخليج حتى جبال زغروس في الشمال. وسلسلة الجبال أي المنطقة الجبلية التي أطلق عليها النص تسمية الإيبيخ[٥] والتي لا يزيد ارتفاعها عن ٣٠٠ متراً، تقع إلى الغرب من زغروس.

ويعتبر النص، الأيبيخ كإلّه[٦] لهذه المنطقة. وإخضاع إنانّا لهذا الإلّه، يعني اعتراف

---

(١) (Enheduanna) اسم ابنة سرجون.

(٢) (Nanna) الإلّه القمر السومري.

(٣) (Ur) وهي المدينة التي ارتبط اسمها بإبراهيم الخليل ومدينة القبور الملكية المعروفة.

(٤) (Naram-Sin) حفيد سرجون الكبير وقد حكم حوالي (٢٢٥١ ـ ٢٢١٨) ق.م.

(٥) (Ebih) أو (Abih) تسمية أكادية للمنطقة الجبلية، اينتي (Enti) بالسومرية.

(٦) وردتنا تسميات تعود إلى ما قبل ٢٣٠٠ ق.م. وإلى نهاية الألف الثالث تشير إلى ألوهية إيبيخ ومنها اسم أحد مسؤولي القصر في مدينة ماري (تل الحريري) وهو (Ebih-il) أي أيبخ ـ إلّه.

الجبل بسلطتها وتقبيل الأرض تحت قدميها، كما يقول النص . . . الذي ينتهي بتمجيد إنانا لنفسها افتخاراً بانتصارها. وفيما يلي نص تمجيد الشاعرة لإنانا بنت سين[١].

تمجيد إنانا المحاربة

إنّين ذات السلطات المهيبة، أنتِ التي تنشرين الرعب
عندما تمارسين السلطات العظيمة!
إنانا، أنت التي تشهرين مُمسكة بقبضته المقدّسة، الأنكارا،[٢]
الذي بالدم يرشُك!
أنت التي تهتاجين في المعارك العنيفة
فتحطّمين الدروع،
وتثيرين الأعاصير والزوابع!
إنانا، يا صاحبة السيادة الأبيّة
الخبيرة في إطلاق الحروب،
أنت التي تكتسحين الأرض وتحتلّين البلاد،
بسهامك البعيدة المدى!
هناك، وفوق المرتفعات، تزأرين كالأضهب المفترس
وتضربين الشعوب!
وكثورٍ وحشي ضخم، تنتصبين نافذة الصبرِ
للانقضاض على المناطق العدوة!
وكأسدٍ هائل، وبفمك المزبد
تبيدين الخصوم والمتمرِّدين!

إنانا إلّهة كوكب الزهرة

يا مليكتي، عندما تتمطّين كما تتمطّى السماء،

---

(١) (Sin) التسمية الأكادية للإلّه القمر نانا.
(٢) (Ankara) نوع من السلاح القاطع كانت تشهره إنانا.

وعندما تتّسعين عرضاً كالأرض،
وعندما تبزغين كالشمس
ناثرةً نورَ أذرعكِ المديدة،
وتسبَحين في الأعلى ناشرة الرعب والرهبة
وحين تنيرين الأرض ببريقكِ المبهر
وحين تجتازين الجبال
ترمين فوقها شباكك المضيئة
وتغسلين بأشعتكِ الجبال المزهرة
وعندما تكشفين الستر عن جبل ـ أحجار ـ الشوبا[1]،
الجبلِ المقدّس،
وترفعين بكبرياء [. . . .] ك،
كسيّد لطيف وساحر،
عندما وسط المعارك، ترفعين رأسكِ بكل كبرياء
كسلاحٍ كاسح،
عند ذلك، ذوو الرؤوس ـ السوداء، يطلقون نشيدهم
وتردّد كلّ البلاد «الإيلولاما»[2] بحماسة
وأنا أيضاً أريد بشغفٍ أن أحتفلَ
بملكة المعارك، بنت سين العظيمة
المرأة الفتيّة إنانا!

إنانا تَغْضَبُ لعدم احترام إيبيخ لها

أنا إنانا، عندما اجتزتُ السماء والأرض
عندما قَطَعتُ بلاد عيلام[3] وسوبير[4]

---

(١) (Shuba) نوع من الأحجار الكريمة.
(٢) (Ilulama) كلمة تعبّر عن الابتهاج.
(٣) المنطقة الجنوبية الغربية من إيران(منطقة سوز).
(٤) (Subir) أو (Subartu) المنطقة الآشورية حيث يقع جبل الإيبيخ.

عندما قفزتُ على جبال اللّول أوبي[1]
وتوجّهت نحو هذا الجبل (الإيبيخ)
وتوجهت نحو هذا البلد،
عندما اقتربتُ من هذا البلد، أنا إنّين
لم يعبّر لي عن أيّ احترام!
عندما اقتربتُ أنا إنانا من هذا البلد
لم يظهر لي أي احترام!
عندما اقتربت من الإيبيخ
لم يظهر لي أي احترام!
لذلك ولأنّه لم يظهر لي أي احترام،
وبما أنه لم يقبّل قطّ الأرض تحت قدميّ،
ولم يكنس بلحيته الترابَ تحت قدميّ،
سوف أرفع يدي على هذا البلد المستفزّ،
وسوف أعلّمه كيف يهابني.
مقابل «جوانبه الكبيرة» سوف أقيم «ثيراناً كبيرة»
ومقابل «جوانبه الصغيرة»، سوف أقيم «ثيراناً صغيرة»![2]
سوف أدوسه بقدمي(؟)
لكي تغمره «الرقصة المقدّسة»، (رقصة) إنانا!
سوف أحمل إليه الحرب، وأثير المعارك.
سوف أطلق(؟) السهام من جعبتي،
وسأجعل رشّات متواصلة من الحجارة
تتعاقب من مقلاعي،
وأدفع بسيفي ضدّه.

---

(١) (Lullubi) جبال زغروس.
(٢) لا يزال هذا المقطع مستعصي الفهم.

سوف أرمي عليه عصا ـ القذف(؟)
سوف أجعل غاباته الكثيفة تلتهب.
سوف أعمل البلطة في أشجاره المتحدّية
سآمر جيبيل[١]، النار المطهِّرة
أن تنزل في حقوله المرويّة
سوف ألقي عليه، الرعب (نفسه)
(الذي ألقى في الماضي) على بلد آراتّا[٢] البعيد!
وكمدينة استَنْزَلَ عليها آن[٣] اللعنة،
لن تقوم له بعد ذلك قائمة قط!
وكمدينةٍ رمى إنليل[٤] عليها السبات
لن تستفيق قطّ.
نعم! سوف يرتجف هذا البلد، لدى اقترابي منه:
على إيبيخ أن يعترف بعظمتي وأن يحتفل بي،
بما يناسب قدري!!

استعداد إنانا للمعركة واستئذان الإله آن

إنانا، بنت سين،
ارتدت عند ذلك عباءتها الملكية،
وبرشاقة لفّتها حولها،
زيّنت جبينها بالبريق الرهيب، الخارق للطبيعة،
رتّبت على صدرها المقدّس، وزُنْدات(؟) العقيق
وشهرت بيمينها وبعنفوان الهراوة السباعية الرؤوس.

---

(١) (Gibil) إله النار.
(٢) (Aratta) تذكير بإخضاع بلاد آراتّا الواقعة خلف جبال البختياري من قبل مملكة أوروك. وردت أيضاً علاقة آراتّا بإنانا في النص رقم (٢٦) من الكتاب الأول.
(٣) (An) إله السماء.
(٤) (Enlil) إله الهواء وسيد مجمع الآلهة.

وانتعلت الصَّندل البرّاق،
ثم خرجت بجرأة إبّان الغسق،
واتبعت الطريق المؤدي إلى البوابة المدهشة!
حيث قدّمت قرابينها
ووجهت تحيّاتها إلى آن
فرح آن برؤية إنانا،
وتقدّم ثم جلس على عرشه
متخذاً بنفسه مكان الشرف!
«آن! أبي (قالت إنانا)، أنا أحييك! فاستمع إليّ!
جعلتَ آلهة السماء كلّها ترهبني:
كلمتي، أصبحت بفضلك لا مردّ لها في الكون أجمع!
منحتني الأنبارّا[١]، السلاحَ الكاسح
والأنتيبال[٢] والمانسيوم[٣]،
والكيجالسيك[٤]، العرش ذا القاعدة المتينة!
مكّنتني أن أقبض بيدي على الآ - أنسوتو[٥]
وأن أوتّر قوساً كالـ[. . .]
وأن أوقف في أرضها العربات السداسية الجرّ
وأن أطلق العربات ذوات الأحصنة الأربعة(؟)
وأن أرافق الهجمات والمعارك العسكرية،
وأن أظْهَر إلى قوادهم في غيوم من الغبار
(مكّنتني) أن أرمي السهام بيدي
أن أهجم لاحتلال الحقول والبساتين والأجمات،

---

(١) (Anbarra)، (٢) (Antibal)، (٣) (Mansium): أنواع مختلفة من الأسلحة.
(٤) (Kigalsike) عرش.
(٥) (A-ansutu) سلاح آخر (؟).

أن أجرّ المِسْلَفَة،
التي تمهّد بنيان البلاد الثائرة (وتمحوه)،
أن أزلج المصاريع والأبواب أمام المعتدين!
كل ذلك، أي آن، يا مليكي منحتني إيّاه:
علّمتني ما هو فعّال،
ووضعتني على يمين قائد الجيوش[1]
الذي سوف يدمّر هذا البلد!
فليحطّم سكّانه كما تحطّم الجماجم
وليرمهم إلى أسفل جبالهم!
وليسحق رؤوسهم جميعاً
كما يُسحق رأس الحية في وكرها!
وليجعلهم يتيهون هنا وهناك
كثعبانٍ هبط من هضبته!
وليضع يده على هذا البلد،
بعد أن يكون قد تفحّصه وعاين أبعاده!
ليذهب (إذن) لقيادة حرب آن المقدّسة
التي تعرف جميعنا عواقبها(؟)!
بذلك يا آن أسحبُ بعيداً مجدك
كما يُسْحَبُ الحبْل(؟)
أنا، إنانا، أكثر الآلهة احتراماً
الأكثر اندفاعاً بين الآنونّا![2]

---

(١) المقصود هو سرجون الملك.
(٢) (Anunna) مجموع آلهة السماء.

تكرار الشكوى

لأنني عندما اقتربت من هذا البلد
لم يظهر لي أيّ احترام
أنا إنانا، عندما اقتربت من هذا البلد،
لم يُظهر لي أيّ احترام،
عندما اقتربت من الإيبيخ،
لم يظهر لي أيّ احترام،
لذلك ولأنه لم يظهر لي أي احترام،
وبما أنه لم يقبل قطّ الأرض تحت قدميّ،
ولم يكنس بلحيته التراب تحت قدميّ،
سوف أرفع يدي على هذا البلد المستفزّ
وسأعلّمه كيف يهابني!
مقابل «جوانبه الكبيرة» سوف أقيم «ثيراناً كبيرة»
ومقابل «جوانبه الصغيرة» سوف أقيم «ثيراناً صغيرة»!
سوف أدوسه بقدمي(؟)
لكي تغمره «الرقصة المقدسة» (رقصة) إنانا!
سوف أحمل إليه الحرب وأثير المعارك.
سوف أطلق (؟) السهام من جعبتي،
وسأجعل رشّات متواصلة من الحجارة
تتعاقب من مقلاعي.
سوف أدفع بسيفي ضدّه،
وسوف أرمي عليه عصا ـ القذف(؟)
سوف أجعل غاباته الكثيفة تلتهب،
سوف أعمل البلطة في أشجاره المتحدّية.
سآمر جيبيل، النار المطهّرة،

أن تنزل في حقوله المروية.
سوف ألقي عليه الرعب (نفسه)،
(الذي ألقي في الماضي) على بلد آراتًا البعيد!
وكمدينةٍ استَنْزَلَ عليها آن اللعنة
لن تقوم له قائمة قط بعد ذلك.
وكمدينةٍ رمى عليها إنليل السبات(؟)
لن تستفيق قطّ!
نعم سوف يرتجف هذا البلد لدى اقترابي:
على إيبيخ أن يعترف بعظمتي وأن يحتفل بي
بما يناسب قدري!»

آن يحاول إقناع إنانا بالتخلي عن مشروعها

لكنّ آن، ملك الآلهة أجابها:
«إبنتي تريد إذن هدم هذا البلد،
ولكن لماذا؟
إنّين تريد دكّ هذا البلد:
ولكن لماذا؟
إنانّا تريد هدم هذا البلد
ولكن لماذا؟
تريد القضاء على الإيبيخ: ولكن لماذا؟
نشر هيبته وإرهابه
حتى مقر الآلهة!
نشر الرعب
حتى مسكن الأنونّا!
نشر هيبته وإرهابه
على كامل الأرض!

هذا البلد نشر بريقه ـ الخارق للطبيعة
حتى فوق الجبل![1]
تشمخ ارتفاعاته متحديةً السماء!
وتملأ الثمار بساتينه المزدهرة:
حيث تمتد الغزارة!
أشجاره الباسقة تملأ أعماق السماء:
كم هو جميل منظرها!
وتحت أغصانها المتعانقة
يشهد الإيبيخ حركة أزواج الأسود.
ترك الدببة والأيائل تتكاثر بسخاء
جعل الثيران الوحشية تتنقل هنا وهناك
بين الأعشاب الكثيفة،
وتتسافد أزواج اليحمور بين أشجار «أرزه» الجبلية!
(كما أن) خشيته ورهبته لن يتركاكِ تلجين
البريق المخيف الخارق ـ للطبيعة لهذا البلد.
لا أحد يستطيع مجابهته أيتها المرأة الفتية إنانا»!
ولكن عندما تكلم هكذا،
(عمدت) الغانية، منفعلة وساخطة،
إلى سحب مزلاج مستودع الأسلحة
ودفعت بوابتها البرّاقة!
سحبت منها المعركة الشامخة
وأنزلت إلى الأرض [الإعصار] الضخم!
أعدّت (؟) السيدة سهامها المهيبة
وقبضت على جعبتها!

---

(١) المقصود بالجبل: جبال زغروس.

ثمّ أطلقت على الإيبيخ طوفاناً،
وأفلتت الريح ـ العنيفة التي لا تقاوم!
وانقضّت السيّدة عند ذلك لاحتلال البلد.
متقدّمةً نحو البلد خطوةً خطوة،
ضاربةً بحسامها ضربة ضربة،
وعصبت رقبة الإيبيخ كرزمة من القصب
وغرست أنيابها القاطعة في بطنه
مطلقةً صراخاً مخيفاً كأنه الرعد!
حتى أنّ الصخور، مادة الإيبيخ الأساسية
انهارت على طول جوانبه:
وعلى منحدراته المتصدّعة هكذا،
نفثت الأفاعي العملاقة سمومها!
ولعنت (إنانا) غاباته ورمت الحزم على أشجاره
وجعلت الجفاف يقضي على حراجه من الألآنوم[١]
وأشعلت فيها نيراناً تصاعد دخانها عالياً جداً!
وهكذا وطّدت على البلد سلطتها:
جعل هذا العمل الباهر إنانا تشعر بالفرح!
فتسلقت عند ذلك الإيبيخ وقالت له:
«أيها الجبل، لقد رفعتَ نفسك وترفّعت
وجعلتَ نفسك بهياً وجذّاباً
ثم تعاليتَ متساوياً مع السماء
وجلست على العرش!
رفضت أن تقبل الأرض تحت قدمي،
وأن تكنس بلحيتك التراب أمامي!

---

(١) (Allanum): شجر حراجي.

لهذا السبب أنا هدمتك ورميتك على الأرض:
وكفيلٍ أمسكتُ بك (قابضة) على نابيك
وكثورٍ وحشي ضخم ألصقت ظهرك العريض بالأرض
وكثور، وبكامل ارتفاعك
رميت بك إلى الأرض!
شننتُ عليك هجوماً لا رحمة فيه،
ملأتُ بالدموع عينيك، :
أدخلتُ النواحَ إلى قلبك!
وطيورُ الشؤم بَنَتْ منذ الآن أعشاشها فوقك»!

إنانا تمجّد نفسها من جديد وتشيد بنتائج انتصارها

ومن جديد، فخورةً بالخوف وبالرهبة والرعب
الذي توحي بها،
إنانّا تمجدت نفسها:
«أبي إنليل (قالت) نشرَ في كل مكان
الخوفَ مِنّي!
وضع في يدي اليمنى الهراوة ـ سلاحاً
بينما قبضتُ بيدي اليسرى على الختم(؟)!
وكمِسلَفَةٍ هدم هائلة
هشّمتُ بلطتي هذا البلد!
لذلك أقمت معبداً،
حيث دشنت أشياء عظيمة:
أقمت فيه لنفسي عرشاً لا يتزعزع!
سلّمت للمسترجلات الخناجر والسيوف
(وسلّمت) الطبلات والطبول للمخنّثين

فبدّلت فيه شخصيات المتنكّرين![1]
هكذا بعد أن تقدّمتُ منتصرةً ضدّ هذا البلد،
وبعد أن جعلتُ فيضي فيه يتدفق كالسيل الجارف،
وغَمَرْتُ فيه كل شيء كالفيضان،
وطّدت فيه انتصاري -
وطّدت انتصاري على الإيبيخ!

ختام الشاعرة

لأنكِ أبدتِ الإيبيخ، يا ابنة سين العظيمة،
أيتها المرأة الفتية إنانا، المجد لكِ،
المجد لك أنتِ أيضاً يا نيسابا[2].

---

(١) تبديل الأدوار الجنسية بالتنكر.
(٢) (Nisaba) إلّهة الكتابة السومرية وهنا دلالة بأن الشاعرة كانت تتقن فن الكتابة.

(٨٩) ـ عشتار تجابه نداً لها:
النزاع بين عشتار وصلتو

١ ـ عندما أراد شارور ـ السلاح السحري إبعاد سيده البطل نينورتا عن الحرب أي اللقاء مع العدو الرهيب الأساكّو، قال له، كما ورد ذلك في النص رقم (٧٩) من هذا الكتاب (في السطرين ١٣٦ و١٣٧):

«توقف عن مقارعة السيف، لا تشترك في «عيد ـ الرجال»، في رقصة إنانا»

وهذا يعني أن الحرب «عيد ـ الرجال» هي في الوقت نفسه رقصة إنانا. وفي النص السابق رقم (٨٨)، تعلن إنانا في حربها ضد الجبل:

«سوف أدوسه بقدميّ لكي تغمره «الرقصة المقدسة»، رقصة إنانا! سوف أحمل إليه الحرب وأثير المعارك...

(السطران ٩٧ و٩٨)

الحرب، هنا أيضاً، هي «الرقصة المقدسة»، رقصة إنانا. والنص الذي نحن بصدده، يقدم لنا قصّة تأسيس رقصة إنانا هذه وهو عبارة عن «ميتوس أصول» يتعلق بهذه الرقصة الدورانية ويتعرض للأسباب التي أدّت إلى إقامة طقوسها. ويفهم من النص أن حيوية عشتار وعنفوانها وميلها المتواصل إلى إشباع غريزتها الحربية وتفريغ احتقان عدوانيتها، ... كل ذلك لم يعد مناسباً لزمن السلم، بعد أن أخضع نينورتا المنطقة الجبلية وكامل «شعب الحجارة» وبعد أن أخضعت إنانا / عشتار بنفسها جبل الإيبيخ كما أشير إلى ذلك أعلاه، وبشكل خاص بعد أن تمكّن حورابي من إقامة مملكة مستقرة وعمد إلى التشريع الذي ارتبط به اسمه لنشر العدالة في البلاد.

٢ ـ كان ذلك خلال فترة حكم حورابي (١٧٩٢ ـ ١٧٥٠) ق.م. حين قضت الضرورة بتأليف ونشر نص من شأنه التوصل إلى تهدئة عنفوان عشتار وتبديده في احتفال سنوي يقوم خلاله رجال مخنثون أو متنكرون بلباس نساء، ونساء مسترجلات مرتديات زيّ الرجال وحاملات أسلحة عشتار، يقومون جميعهم بتنفيذ رقصة عشتار المقدّسة، رقصة الحرب، وكأنها حلّت على هذه الأخيرة، مبدّدة بواسطة الرقص، العدوانية الكامنة في النفوس.

٣ ـ ولم يتم التوصل إلى هذه النتيجة ببساطة تجاه عشتار التي كانت تنشر حولها الرعب والرهبة وكان لا بد من حيلة لجعل عشتار تحكم بنفسها على شراستها وعنف تصرّفاتها. حين تجد نفسها فجأةً أمام مخلوقة شبيهةٍ بها، على استعداد لمجابهتها. وهذه المخلوقة هي «صلتو»[1] التي ابتدعت خصيصاً «كمرآة» لترى فيها عشتار نفسها. ومن غير إيا/ أنكي إلّه المعرفة والخلق ومهارة الصنع، من غيره قادر على مثل هذا العمل!

٤ ـ نص النزاع بين عشتار وصَلْتو كما أسلفنا يعود إلى فترة حكم حورابي وقد وصلنا على لوحتين متكاملتين دون أن تعودا لنسخة واحدة، كما يعتقد وهما مجهولتا المصدر. الأولى محفوظة في متحف برلين، نشر محتواها للمرة الأولى في عام ١٩١٣. أمّا الثانية فيقال إنها فُقِدَتْ بعد نشرها الذي تمّ في عام ١٩١٨.

وتحمل كل من هاتين اللوحتين ثمانية أعمدة، أربعة منها على وجه كل لوحة وأربعة على الظهر. ومن المهمّ التوضيح بأن النص يتضمن إشارات إلى توزيعه إلى عشرة أناشيد («شيرو» بالأكادية ومعناها نشيد، ومنها كلمة «شعر» العربية). ويتبع كل نشيد، بيت شعر أو أكثر مما يعرف بالأكادية بـ«غِرو» وهو نوع من الجواب أو اللازمة التي تشكل صدىً لما قيل قبلها. وهذه الإشارات التي هي شعرية أو موسيقية أو مسرحية تمّ المحافظة عليها في عرض النص.

٥ ـ تتألف القصيدة الإجمالية من حوالى ٨٠٠ بيت، لم يصلنا منها مع الأسف إلاّ ما يعادل النصف. ويمكن تتبع تسلسل حوادثها من خلال النص المتوافر. وكما أشرنا إلى ذلك أعلاه، فإن عشتار كانت تزعج الجميع بطبعها الحاد، وميلها إلى النزاع والشجار والفتنة وهي تثير الرعب حولها إلى أن أتت إلى الوجود «صلْتو» التي تماثل عشتار حدّة

---

(١) التعبير الأكادي صَلْتو، نجده باللغة العربية في الإصليت: الرجل الشجاع، والصلتان أي الماضي في أمره وشأنه، وفي صلت بمعنى حسام.

وشجاعةً والتي كان يحمّسها إيا لمجابهة عشتار . . . وتنتهي القصيدة بسحب صلتو من قبل إيا بناء على طلب عشتار وترتاح بذلك روح اللبوة عشتار . ولا بد من الإشارة إلى أن النشيد العاشر والأخير من هذه القصيدة يطلق على عشتار اسم «آجوشايا»[1] وفي هذه التسمية يتأكد تأسيس «الرقصة الدّورانية» والاحتفال السنوي بهذه المناسبة .

اللوحة الأولى

النشيد الأول

العمود الأول

مديح الإلّهة عشتار

أحتفلُ بالفائقة السموّ
الأشجع بين الآلهة
بنت نينجال[1]،
أشيدُ بالقدرة ـ
نعم بعشتار الفائقة السمو
الأشجع بين الآلهة
بنت نينجال
أكرر إشادتي بالقدرة .
شهيرة مآثرها،
وخططها لا تكتنه :
هي في عراكٍ دائم

---

(١) (Agushaya) صيغة «آجوشايا» لها علاقة بالمعارك وبالأصوات التي يطلقها المحارب أثناء المعركة . كما أن فعل «جاشو» يعني اللف الدوراني، وآجوشايا أصبح إسماً لعشتار صاحبة الرقصة الدورانية التي تظهر رجولتها أمام الآلهة والملوك، كما سيرد ذلك في النشيد الأول (عمود ٢) .

(١) (Ningal) بمعنى السيدة العظيمة وهي قرينة الإلّه القمر نانا/ سين .

وذات نشاط مذهل!

(نقص حوالى ٤٠ سطراً، تشتمل حسبما يعتقد على الاستمرار في مديح عشتار).

العمود الثاني

(أمام ؟) الآلهة والملوك، «تدور راقصةً»
برجولتها الكاملة.
ـ نهاية النشيد الأول ـ
أُنشدُ مدائح عشتار
الإلّهة الأكثر سمواً
ـ جواب (النشيد ذاته) ـ

النشيد الثاني

تمسك بيديها
جميع «السلطات»
توزّعها كما تشاء!
عشتار، تمسك بيديها
أعنّة الشعوب
وإلّهاتهم، تعير انتباهاً
لأوامرها!
[سائدة (؟) هي] كلمتها
و[نهائي]، قرارها.
لا إلّه في المجمع
[يجرؤ على معارضتها (؟)]

(نقص حوالى ٣٥ سطراً: يُرجح متابعتها للتغنّي بشخصية الإلّهة عشتار).

العمود الثالث

الرجال هم [. . .]
كما فيما بعد (؟)
ـ نهاية النشيد الثاني ـ
الشجاعة ترافقها
عشتار غريبة الأطوار،
خبيرة بجندلة (العدو)
ـ جواب النشيد ذاته ـ

النشيد الثالث

في التَحارُب عيدها
في اصطدام المقاتلين،
في تحريض القادة (؟)
في تهييج الجنود!
عيد عشتار في التحارب،
في اصطدام المقاتلين
في تحريض القادة (؟)
في تهييج الجنود!
ولَعُها بالقتال
حماستها للتعارك
يكشفان طبيعتها،
[يؤكدان(؟)] ما تعرف عمله!

(يلي ٢٤ سطراً أصابها التشويه ومحتواها غير مفهوم، تليها عشرة أسطر مفقودة تماماً. يحتوي النقص كما يظهر على تتمة التغني بقدرة عشتار. . . ويبدأ بعد ذلك الشكل السردي للقصيدة، حيث يعتقد أن هناك شكوى من قبل الآلهة، حول مغالاة

عشتار في استثمار امتيازاتها، وبسبب حدة طبعها وميلها للقتال وبسبب الخوف الذي تنشره حولها أينما ذهبت).

العمود الرابع

1 «الصولجان والعرش والتاج
مُنِحت لها.
2 وُضِع الكون تحت تصرفها
3 حُبِيت بشجاعة الرجولة
4 بباهر الأعمال والحيوية
6 حتى أنها كُسِيَتْ
5 البرق والتوهج
7 نعم، أُعْطِيت تجاه البشر،
هذا المظهر المخيف
8 حُمِّلت لمعاناً ـ خارقاً للطبيعة،
9 ورهبة وشجاعة
10 لا تتحدث إلاّ بأخبار البسالة
11 ولا تفكّر في غير التحارب.
12 «حتى أنكِ أمام إيا ـ الأمير (؟) (كما قيل لها)،
13 أنت تحتفظين بمظهرك المرعب»
«إنها تنشر الخوف أكثر من ثور،
15 عندما تطلق صَخَبها!
لا يمكن القبض على زمامها
فهي تتحرّر: إنها فائقة القوة!»

تدخل الإلّه إيا وانشغاله

لهذا السبب، إيا ـ الحكيم

انشغل باله:
لم يكن مسروراً منها،
تجاهها أعلن غضبه
ـ نهاية النشيد الثالث ـ
«استمعوا»، (قال إيا) [. . .]
طالما بقيت عشتار فاعلة [. . . .]
الذين هم أكثر سمّواً [. . .]!»
ـ جواب النشيد ذاته ـ

(النشيد الرابع مفقود)

النشيد الخامس

(هناك نقص ٢٥ سطراً في نهاية العمود الرابع، ويحتمل أن تشتمل الأسطر الناقصة، على عرض إيا لمشروعه القاضي بإنقاذ الموقف وتهدئة عشتار. وعندما يستأنف النص نشهد إيا يعرض وصفاً لشبيهة عشتار «صلتو» التي قرر خلقها لمجابهتها).

العمود الخامس

«سوف تكون [. . .]
وكبيرة الثقة بنفسها [. . .(؟)]
سوف تملك ما يكفي من البأس
لكي تجابه تلك المثيرة دوماً للقلاقل!
[سوف تكون] وَهيبة
وشعرها [مخيـ] ـف؟
أكثر حركة من [. . .(؟)]
قوية في هيكلها
سوف تتآمر وتهيمن،
سوف تزعق بدون كلل

ولن تتوقف ليلاً أو نهاراً
عن إطلاق صياحها الغاضب!»

موافقة الآلهة على المشروع
وتكليف إيا بتنفيذه

في اجتماعهم، وبعد ثرثرتهم الرتيبة
حول هذا المشروع الذي يتعدّى طاقتهم
قام الآلهة بردّه
إلى إيا ـ الأمير (؟) (قائلين):
مهمّةٌ كهذه!
إليك أنت يعود تنفيذها.
من إذن باستثنائك أنت
بإمكانه تحقيقها؟

إيا يخلق الإلّهة صلتو

إجابة لهذا الطلب
عمد إيا ـ الحكيم
سبع مرات، إلى نزع
التراب (من تحت) أظافره،
عجنه ثم شواه،
هكذا إيا ـ الأمير
صنع السيدة «صلتو»[١]
ـ نهاية النشيد الرابع ـ
قرر إيا

---

(١) عبر العلماء الأجانب عن تسمية «صلتو» بتعبير معناه «نزاع» وقد حافظنا هنا على التسمية الأكادية بسبب دلالتها على صفة الشجاعة في اللغة العربية.

دون أن ينتظر
صنيع السيدة «صلتو»
لتجابه عشتار
ـ جواب النشيد ذاته ـ

النشيد الخامس

وصف صَلْتو:

متين هيكلها،
خارقة للطبيعة ضخامتها
كانت داهية ومقتدرة
بشكل لا يضاهيه أحد ـ
كان هيكل «صلتو» قوياً
وضخامتها خارقة للطبيعة:
كانت كثيرة الدهاء والقدرة
بشكل لا يضاهيه أحد!
جسدها كان يعني التحارب
وشعرها خَلْقَ الشجار

العمود السادس

حوالى عشرة أسطر مفقودة

ذات قدرة [. . .]
قامتها تفوق [. . . .]
عضلاتها رهيبة
حيويتها مضاعفة!
عوضاً عن اللباس

تكتسي «صلتو» الحروب:
هديرها كالفيضان
مدهش مشهدها
مخيفة كانت حين وقفت وسط الأبسو[١]
صعبة المراس!
وما كان يخرج من فمها
كان له دوماً تأثيره!
عند ذلك، إيا ـ الإلّه، فتح فمه
وإلى «صلتو» هذه بالذات،
التي صنعها، أمرها (قائلاً):
«يا هذه! أصغي إليّ!
أطيعي أوامري
أذعني إلى إيعازي
نفّذي ما سآمرك به!
هناك إلّهةٌ فريدة وشجاعة
أكثر من أية إلّهة أخرى
مآثرها رفيعة
وخططها غريبة لا تكتنه!
[اسمها] إنّينا
الخبيرة في السلاح!
إنها سيدة السيّدات
بنت نينجال البارعة
إذن! ومن أجل إذلالها هي،
أنا [خلقـ]ـتك أنت!

(١) (Apsou) مقر إيا في إريدو وهو محيط المياه العذبة التي يطفو عليها قرص الأرض.

بالشجاعة والعزم
وبحكمتي
أغنيت هيبتكِ
اذهبي الآن،
اذهبي إلى حيث هي،
مزودةً بسلاح الرعب
انتهريها إذن!
سوف تتهجّم عليكِ
وتتوجّه إليكِ
صارخةً: «أيتها الفَتاة!
اكشفي عن نواياكِ!»
لكن، أنتِ إلى غضبها،
لا تنقادي:
لا تجيبيها بأية كلمةٍ من شأنها
تهدئة قلبها!
ما الذي يمكنها انتزاعه منكِ
أنت من صنعتها بيديَّ؟
وجّهي إليها بتحدٍ وغطرسة
كل ما عليك قوله لها!»

العمود السابع

(ستة أسطر ممحوة على الأصل المعتمد من قبل الناسخ الذي يعبّر عن أسفه).

ـ نهاية النشيد الخامس ـ
انتصبت «صلتو» بكبرياء
لأن إيا في الأبسو
منحها القدرة:
ـ جواب النشيد ذاته ـ

النشيد السادس

أوقد إذن «صلتو» ذات الهيكل العملاق،
شجّعها على الشتم
والازدراء والإهانة
لكن إيا ـ الحكيم، الكبير الحذر
أضاف عند ذلك بعض الكلمات
الموجهة إلى قلب «صلتو»
كشف لها عما يميّز عشتار ـ الملكة (قائلاً):
«سوف تكون فعلاً كما هي
أكثر الإلّهات قوةً!»
أطلعها على مآثرها
وأشاد أمامها بمجدها
لكي لا تتراجع قط فيما بعد
«ما يميّزها بشكلٍ خاص (قال لها):
(إنها) الإلّهة ذات المناصب الرفيعة
السيدة التي لا يجرؤ أحد
على الوقوف في دربها!
والتي تحتد غضباً [...]
عندما يرى [...]
بسخ[ط...]

(أحد عشر سطراً مشوهاً).

مهما قلتِ
[أوامرها] هي النافذة.
ولئن كنتِ الأكثر كبرياء،
فهي فريدة في نظرها لنفسها

(سطران ممحوّان)

سوف تعاملك بغطرسة!

ومع ذلك، لا تفارقي سيدة الشعوب.

(إيا يتابع تحذير «صلتو» محاولاً إثارة غيرتها في الوقت نفسه).

العمود الثامن

(الأسطر العشرة أو الإثنا عشرة الأولى إما مفقودة أو غير مقروءة).

11 إنّها أكثر سموّاً [. . . .]

[. . . . .]

[. . . . . .] هي ذات سيادة

الماكرة [. . . . .]

15 إنها تراقب [. . . . .]

[. . . . .] بشجاعة

مؤذية هي [. . . .] ها

إنها تسيطر على [. . . . .]

يحيط بها الإعصار،

20 [إنها. . . . .] الحرب

21 داخلها يفور غضباً

22 وكبحرٍ هائج

حين يجتاحك،

23 [دون جدوى] سوف تكون اتهاماتكِ!

24 ليس بالإمكان، تَبَرُّ نوايا

25 [سيدة] الشعوب اليقظة!»

أثر حديث إيا على «صلتو»

26 دَخَلتْ «صلتو» في سورة غضب

ويذّل الذعر وجهها
جمعت قواها أكثر فأكثر
حين تنبّهت إلى الخطر
(سطران مشوهان)
32 بدون أن تعلم [. . . .]
ـ نهاية النشيد السادس ـ

اللوحة الثانية

(نقص حوالى ٢٠ سطراً، لا بد أن تحتوي على جواب النشيد السادس وبداية النشيد السابع. والسطر الأخير من الجواب في نهايته).

النشيد السابع

العمود الأول

(يظهر أن عشتار سمعت بوجود «صلتو»، فأرسلت حاجبها نينشوبور[١] لكي يجمع المعلومات عن شخصية «صلتو» قبل مواجهتها).

1 إذهب! [. . . .]
أصدرت أمراً [. . . .]
إستعدّ(؟) [. . . . .]
علينا أن نعلم
5 ما يثبت قوتها!
إفحص لي وضعها
تعرّف على ـ أماكن ـ إقامتها (؟)
إكتشف علاماتها المميِّزة

---

(١) (Ninshubur) هو الاسم السومري نفسه الذي كانت تحمله رسولة إنانا ومساعدتها في نص سفينة السماء رقم (٨٥) وتم هنا تذكيره على الرغم من كون المطلع نين (Nin) يعني سيدة.

وأعلمني ماذا تفعل!
أي نينشوبور، أنت الأكثر فطنة
بين ناقلي الرسائل
أنت المتبصر، القوي والحاذ الذكاء
إمضِ! ، اتخذ طريقك، أيها البطل!»
ذَهَبَ إذن واجتاز الأرياف
باتجاه الأبسو
إلى أن التقى بها.
راقب عن كثب شخصيتها
تفحّص الإلّهة [. . . .]
وقدّر علوّ هيكلها
«إنها تتصرف بدهاء (قال لنفسه)
لا تبالي بما يحيط بها
لا تثق إلاّ بنفسها
مقدامةٌ بشكل مرعب!
وهي تلبس بريقاً ـ خارقاً ـ للطبيعة!
ابتعدتُ عنها لأبقى سالماً
لأنها سريعة الغضب، شرسة وفتّاكة
تمتلك كل القدرة على الرجال والنساء
والضجيج الذي تحدثه مخيف!»
هذه هي الإشارات التي حملها (نينشوبور)

العمود الثاني

(نقص حوالى ٢٥ سطراً في بداية العمود. بعد أن نقل نينشوبور إلى سيدته ما عرفه عن «صلتو»، تقرر عشتار مجابهتها كما يتضح ذلك من بقية النص).

[. . . .]

[.....] «صلتو»
[أمام] الإلّهة عشتار
ـ جواب النشيد ذاته ـ

النشيد الثامن

[.....]
واندفعت بعنفوانٍ
أكثر الآلهة حكمة والأكثر قوةً
أقدمت على إثبات عظيم تفوقها
بعناية وجبروت
نعم! عشتار ـ الباسلة
أكثر الآلهة حكمة وأقواهم،
أقدمت على إثبات عظيم تفوّقها
بعناية وجبروت
مستشهدة بأعمالها الباهرة
مزبدةً (غضباً) ضد أعدائها
دونما تراجع
هذه التي تفوق جميع الإلّهات
تحولت إلى رجل ـ حرب
وتلفظت بكلامٍ
يظهر بشراسة
البراهين على قدرتها الكلّية.

(الأعمدة ٣ و٤ و٥، مفقودة بكاملها، أي ما يعادل ١٢٠ سطراً تشمل نهاية النشيدين الثامن والتاسع وبداية النشيد العاشر. وهذا ما يضرّ كثيراً بتسلسل النص. ولدى استئنافه نلاحظ أن عشتار يطلق عليها اسم «آچوشايا»، وقد تم شرح محتوى هذه التسمية في نهاية تقديم النص).

النشيد العاشر

العمود السادس

(نقص حوالى سبعة أسطر في بداية العمود)

آجوشايا [. . . . .]
الماكرة [فتحت فاها]
[وقالت] إلى إيا ـ [الإله]:
«لماذا خَلَقتَ هذه «الصلتو»
التي تهدر وكأنها الفيضان؟
لماذا (؟) [. . . . . .]
وأنت تعلم أن ابنة [نينجال(؟)] هي فريدة!

(فقدان ٣٣ سطراً في نهاية العمود، تشمل كما يعتقد متابعة عشتار لانتقاد «صلتو»)

العمود السابع

(عشتار تطلب من إيا إزالة «صلتو» من الوجود وإيا يلبي طلبها).

سَمَحْتَ لها بأن تنجز أعمالاً باهرة:
لكن «صَلْتو» أصدرت
ادعاءات ضدّي:
لذلك يجب أن تختفي[1]!»
عند ذلك، فتح إيا فمه
وقال لآجوشايا، الأشجع بين الآلهة:
«ما أنتِ تطلبين
أنفّذه لك دونما تردد
بإزالتها(؟) أنتِ تشجعينني

---

(١) حرفياً أن تعود إلى وكرها أو حفرتها!

وتبهجين (قلبي)
ولكي تعلم الأجيال الآتية
القصد الذي من أجله
صنعنا وخلقنا
(الإلّهة) «صَلْتو»
سوف تكون هناك في كل سنة
مؤسسةً كما ينبغي «رقصة دورانية»
عند «فارسيمو»[1] كل سنة!
أنظري إليهم جميعاً يا آجوشايا!
سوف يلهون في الهواء الطلق:
استمعي إلى نداءاتهم:
انظري كيف يذلُّون أنفسهم (؟)،
وخذي بعين الاعتبار رغباتهم!
أمّا الملك، الذي عرف من هذا النشيد
البراهين على شجاعتك
(تلقّاها) عن طريقنا، وهذا ما يمجّدكِ
فهو حمورابي (الذي) إبّان حكمه
هذا النشيد في مدحك
تم إنجازه
فلتمنح له الحياة إلى الأبد!

العمود الثامن

(الأسطر العشرة الأولى غامضة. ويعتقد من خلالها أن صلاحيات «صلتو» نقلت إلى «آجوشايا» دون إمكان تأكيد ذلك).

---

(١) (Parsimu) السنة: لا يعرف معنى هذا التعبير ولا تاريخ وقوعه بالنسبة للسنة البابلية.

نعم! أحتفل بعشتار
ملكة الآلهات
أتغنى بآجوشايا وقوتها
لأنها كثيرة البراعة
«صَلْتو» التي [. . . .]
خلقها إيا - الأمير (؟)
بسبب آجوشايا
مظهراً بذلك للجميع
علامات مقدرته
ومُمَجِّداً لعظمته
- نهاية النشيد العاشر -
لأن إيا، أعاد إليها الأولوية
ارتاحت بداخلها روحها
(ارتاحت) اللبوة عشتار
- جواب النشيد ذاته -
اللوحة الثانية عن آجوشايا.

(٩٠) ـ إنانا/عشتار
تمجّد نفسها

١ ـ بعد أن عرف النص السابق، الذي تم تأليفه في فترة حكم حمورابي (١٧٩٢ ـ ١٧٥٠) ق.م، معارضة من قبل الإلّه أنكي لسلطة إنانا/عشتار وعنفوانها، ومجابهتها بندٍ لها هي صَلْتو (النص رقم ٨٩)، كأنَّ أُريد لها أن تتخلى عن الحروب والمعارك وتكتفي بدورها كإلّهة للجنس والرغبات تقارب بين الرجل والمرأة وتسهر على خصب الأرحام.

٢ ـ ينتقل بنا الزمن بعد ذلك عبر النصوص التي وصلتنا، فنجد أنفسنا من جديد، خلال فترة حكم نبوخذ نصر الأول[1] في بابل، كما هو مرجح، نجد أنفسنا أمام عشتار تمجد نفسها دون أن تنسى مزاياها القتالية، مذكرةً بإخضاعها للجبل، مفاخرةً بأنها إبنة إنليل البطلة وابنة سين الباسلة، وإنها تحفة الإلّه أنكي.

٣ ـ النص الذي وصلنا يشكل جزءاً من عمل ضخم يمجد إنانا عرف قديماً بمطلعه: «الزوبعة التي لا يُحتوى غضبها». لم يصلنا منه مع الأسف سوى النشيد العشرين، الذي نعرض محتواه فيما يلي:

إنانا تمجّد نفسها

[أولستُ الملكة، سيدة أوروك[2]]

---

(١) حكم خلال فترة (١١٤٦ ـ ١١٢٣) ق.م.

(٢) (Uruk) المدينة التي ارتبط اسمها بالبطل جلجامش وفيها معبد الإيانا (بيت السماء) المخصص لآنو وهي مدينة إنانا/ عشتار.

الملكة، سيدة زا[بالام]؟[1]
أولست ملكة خورساج كالامّا[2]
الملكة العظيمة سيدة جميع البلاد
الملكة سيدة بابل؟

أولستُ الملكة آرورو[3] الجليلة
ونانا[4] السامية

«سيدة البيت»، سيدة الآلهة؟
أولستُ ابنة مولّيل[5]
أولستُ صاحبة السيادة، أنا البطلة.
أولستُ الإلّهية، أنا ابنة مولّيل المقدامة؟
أنا ابنة مولّيل الأولى
ابنة إنليل ونينليل!

المياهُ التي أعكّرها، لا يعود إليها الصفاء أبداً
النار التي أُشعِلُ، أبداً لا تنطفيء:
أنا من عُهِدَ إلى يده «بمقر - ما هو - في الأعلى»
معبد الألوهية الأسمى.

المدينة التي أنْهَبُها، لن ترفع رأسها (أبداً) بعد ذلك،

---

(١) (Zabalam) مدينة سومرية قديمة تقع شمالي أوروك على بعد حوالي ٨٠ كلم.
(٢) (Hursagkalamma) هي مدينة كيش (Kish) القريبة من بابل.
(٣) (Aruru) إلّهة - أم وهي أخت إنليل.
(٤) (Nana) إلّهة عرفت في مدينة أومّا (Umma) ونفّر (Nippur) في الفترة السومرية.
(٥) (Mullil) لقب الإلّه إنليل.

وبمجرد إصدار أمري السامي
ينهدم إلى الأبد البلد المعادي.

إنانا/عشتار تذكر بإخضاع الجبل

حرّكتُ الوحل في نبع البلد الجبلي
وفي نبع بلد تيلمون[1] الجبلي
غسلتُ رأسي
وبالأحجار الكريمة إيجيزانجو[2] زيّنتُ نفسي

أنا صاحبة السيادة، عندما أطلقُ صراخي للمعركة،
عندما في قلب الجبال أصرخ،
فآلهة الجبل في كل صوبٍ تتعثر؛
على مسالك الجبل تأتي آلهة الجبل
للمثول أمامي؛
أمامي يرتجف الجالسون على عروشهم
(وللمجيء نحوي)، الجالسون على العروش،
يتبعون أثراً وحيداً.

الذي يقول عني «إنها إلّهة مزيّفة!»
أنا صاحبة السيادة، أُدخل إلى بيته
إلّهة (مزيّفة).

لئن رفعتُ يدي، فإنها تمسّ السماء،

(١) (Tilmoun) بلد صديق قد يكون دلمون ذي المياه الغزيرة.
(٢) (Igizangou) نوع من الأحجار الكريمة.

أنا، صاحبة السيادة، ما من يدٍ
يمكن مقارنتها بيدي.
خطوة واحدة من خطواتي الواسعة،
تغطي كامل الأرض.
أنا، صاحبة السيادة، ما من قدمٍ
يمكن مقارنته بقدمي.

من باستطاعته الوقوف أمامي، ومن يستطيع
(الوقوف) خلفي؟
من يستطيع تحاشي النظرة التي ألقي؟
من يستطيع الفرار عندما أبدأ سيري؟

إنانا تحفة أنكي / إيا:

من طرف موليل أنا الابنة البطلة
من جهة أبي سين أنا الابنة المقدامة،
أنا صاحبة السيادة، أنا تحفة نوديمود[1]

أعلي شأنَ الكاهن كما أُعلي شأن الملك
أنا التي أُلبسُ الملك زينة رأسه الملكية
وأسلِّم للرَّاعي عصاه
أنا رباط المقدِّمة ورباط المؤخرة؛
أنا صاحبة السيادة، أنا الشبكة المتسعة
المنشورة فوق سهل الأشباح؛
أنا الشبكة ذات العقد المتقاربة المنصوبة في السهل.

---

(١) (Nudimmud) اللقب السومري للإله أنكي / إيا.

عودة إلى الجبل، البلد المعادي

أنا النار المتأججة التي [. . . .]
أنا النار المتأججة التي تلتهم الجبل
أنا التي على البلد المعادي
أمطر شعلتي الساطعة.

أنا التي أكمّ فمَ الفتى مدّعي الشجاعة؛
أنا التي أكبّل (جميع) من مشيتهم متعجرفة؛
أنا لا أفسح الطريق أمام الذي
يستنفر الصدور[1]

أنا، صاحبة السيادة، أنا القصدير[2]،
قصدير الشبه!
(نقص عدة أسطر تمّ إهمالها)
[. . . . .]

إنانا/عشتار إلّهة الحب والجنس

[أجعلُ] الرجل يتوجه نحو المرأة
ونحو الرجل [أوجه] المرأة
أجعل الرجل يتزيّن من أجل المرأة
والمرأة من أجل الرجل [اجعلها تتزين]

عدالة إنانا/عشتار

[أنا التي أمنع الولوج(؟)] إلى البيت المفتوح

---

(١) الترجمة حرفية والمعنى قد يشير إلى سد الطريق أمام من يثور على النظام(؟).
(٢) القصدير في ذلك الوقت كان من المعادن الثمينة لعدم توافره بكثرة.

وإلى البيت المغلق [أمكّن من اجتياز الباب (؟)]
أجعل المرأة الضعيفة تدخل البيت
وأخرج من البيت المرأة المقتدرة[1]
أنا التي أحرّض الزوجة [ضد زوجها]
أنا صاحبة السيادة [أوقع الخلاف]
بين الإبنة وأمها.

نقص سطرين

[.................]
أجزّ شعر من هي مكرّمة (وأحيلها للعبودية)
والتي هي مزدراة، أكون لها أمّاً ناصحة.
ما هو أسود أحوّله إلى أبيض،
وإلى الأسود أحوّل ما هو أبيض.
أنا أقترب من التي تشع سعادةً،
وأتجه (كذلك) نحو التي تلبس ثوب الحداد.

المحراث الذي يمزق حضن الأرض

أنا أمنح فترة راحة لثيران الحراثة،
وإلى الثيران التي ترتاح
أنا، صاحبة السيادة، أعيدها لعملها.
أنا محراث حادّ يمزّق حضن الأرض الفسيحة
محراث قاطع يتقدّم، أنا صاحبة السيادة،
أنا محراث يبذر تجرّه الثيران!

---

(١) هذا المعنى غير أكيد.

(٩١) ـ عشتار تفاخر بعطاء إنليل لها

في هذا المقتطف من نشيد تمجيد موجّه لعشتار «سيدة الآلهة»، تفاخر عشتار بنفسها معدّدة ما منحها إياه الإلّه إنليل «سيد الأرض».

[.................]
أبي منحني السماء ومنحني الأرض
أنا في السماء سيدتها
أيّ إلّه، أياً كان، هل باستطاعته الازدراء بي؟
موليل[1] منحني السماء، موليل منحني الأرض
أنا في السماء سيدتها
[.......................]
منحني (تفوق) المعركة ومنحني التحام القتال.
منحني الإعصار ومنحني العاصفة.
وضع السماء قبعةً على رأسي،
وكصندلٍ وضع الأرض في رجليّ.
ألبسني رداء الآلهة المتألّق،
ووضع في يدي الصولجان البرّاق.

(١) (Moullil) لقب الإلّه إنليل.

الآلهة أمامي (تفرّ) كالعصافير المذعورة،
أنا، أنا هي السائدة.
من هنا ومن هناك، يتشتت الآلهة مرعوبين
أنا، أنا هي البقرة الموقرة.
[.......................]

(٩٢) ـ نشيد ارتقاء عشتار

١ ـ هذا العمل التمجيدي لعشتار الذي عُرف في زمن تأليفه بمطلعه: «السيدة السامية وحدها صاحبة القدرة...»، كان يحتوي، على أقل تعديل خمسة أو ستة أناشيد، لم يصلنا منها سوى النشيد الثالث وقسم كبير من النشيد الرابع وفقاً لنسخ متأخرة نوعاً ما.

وهو ثنائي اللغة، يتألف من نص سومري يليه، سطراً بسطر، الأصل الأكادي. ويُستدل من أسلوب وَصِيَغ اللغة السومرية المستعملة أن تأليف النشيد تمّ خلال فترة كانت فيها اللغة السومرية قد بعدت عن التداول اليومي وأصبحت لغة التقاليد الدينية ومرافقة الطقوس. ويرجح إعادة التأليف إلى الفترة البابلية خلال حكم نبوخذنصر الأول (١١٤٦ ـ ١١٢٣) ق. م.

٢ ـ ويروي نشيد الارتقاء كيف أن الآلهة آنو وأنليل وإيا منحوا عشتار، كل بدوره، صلاحياتهم وجعلوها تحكم إلى جانب كل منهم. ولا يخلو النشيد من تمجيد عشتار والإشادة بمزاياها الحربية والقتالية. ومما يؤسف له هو فقدان نص تدخل الإلّه إيا في تكريمه لعشتار.

اللوحة الثالثة/ النشيد الثالث

1 أمام آنو[1] المقدّس، ذي الكلمة التي لا حدّ لها،

---

(١) (Anou) إله السماء وهو آن (An) السومري.

وبخشوع جماعي، انحنى الآلهة ـ العظام
أمامه، مثل مناجل (قائلين):
«أنت عادل، عندما تتكلم، أيها الأمير الذي
يصدر الأوامر، أنت تستجيب (للرجاء) إذْ تتكلّم!
أي آنو، أمرك السامي لا مردّ له
من الذي يرفض إطاعته؟
أي أبا الآلهة، كلمتك هي أساس السماء والأرض
أيّ إلّه باستطاعته التمرد عليها؟
أنت الإلّه الفطن الذي لا يستشير غير نفسه
ما قيمة رأينا نحن؟
إلى المرأة الفتية عشتار[1] التي امتلكتها
إمنح يدك!
بلّغها في مجمعنا موافقتك التي لا تتبدل
والتي هي سامية كالسماء.
إلى اِنّين[2] الإلّهة التي امتلكتَ
إمنحها مجمل مهامّك الإلّهية؛
لتكن «أنتو»[3] القرينة، المضاهية لك.
ولترتقي إلى مستوى اسمك!
وأكثر من ذلك! اجعل أن تملك يدها أيضاً
قرارت أنليل[4] وإيّا[5]
وأن تمسك وحدها بمقاليد السموات والأرض،

---

(١) (Ishtar) إلّهة الحب والخصب وهي أيضاً إلّهة المعارك.
(٢) (Innin) اسم تحبيب لإنانا (Inanna) السومرية وهي عشتار الأكادية.
(٣) (Antou) لقب الإلّهة قرينة الإلّه آن (An).
(٤) (Enlil) سيد مجمع الآلهة السومري وسيد الهواء.
(٥) (Ea) هو(Enki) أنكي السومري إلّه المعرفة والخلق ومهارة الصنع.

ولتكن الأكثر قدرة في مجمعنا!»

من قبل آنو، فإن استجابةً ملؤها الرضى
صدرت (عند ذلك) مبهجة لها؛
فعشتار المقدّسة، وبطيبة قلبه
عاملها وفق ما تستحق من تكريم (معلناً):
«قرار سيادتي الفائقة السمو، هو كالسموات
المتناسقة، لا مثيل له.
إنه تخمي المنصوب[١] ذو المجاورة المرهبة
بشكلٍ يحول دون الاقتراب منه.
أنا آنو السيّد الساهر على الآلهة:
تولّي قيادتهم (أي عشتار)!
ليكن لكِ أنتِ مدار مُلكهم[٢]
أنتِ وحدَكِ كوني سيدتهم
تعالي، إصعدي حتى عرش ملكيتي
واستقري في أعلى (السموات)[٣]!
وكتجاوبٍ مع إسمي الخاص
ليكن «آنتو السامية»، إسمكِ!
وليكن رسولي الأمين، ذو الشفتين الكريمتين،
الذي يعرف (جميع) أسراري،
إللبرات[٤]، الرسول الملائم لمركزي،
ليكن (هو أيضاً) الرسول الذي يتوسّط من أجلك؛

(١) صورة مأخوذة عن نصب تحديد الملكية الأرضية أو حدود الممالك المجاورة.
(٢) المقصودون هنا هم الآلهة الذين ترمز إليهم في السماء السيارات والكواكب.
(٣) أي سماء آنو الذي دعيت للصعود إليه عشتار بصفتها إلَهة كوكب الزهرة.
(٤) (Illabrat) اسم رسول آنو ومستشاره.

وليجعل أن تكون منذرات فألٍ
الكلمات التي (يتلفظ) بها الآلهة والإلٓهات أمامك[١]
لدى إقامة الأسس الأبدية للسماء والأرض،
وبصدد الكوكبات الإلٓهية،
فإن آنو وإنليل وإيا عمدوا منذ البدء
إلى توزيع الحصص:
من أجل الإلٓهين اللذين يسهران على السموات والأرض
ويفتحان بوابة آنو؛
من أجل سين[٢] وشمش[٣] (خلال) الليل والنهار
حُدِّدت لهما حصتان متعادلتان
من قاعدة السموات إلى سمتها
عُيِّنت لهما مهمات يومية.
ومثل سهام تتبارى
جميع نجوم السماء:
فإن الآلهة التي تسير أمامها وكأنها ثيران جرّ
تجعلها تتبّع الطريق الصحيح.
إلى هذه المكانة، أي عشتار ارتقي[٤]
(ارتقي) إلى الملكية عليهم جميعاً
أي إنّين، كوني أنت، الأكثر لمعاناً بينهم
وليطلقوا عليك تسمية «عشتار ـ الكواكب»!
وبسمو وإلى جوارهم

---

(١) هذا النوع من التنبؤات التي استمرت حتى الفترة الكلاسيكية اليونانية كانت تقضي بالاستماع إلى ما يقال في مكان ما بشكل عفوي واستنتاج منذرات الفأل بالاعتماد على ذلك.

(٢) (Sin) الإلٓه القمر الأكادي وهو Nanna السومري.

(٣) شمش (Shamash) الإلٓه الشمس الأكادي يقابله أوتو (Utu) السومري.

(٤) بصفتها هنا، حيث يرمز إليها كوكب الزهرة.

فليتبدَّل مكانك إلى المكان الأعلى.
وحتى خلال فترتي حراسة سين وشمش
فليكن مشعّاً سناؤك؛
وليكن تألق شعلتك المتوهج
مضيئاً في وسط السماء!
وبما أن لا أحد بين الآلهة يضاهيك
فلتستحوذي على إعجاب الشعوب!»
بعد أن قرر الإلّه (آنو) لبنت سين
مصيراً رائعاً،
ولم يرفض لها الولوج
إلى معبد الإيانا[1] حرمه الطاهر،
بعد أن قرّر آنو الملك، للإلّهة إنّين
هذا المصير الرائع،
وبمثابة هديّة، بعد أن قدّم لها
معبد الإيانا، حرمه الطاهر،
أضفى على شخصها، لباس الألوهية الأسمى
وكذلك تألّق سين المضيء
وجعلها مشرقةً كالنهار
بزينتها الرائعة وحلاها الإلّهية
وبطيبة خاطر، أسلم ليدها صولجان الملكية
الخشب الرهيب والسلاح الذي لا يرحم.
كما ثبّت على رأسها التاج البديع
الذي يماثل عَمْرَة رأس نانّار[2]:

(١) (Eanna) بمعنى بيت السماء وهو معبد الإلّه آنو في مدينة أوروك وأصبح هنا معبداً لعشتار.
(٢) نانار (Nannar) الإلّه القمر السومري وفي هذا السطر إشارة للنور المحيط بالهلال.

«أيتها الإلَّهية (قال لها)، سلطتي الرفيعة
ومهامّي التي لا يحق لأحد طلبها،
كل ما يختص بي، أمنحك إياه!
وكما (فعلت) أنا، فليعمد إنليل، سيد البلاد
(هو أيضاً) إلى معاملتكِ بإجلال كما تستحقين!»

اللوحة الرابعة/ النشيد الرابع

يتألف هذا النشيد من جزئين ولم تصلنا سوى بداية الجزء الأول وهي تشير إلى تكريم «ملك البلاد»، الإلّه إنليل لعشتار. وقد حافظ النص الأكادي هنا على لقبه السومري الوارد في النسخة السومرية وهو أيضاً «سيد البهاء»

أمام (كل) ذلك ابتهج الإلّه نونامنير[١]
وتهلّل قلبه
وإلى ابنة سين، ابنه الحبيب
قرر (هذا) المصير:
«أيتها الملكة عشتار، بما أنك مُبْخِتِ السموات
[فلتكن لك أيضاً] الأرض.
[أيتها السيدة فلتكن لك] الأرض الفسيحة
التي تخلق كل الأشياء!
[أي عشتار،] الأرض الفسيحة المسكونة، مثل (ما تقتربين)
من أفعى، اقتربي منها وضعي فوقها رجلك!
[وفي كل مكان]، على جميع الجبال، على الأرض والبحار،
[انشري] شبكتك!

(نقص ثلاثة أسطر، وبسبب التشويه فقد تم اقتراح المعنى المرجح في الأسطر التالية):

[ولتقف أمامك جميع الشعوب] متعبّدةً!
[وفي كل مكان تقام فيه الطقوس من أجلي]

---

(١) (Nounamnir) اللقب السومري للإلّه إنليل.

توليّ ملكية مُدُنيّ المقدّسة!
[وفي كل مكان تُنصَبُ فيه تماثيلي،]
أقيمي (أنت أيضاً) [. . .] على قاعدة إلَهية!
و(لتعجز) [جميع آلهة] السماء والأرض
عن تحمّل غضبك عندما تثورين،
ولكن، مثل [أعواد قصب أختها] العاصفة
فلينحنوا (جميعهم) أمامك!»
[. . . . .]

(في هذا الجزء الثاني من النشيد، فإن الإلّه إنليل يمتدح مزايا عشتار المحاربة قبل أن يدعوها لممارسة السلطات إلى جانبه تحت تسمية «الإلّهة ـ ملكة ـ نفر»).

«السهم الذي مثل إسفين يثقب القلب والرّئة،
(إجعليه) يمر دوماً بجلال.
أي عشتار، إجعلي الهجوم والالتحام جسداً لجسد
يتواليان (كحركة) حبل القفز!
ومثل طبلٍ تطرقه عصاه، إجعلي (الجيوش)،
يا سيدة المعارك تتجابه وتتصادم!
يا إلَهة جولات القتال، قودي المعركة،
وكأنّها مجموعة دمى تحرّكها (يدك)!
أي إنّين، في كل مكان يعرف صليل السلاح والمذبحة
إجعلي البلبلة لعبتك وكأنك ترمين النّرد[1].

التغني بعشتار المحاربة:

«أي عشتار، عندما مثل إعصار شديد
تحافظين على قساوة التحام المعركة،
عندما، بواسطة الهراوة والبلطة والسيف والحربة،
(تثبتين) تفوق قوتك،
عندما تلبسين درع الغضب،
فينطلق هياج الطوفان!

(١) التعبير المستعمل حرفياً هو «العُظَيْمات» وما نسميه عامياً «برمي الكعب».

عندما تعدّين الترس ونبال الرمي،
فتهبُّ منطلقةً العاصفة!
فليَصْعَق أعداءَك سلاحُك الرهيب حامل الموت
كما (يصعق) إلّه النار!
أي إنّين، عندما تُشهر الأسلحة وتُرفَع الشعارات
فلن ينجو منها أحد، عندما ترفعين ساعدك!

«يا ابنتي، أينما تشائين، (يعود إليك) أمر
إعلاء الشأن أو الإذلال وإقرار التقدم أو التقهقر!
في مكان تقرير المصائر، لن يقف أمامك أي عائق
ولتكن أوامرك مماثلة لأوامري!
خلال الأعياد وتقديم الأضاحي والولائم الطقسية،
والصلوات والركعات والابتهالات،
الرجل الذي قدّم قرباناً (لتهدئة) إلّهه الغاضب،
أو الذي من أجله تتوسط الإلّهة،
لن يَقْبَلَ أيُّ إلّه صلاته، إذا هو لم يسعَ
للأماكن حيث يكسب رضى ألوهيتك.

«في المدينة[١] محط أنظار سومر وأكاد،
حامية (جميع) البلاد
في دُورانكي[٢]، أساس جميع الأماكن المسكونة،
حيث يتحقق ارتباط السماء والأرض،
على عرشي الملكي الذي هو من أجل عبادة الآلهة،
قائم على الأرض مثل ثور وحشي[٣]
في مقام نفّر، مدينة سلطتي الكليّة
التي تصون البلاد،
في حرمي، حيث تسكن الطمأنينة

(١) المدينة المقصودة هي نفّر (Nippur) مدينة إنليل.
(٢) (Dur-an-ki) بمعنى رباط الأرض والسماء وهو اسم الإيكور (بيت الجبل) وهو معبد إنليل في نفّر.
(٣) الثور الوحشي، هو أيضاً لقب الإلّه إنليل.

والذي تمّ تسميته باستعارة اسمي الشخصي
هنا، فلتكن سيادتك متألقة أمام (الجميع)
وليكن اسمك: «الإلّهة ـ ملكة نفر»!

وليصبح ملاك النعمة، الإلّه الوسيط
الواقف أمامي،
الحكيم، رباط الإيكور، حارس المجلس،
الساهر على النظام، وعلى زيت المسح المقدس وزيت المراسم،
ليصبح (هو أيضاً) مُنَفِّذك ضدّ من يستحق عظيم
غضبك، ومن يبلغه صراخك المنتصر.
(وبعد ذلك) فليعمد الحكيم نين ـ سيج[١]، بجوابه
المحبّب إلى الكبد، أن يهدّىء كبدك[٢]!
أي إنّين، سلطتي الرفيعة
ومهامّي التي لا يحق لأحد طلبها،
كل ما يختص بي، كمصير لك، أمنحك إيّاه!
وكما (فعلت) أنا، فليعمد إيا ملك الغمر
(هو أيضاً) إلى معاملتك بإجلال كما تستحقين.

النشيد الخامس المخصص لإعلاء شأن عشتار من قبل الإلّه إيا وإشراكها في مهامّه الإلّهية مفقود ولا ندري، تحت أي اسم يجعلها إيا تدخل معبده في أبسو[٣] إريدو[٤]. ولا نعرف في الوقت نفسه نصوصاً قديمة تخصص لعشتار هيكلاً في إريدو. ويمكن الافتراض بأن النص الكامل، كان يحتوي على لوحتين سادسة وسابعة تستعيدان كخاتمة، صدى ما هو مفقود في النشيدين الأول والثاني اللذين لم يصلا إلينا.

---

(١) (Nin.Sig) قد يكون الإلّه الثانوي الذي يُستشار لحكمته.

(٢) الكبد هو التعبير الحرفي الأكادي، وهو مقر العواطف، ولا نزال نستعمله عربياً حتى اليوم وفق هذا المعنى بالتوازي مع القلب.

(٣) (Apsu) هو محيط المياه العلية حيث يستقر قرص الأرض وفي الأبسو بنى أنكي/ إيا معبده كما ورد أعلاه في النص رقم (٨٢).

(٤) (Eridu) مقر الإلّه إيا.

(٩٣) ـ عشتار إلهة الإلهــات

وبصدد ارتقاء عشتار أيضاً، يمكننا استكمال النقص في النص السابق، باستعارة ابتهال موجّه للإلّهة عشتار، ينعتها «بإلّهة الإلّهات»، بحيث نختتم الفقرة (٢ ـ ٣) عن إنانا/ عشتار والسلطة حين بلغت أوج ارتقائها وأصبحت أملاً للخلاص، يتمسك به جميع البشر. وفيما يلي مضمون هذا الابتهال:

سيّدة السيّدات، إلّهة الإلّهات،
ملكة جميع المدن، قائدة جميع البشر.
أنت نور العالم، أنت نور السماء [. . .]
فائقة هي قدرتك.
أنت أعلى شأناً بين جميع الآلهة [. . .]
أنت تديرين قوانين الأرض وقوانين السماء،
قوانين المعابد وقوانين المساكن الخاصّة،
والغرف السريّة.
أيّ مكان لا يحمل اسمك؟
أيّ مكان يجهل أوامرك؟
أي إلّهة الرجال وإلّهة النساء،
حكمتك تفوق إدراكنا.
حيث أنت تلمعين، يبعث إلى الحياة الأموات
ينهض الكسحاء ويمشون.
ويطمئن قلب المرضى،
حين تنظرين إلى وجوههم.

الفصل الثالث

(٣) ـ الحضارة بين المدرسة والحكمة

١ ـ بناء الحضارة في ما بين النهرين، رواه لنا الفصل الأول من هذا الكتاب. ولكي تعمّ الحضارة وتستقر وتزدهر، كان لا بد من نقلها من مدينة لأخرى. فكانت السلطة «الحضارية»، من خصائص المدينة المتقدّمة. وكان الولاء إلى المدينة المتقدمة من مقومات نقل الحضارة وتعميمها وتنظيم البلاد. وهذا ما قدّمه لنا الفصل الثاني من هذا الكتاب.

٢ ـ ومتابعةً لانتشار الحضارة وترسيخ أسسها، فإنّ المعرفة التي بدأت بأعجوبة فن الكتابة وتعليمه، هي إحدى أعمق مظاهر هذه الحضارة التي أدّت فيما بعد إلى تسجيل ما تناقلته التقاليد الشعبية من أمثال وحكم، على آلاف اللوحات التي وصلتنا، بفضل انتشار فن الكتابة والسهر على المحافظة على ما تركه عبر القرون حكماء تلك القرون. ومن الدروس التي أرادوا تلقينها، نطّلع على بنية ذلك المجتمع الحضاري الذي لجأ إلى «الحكمة» لتعليم قواعد التعامل الاجتماعي والأخلاقي، وهذا ما يحاول الفصل الثالث والأخير من هذا الكتاب تقديمه تحت عنوان: الحضارة بين المدرسة والحكمة مشتملاً على:

(٣ ـ ١) ـ مدارس سومر

(٣ ـ ٢) ـ الحكم والأمثال

(٣ ـ ٣) ـ أحيقار، حكيم بلاط نينوى.

(٣ ـ ١) ـ مدارس سومر

١ ـ كانت الكتابة منذ أن ابتدعت حوالى عام ٣٠٠٠ ق. م، في أساس حضارة ما بين النهرين. وخلال فترات الحكم الإلّهي (التيوقراطي)، كانت مركزيّة المعبد هي التي تؤدي بشكل طبيعي إلى تطوير فنّ الكتابة باللجوء إليها لأسباب اقتصادية ودينيّة في الوقت نفسه. وإضافة إلى القرابين والتقدمات التي كانت تصل إلى المعابد تأميناً لاحتياجات الآلهة المعيشية وبالتالي تأمين احتياجات الجهاز البشري العامل في المعبد، كانت الجباية تتمّ باسم الإلّه، وكل ذلك، استوجب سجّلات مفصّلة حول ما يرد إلى مستودعات المعابد وما يخرج منها.

٢ ـ وكان الكتبة في المعابد هم الذين يقومون بهذه الأعمال التسجيلية وهم الذين كانوا يدرّبون على فن الكتابة التلاميذ الذين سوف يخلفونهم في هذه المهمّة.

ومنذ بداية الألف الثالث لما قبل الميلاد كشفت حفريات (١٩٢٩ ـ ١٩٣١) في مدينة أوروك[١] لوحات عديدة ومن بينها لوائح كلمات معدّة لكي يتمّ حفظها. ومنذ منتصف الألف الثالث فيما بعد، عرفت بلاد ما بين النهرين، عدة مراكز شملت بين مكتشفاتها نصوصاً تعليمية، ويمكن القول بأن تعليم فنّ الكتابة ازدهر في تلك الفترة وكانت البلاد تشمل عدداً لا يستهان به (عدة آلاف) من الكتبة الرئيسيين والكتبة المساعدين الذين كانوا يقومون بخدمة المعابد أو بخدمة الملك.

٣ ـ بدأت المدرسة السومرية بتدريب الكتبة لخدمة المعبد والقصر وتطوّر الأمر بعد

---

(١) (Uruk) مدينة جلجامش.

ذلك إلى أن أصبحت مدارس تعليم فن الكتابة مراكز الثقافة والمعرفة في البلاد والتي عاش بين جدرانها مثقفون يتقنون سائر معارف عصرهم الدينية منها والدنيويّة. وحين لم يكن هؤلاء المثقفون في خدمة المعبد أو القصر أو أعيان البلاد فقد كانوا يكسبون معيشتهم عن طريق التعليم، ولم تكن مراكز تعليمهم تابعة للمعبد أو للقصر كما كشفت عن ذلك حفريات مدينة أور[1].

٤ ـ وقد أمكن التعرف على النظام التعليمي في بلاد ما بين النهرين وعلى الطرق التربوية المتّبعة وكذلك على برامج التعليم من ضمن مكتشفات النصف الأول من الألف الثاني لما قبل الميلاد، إذ عثر على لوحات عديدة تحمل فروض التلاميذ أثناء تعلّمهم فن الكتابة وفي مراحل مختلفة من هذا التعليم، اعتباراً مما يمكن تسميته بالمستوى «الابتدائي» إلى مستوى التخرّج «الثانوي». كما تمّ التعرّف منذ ذلك الوقت أيضاً، على هيكل الجهاز التعليمي.

وعن طريق معالجة محتوى عدة آلاف من اللوحات العائدة لبداية الألف الثاني، تمكن أحد الباحثين من التعرف على أسماء حوالى ٥٠٠ كاتب مع أسماء آبائهم ومهن هؤلاء. وجميع الآباء كانوا من الحكام والوجهاء والأعيان وأصحاب المناصب الذين عَرفُوا المدرسة بدورهم وأرسلوا إليها أبناءهم وفقاً للتقاليد التي رسّخها الإله إنليل، وهي أن يتعلم الأبناء مهنة آبائهم. ويجب ألاّ نستغرب إذا كان التعليم في ذلك الزمن السحيق وقفاً على الأغنياء في المجتمع وكذلك فيما عدا ابنة سرجون الكبير التي تركت لنا نص: عشتار تخضع الجبل (رقم ٨٩)، فإننا لا نعرف امرأة غيرها أتقنت فن الكتابة والتأليف الأدبي، مع أن مدينة ماري[2] عرفت في فترة لاحقة نساءً كاتبات وأمينات سر.

٥ ـ قلنا إن حفريات مدينة أور كشفت عن منزلين استعملا حتماً كمركزي تعليم.

المنزل الأول يحمل الرقم ٧ مما سمّي الشارع الهادىء[3]. ويقع المنزل الثاني في رقم ١ من الشارع العريض[4]. والوثائق التي تم العثور عليها في المنزل الأول غطّت فترة

---

(١) (Ur) سوف نقدم معلومات إضافية عن مدرستين خاصتين عائدتين لتلك الفترة.

(٢) (Mari): تل الحريري في منطقة البوكمال السورية.

(٣) (7,Quiet Street) وهي التسمية التي أطلقها وولي (L/Wooley) على هذا الشارع.

(٤) (I,Broad Street) مماثل للحاشية السابقة.

حوالى ثمانين سنة إلى أن أدّى حادث حريق بزوال البيت.

أما سكان هذا المنزل فهم (كو ـ نينجال)[1] وأبناؤه الذين تولّوا مهمّة التعليم من بعده. وكان (كو ـ نينجال) ذا مرتبةٍ كهنوتية تختصّ بطقوس التطهير في معبد الإيكيشنوچال[2] في مدينة أور.

وقد احتوى هذا المنزل على عدد كبير من النصوص المدرسية المتعلقة بتعليم اللغة والمواد الأخرى وكذلك على عدد لا يستهان به من النصوص الأدبية. وكثير منها لا يُعرف له أصل آخر، مما دعا إلى التساؤل فيما إذا كان البيت المذكور يضمّ أيضاً مكتبة.

ومن أهم النصوص التعليمية التي عثر عليها في بيت الرقم ٧ يمكننا تعداد ما يلي:

ـ لوائح مفردات وقواعد لغوية لبداية التعليم، وبشكل خاص لوحة كبيرة ذات ١٢ عموداً تحمل لوائح بأسماء الجلود والعصافير والأسماك والأقمشة والنباتات.

ـ لوائح بأسماء الآلهة.

ـ لوائح بالأسماء السومرية لمراتب الكهنة العاملين في معبد الإلّه القمر، في أور، وما يقابل معانيها بالأكادية.

ـ لوائح بصيغ الأفعال.

ـ مجموعة جمل بسيطة وأمثال مقتضبة سهلة الحفظ لتعليم قواعد تركيب الكلام.

وقد عثر أيضاً في المنزل رقم ٧ المشار إليه أعلاه على نصوص ترتبط بتعليم الحساب والمساحة ومنها:

ـ جداول ضرب.

ـ جداول مربعات الأعداد من ١ ـ ٥٩.

ـ جداول الجذور المربعة من ١ ـ ٥٩.

ـ جذور تكعيبيّة من ٦ ـ ٤٨.

ـ لوحات حول أعمال مسح الأرض.

---

(١) (Ku-Ningal) رب العائلة التي مارست التعليم.

(٢) (E.kishnugal) بمعنى بيت النور وهو معبد الإلّه القمر في مدينة أور.

٦ ـ أمثلة عن كتابات تشمل فترات تاريخية متعددة

عثر عليها أيضاً في المنزل رقم ٧،

ـ عن الفترة الأكادية: ثلاث نسخ عن نص نقش نرم ـ سين[١] ونسخة عن نص لإنخيدوانّا[٢] ابنة سرجون الكبير[٣].

ـ عن مملكة أور الثالثة: نصّ الملك أور ـ نامو[٤] ونصّان للملك إيبي ـ سين[٥] وذلك على اللوحة نفسها التي تحمل نص ابنة سرجون.

ـ نسخة عن تشريع أور ـ نامو.

ـ وعن فترة إيسين[٦] نصان لإيدين ـ داجان[٧] ونصان عن فترة حكم مدينة لارسا[٨].

جميع هذه النصوص اعتبرت أعمالاً مدرسية نسخت حوالى ١٧٥٠ ق. م. من قبل التلاميذ الكتبة في مدرسة أور، كما لوحظت على بعضها أخطاء ارتكبها هؤلاء التلاميذ.

٧ ـ نصوص أدبية في المنزل رقم ٧ في أور

إضافةً إلى النصوص التي تركها ملوك أكاد وأور وإيسين ولارسا واستعمال تعبير «مجموعة» للإشارة إليها، فقد عثر في المنزل نفسه على عدد من نسخ الأساطير المعروفة[٩] مثل خلق الفأس وتقويم الفلاح. . . ، وعثر كذلك على نصوص سومرية لم تكن معروفة في غير مكان اكتشافها هذا، ومنها أناشيد لتمجيد ريم ـ سين[١٠] ونشيد

---

(١) (Naram-Sin): (٢٢٥٤ ـ ٢٢١٨) ق.م.
(٢) (Enbiduanna) راجع النص رقم (٨٨) من هذا الكتاب.
(٣) (Sargon) الأكادي (٢٣٤٠ ـ ٢٢٨٤) ق.م.
(٤) (Ur-Nammu): (٢١١١ ـ ٢٠٨٤) ق.م.
(٥) (Ibbi-Sin): (٢٠٢٧ ـ ٢٠٠٣) ق.م.
(٦) (Isin) في موقع بحرية الحالي، تقع على بعد حوالى ١٨٠ كلم إلى الجنوب الشرقي من بغداد.
(٧) (Iddin-Dagan) حكم في مدينة إيسين (Isin) (١٩٧٤ ـ ١٩٥٤) ق.م.
(٨) (Larsa) تقع إلى الجنوب الشرقي من أوروك على بعد حوالى ٣٠ كلم.
(٩) التي اكتشف معظمها في حفريات مدينة نفّر والتي يعود نسخها إلى الثلث الأول من الألف الثاني لما قبل الميلاد.
(١٠) (Rim-Sin) حكم في أور في القرن التاسع عشر وتم تأليهه فيما بعد.

لتمجيد الإلّهة هايا[1] يشمل طلب تدخلها لمصلحة الملك ريم ـ سين. ويعتقد أن أناشيد تمجيد الملك ريم ـ سين المشار إليها أعلاه قد تم تأليفها لمناسبة زيارة الملك لمعبد «بيت ـ النور» أي الإيكيشنُوچال في مدينة أور. . . ولمثل هذه الأسباب، أمكن الاعتقاد بأنّ المنزل رقم ٧ كان بالإضافة إلى مهمته التعليمية يتحول بحسب المناسبات إلى مركز إنتاج أدبي تلبية لطلبات رسمية معينة.

٨ ـ نصوص المنزل رقم ١ من الشارع العريض

عُثر في هذا المنزل من أور على حوالى ٢٠٠٠ لوحة، بعض مئات منها كانت عبارة عن تمارين مدرسية عادية، كما عثر على عدد من اللوحات لنصوص دينية يعتقد أنها كانت تستعمل للإملاء أو للحفظ وكتبت على نصوص تاريخية وجداول ضرب ونصوص لأعمال حسابية وكذلك سجلات لأعمال تجارية تتعلق بالمعبد وعدّة رسائل باللغة الأكادية ورسائل باللغة السومرية ولائحة بأسماء الآلهة والمدن التي يحمونها. ومن بين نصوص هذا المنزل:

- مجموعة أناشيد موجهة للمعابد.
- نص إنانا والإيبيخ (راجع النص رقم ٨٨).
- نص الحوار بين تلميذين[2].
- نص اللعنة التي حلّت على مدينة أكادي.
- ٣ أناشيد موجّهة إلى الملك شولچي[3].

٩ ـ ما نعرفه عن المدرسة السومرية

اعتماداً على مجموعة المكتشفات المتعلّقة بموضوعات التعليم في مختلف مراحله في سومر فنحن نعلم اليوم:

---

(١) (Haya) أو (Aya) وهي قرينة إلّه الشمس بابّار (Babbar).
(٢) نوع من المنافسة بين تلميذين يشيد كل منهما بما تعلّمه.
(٣) (Shulgi) حكم في أور حوالى (٢٠٩٣ ـ ٢٠٤٦) ق.م.

ـ أن المدرسة كانت تسمى «الإي ـ دوبا»[1] ومديرها هو الـ «أومّيا»[2] أو أيضاً أبُ ـ بيت اللوحات[3] يساعده «الأخ ـ الكبير»[4] والمراقب والمعاقب[5].

ـ وكان هناك معلمون اختصاصيون: مثل معلم الحساب[6] ومعلّم أعمال المساحة[7] ومعلم اللغة السومرية[8].

ـ أما التلاميذ ـ الكتبة فهم «أبناء ـ بيت ـ اللوحات».

ـ وأيام الدراسة كانت تشمل ثلاثة أيام عطلة شهرياً وثلاثة أيام بسبب الأعياد.

ـ المراحل الأولى للتعليم، كانت تشمل نَسْخ لوائح إشارات عبّرت عنها النصوص بمجموعات (آ ـ آ) و(مو ـ مو)[9] يعادل ذلك: ب + ا = با في تعليمنا.

ـ وإلى المرحلة نفسها تعود السلسلة تو ـ تا ـ تي، نو ـ نا ـ ني، بو ـ با ـ بي، إلخ...

ـ يتم الانتقال بعد ذلك إلى التعرف على الإشارات المسمارية وربط كل منها بالألفاظ المختلفة التي تعبّر عنها، وهذا ما كان يسمى بمجموعة (إيا ـ القديمة)، حيث تصنّف الإشارات بحسب صورها وتكرر كل واحدة منها عدد المرات التي تتطلّب لفظاً مختلفاً.

ـ يتابع التعليم نقل نصوص أدبية تعود إلى الفترة البابلية القديمة، بدءاً بمقتطفات قصيرة إلى النصوص الكاملة للأساطير والملاحم والأناشيد والمراثي.

ـ وكان التعليم يشمل أيضاً تعليم الحساب والمساحة. إعداداً لتمكين الكاتب المتعلم من مسح أرض مثلاً وتقسيمها بين ورثتها.

ـ وأخيراً فإن الموسيقى كانت أيضاً من المواد التي تعلم في «بيت ـ اللوحات».

---

(١) (E.Dub.Ba) أي بيت اللوحات.
(٢) (Ummia) بمعنى الخبير.
(٣) أي (آدا ـ أي ـ دوّبا) (Adda-E-Dub.ba).
(٤) (شيش ـ جال) (Shesh-Gal).
(٥) العصا التي عرفتها مدارس طفولتنا كانت مستعملة منذ ذلك الوقت.
(٦) دوبشار ـ نيشيد (Dubshar - Nishid).
(٧) (دوبشار ـ آشاجا) (Dubshar-Ashaga).
(٨) (دوبشار ـ كينجيرا) (Dubshar-Kengira)
(٩) (A-A) و(Mo-Mo).

١٠ ـ متابعة تعليم اللغة السومرية

نحن نعلم أن بلاد ما بين النهرين استعملت في الوقت نفسه اللغتين السومرية والأكادية للتعبير. وإذا ما كانت اللغة السومرية هي التي تمّ التعبير بواسطتها عن الفكر الديني في سومر، فقد تراجعت أمام توسّع انتشار اللغة الأكادية. ولم تلبث أن انحصرت علاقتها بالآلهة، تردّد ملاحمهم وتنشد مآثرهم وتمجّدهم وتقيم لهم الطقوس. وبعدت هكذا، وبشكل طبيعي، عن لغة الحديث الشعبي والأمور الدنيوية غير المقدّسة وأصبحت وقفاً على المتعلمين والمثقفين ورجال الدين، وبقيت تُدرّسُ على هذا الأساس كما تدرّس اليوم في أوروبا اللغة اليونانية القديمة أو اللاتينية كأساس «كلاسيكي» للمعرفة. ولكن السومرية بقيت أكثر من ذلك، وإلى زمن بعيد، لغة المعتقدات الدينيّة وإقامة الطقوس. وكلما بعدت اللغة عن التداول اليومي، صعب امتلاكها، ولذلك فقد كان التلميذ المبتدىء يفتخر إذ يعلن:

> «حفظت حتى الآن وكتبت الكلمات السومرية والأكادية، بدءاً من المجموعة المقطعية (آ ـ آ) ـ (مو ـ مو) حتى [. . . .] (وكذلك) كتبت جميع الأسطر، بدءاً من لائحة أسماء العلم «إنانا ـ تيش» حتى المجموعة «لو = شو» وحتى الأشكال الأقل استعمالاً»[١]

وحين كان أحد المعلمين يريد انتقاد تلميذه المبتدىء، كان يقول له:

> «لسانك لا يتلاءم مع اللغة السومرية»

وعلى العكس من ذلك فالمبتدىء المجتهد والمؤهل لتعلم هذه اللغة كان يفاخر معلناً:

> «أستطيع (الآن) التكلّم بالسومرية!».

١١ ـ من نيسابا إلى نابو

بعد أن روت ابنة سرجون الكبير انتصار إنانا على الجبل وإخضاعه كما ورد ذلك في النص (٨٨) من هذا الكتاب، لم تنسَ في نهاية هذا النص الملحمي، مع تمجيد إنانا، أن تمجّد الإلّهة نيسابا[٢]:

---

(١) من نص الحوار بين التلميذين «أنكي ـ مانسوم» (Enki-Mansum) وجيرني ـ إيسا (Girni-Isa) أو جيرني ـ عيسى(؟).

(٢) (Nisaba) الإلّهة السومرية المشرفة على الكتابة.

«... يا ابنة سين العظيمة
أيتها المرأة الفتية إنانا، لك المجد
والمجد لك أيضاً يا نيسابا.»

كانت نيسابا، في الفترة السومرية، إلّهة قلم القصب المستعمل للكتابة، «تقود يد الكاتب المبتدىء» في سعيه لتعلم فن الكتابة.

وفيما بعد، أصبح نابو[1] إلّه بابل، كاتب الآلهة، يسجل أقدار المملكة في عيد رأس السنة من كل عام، منذ فترة الملكية الأولى في بابل، وأشهر ملوكها حورابي (١٧٩٢ ـ ١٧٥٠) ق. م. وعن فترة حكم نبوخذنصر الأول (١١٢٤ ـ ١١٠٣) ق. م، وصلتنا لوحات مدرسية، سجل عليها التلاميذ الكتبة شكرهم للإلّه نابو مع ابتهالات موجهة إليه، مثال:

«أيتها اللوحة تكلمي عني أمام الإلّه»
أو «ليجعل نابو عقلي أكثر تفتحاً»
أو «ليهبني عمراً مديداً ويحوّل عني المرض لكي أبلغ [...]
ماديًا وروحياً ويزداد فهمي.»

وهناك ابتهال آخر يرجو عمراً طويلاً يمكّن الطالب من «تحسين معرفته بالإشارات المسمارية وتسجيل لوحته بشكل أجود».

١٢ ـ نصوص تربوية مختلفة

إضافةً إلى الحوار بين تلميذين، الذي أشرنا إليه آنفاً، فإن عدداً من النصوص التربوية من شأنها إعطاء فكرة عملية عن الحياة اليومية في «الإيدوبّا» أي بيت اللوحات فيما يختص بتلميذ مبتدىء، وما يجب تحاشيه مثلاً بالنسبة للغرور أو التمرد على الأخ ـ الكبير الذي يرافق المبتدئين، وعن سعي أبٍ يخشى على ابنه إهماله المدرسة وتسكّعه في الشوارع والحدائق العامة فيقدّم له النصائح اللازمة كي لا يهمل الدراسة ولينمّي فيه الفضائل الإنسانية.

وبعودة إلى المنزل رقم ٧ من الشارع الهادىء في مدينة أور، وبما أن «أب ـ بيت ـ

(١) (Nabu) ابن الإلّه مردوك.

اللوحات» هذا كان أحد الكهنة المكلفين بطقوس التطهير في المعبد، فإن نصاً يمثّل مشهداً تمثيلياً يجري في حانوت غسّال ثياب، نعتقد أن الهدف منه هو تعليم التعابير الفنيّة الواجب معرفتها بصدد عملية تطهير الثياب التي هي ذات أهمية بالنسبة لمدير المدرسة وعلاقته بمعبد الإلّه القمر. وعلى هذا الأساس فإن هذه الفقرة سوف تشمل عرض النصوص التالية:

النص رقم (٩٤) ـ التلميذ المغرور والتلميذ المتمرّد.
النص رقم (٩٥) ـ في حانوت غسال الثياب ومثال عن عملية حسابيّة.
النص رقم (٩٦) ـ الحياة اليومية لتلميذ مبتدىء.
النص رقم (٩٧) ـ توصيات أب لابنه المنحرف.
النص رقم (٩٨) ـ أدب المنافسات ودوره التعليمي.

(٩٤) ـ التلميذ المغرور والتلميذ المتمرّد

١ ـ العلاقة المهمة التي سعى مسؤولو التعليم في سومر إلى تأمينها بشكل ملائم، هي علاقة التلميذ المبتدىء مع «الأخ ـ الكبير» الذي هو على اتصال مستمر معه أثناء تعلّمه. وحتّى بعد تقدّم تحصيله، يجب إبعاده عن الغرور والتبجح وكذلك عن الاختلاف مع هذا الأخ ـ المساعد الذي له دور أساسي في إنجاح مهمّة التعليم.

(٩٤ ـ أ) التلميذ المغرور

عندما وصل التلميذ موضوع هذا النص إلى سنته الثانية لتعلّمه، أصابه الغرور ورأى نفسه قادراً على تحدي الأخ ـ الكبير. وحين عرض عليه هذا الأخير ما يجب عمله، أجابه بغرور:

«أنا قررت أن أكتب شيئاً من تأليفي
سوف أقدّم التعليمات بنفسي!»

إلا أن الأخ ـ الكبير يردّ على هذا المتبجّح بقوله:

«إذا ما أعطيت أنت التعليمات
فلن أكون أنا الأخ ـ الكبير
وأين يصبح مركز الأخ ـ الكبير عندئذٍ؟
إعلم أن الغرور يقضي على العلاقة مع الأخ الكبير،
يا للذكاء الخارق [...]
قد تكون يدك بارعة ولكن،

ليس باستعمال قلم الكتابة على لوحة!

ثم يعدّد الأخ ـ الكبير العجز أو عدم الكفاءة التي أظهرها التلميذ متحدثاً عنه بصفة الغائب:

إذا ما أراد كتابة لوحة، فإنه
لا يعرف كيف يتدبر الأمر فعلاً.
إذا ما أراد كتابة رسالة،
يخطىء في كتابة عنوانها
وإذا ما أراد تقسيم ملكية
فإنّه غير قادر على ذلك!

(٩٤ ـ ب) التلميذ المتمرّد

في نص آخر يردّ الأخ ـ الكبير على غرور التلميذ بقوله:

أيها الرجل المجرّد من أي ثناء بين الكتبة!
في أي شيء (إذن) هي براعتك؟

ويدافع التلميذ عن نفسه وعن براعته الفنية في الكتابة ويعيد الاتهامات إلى الأخ ـ الكبير منتقداً حسابه وهندسته ومهارته في نسخ النصوص الدينية، وتستمر الاتهامات والرد عليها في الجزء المشوّه من النص، وينتهي الحوار بشجار بين الطّرفين، فيتدخّل المعلّم في الخلاف موبّخاً:

«لماذا أنتما تتصرفان على هذا الشكل؟ [. . .]

ثم يتوجّه إلى التلميذ ـ المتمرّد مهدّداً:

ماذا يعني أن يكون لأخيك ـ الكبير دوره؟
(يعني ذلك) أنّه أكثر معرفة منك
في فنّ الكتابة.
والتلميذ الذي يتصرف كما تفعل،
لا بد أن يدخل في خلاف مع الأخ ـ الكبير!
هناك العصا. . . وسأعاقب بها
مثل هذا التلميذ.

سوف أضع سلسلة نحاسية في رجله

. . . وأسجنه في بيت ـ اللوحات

مدّة شهرين.

ويتضح بعد ذلك من النص بأن المعلّم بعد الانتهاء من تهديداته، يأخذ بيد كلٍ من الشابين ويعمد إلى مصالحتهما.

(٩٥) ـ في حانوت غسّال الثياب ومثال عن عملية حسابية

(٩٥ آ) ـ غسّال الثياب[1]

وصلنا هذا النص، الذي هو عبارة عن مشهد تمثيلي، على لوحة تحمل ٤٢ سطراً وتحتوي على النص الأكادي الوحيد الذي عثر عليه في المنزل رقم ٧ من الشارع الهادىء في مدينة أور. وهو يبدأ على لسان أحد الأشخاص، أحد الزبائن متوجّهاً إلى صاحب الحانوت وملقناً تعليماته المطوّلة والمعقّدة إلى غسّال الثياب الذي يستمع إليه بامتعاض وبصبر. ولكنه يتوصّل في النهاية إلى إيقاف سيل سرديته التي تحتل ٢١ سطراً أي نصف النص ليعلن له بأنه غير قادر على اتّباع مثل هذه التعليمات ولا يمكنه تذكرها وينصح صاحب الثياب أن يطبّق بنفسه وصفته للغسيل في مكانٍ يعيّنه له. ثم يغادر الحانوت على الرغم من محاولة الزبون تلطيف خاطره.

نُظر إلى هذا النص بوصفه مشهداً تمثيلياً بسبب احتوائه في الأسطر (٢٧ و٣٦) على تعليمات مسرحية. ومن المفيد الإشارة إلى أن هذا التمرين المدرسي، المكتوب بلغة أكادية جيدة، كانت له أهدافه التربوية بالنسبة لتجميعه التعابير الفنية المتعلقة بمهنة غسل الثياب وتطهيرها. ولم يكن اختيار هذا الموضوع مُصادفةً أو عفوياً، لأنّ الإلّه أنكي، هو سيّد مرجل غسل الثياب، مع التذكير بأن صاحب المنزل رقم ٧ أي (أب ـ بيت ـ اللوحات) كان كاهناً مختصاً بطقوس التّطهير في معبد الإلّه سين.

---

(١) بالأكادية «أشلاچ» (Ashlag).

(٩٥ ـ ب) مثال عن عملية حسابية

لإعطاء فكرة عن مستوى تعليم الرياضيات في ما بين النهرين في مراحله المختلفة لا بدّ من إجراء بحث خاص لإنصاف مثل هذا الموضوع الذي لا يدخل في نطاق عرضنا هذا ونأمل أن يخصص أحد باحثينا كتاباً كاملاً لعرض ما وصلت إليه بلاد ما بين النهرين بدءاً بسومر وحتى فتح الاسكندر، في مجال علوم الفلك والأرصاد الجوية والرياضيات (الحساب والهندسة والجبر) والطبّ الدّاخلي والجراحة، بغية تتبّع وعرض تلك الأسس الحضارية التي حملتها «سفينة السماء» من اريدو إلى أوروك منذ نهاية الألف الثالث لما قبل الميلاد[١].

ونكتفي هنا بتقديم مثل عن طلب حل مسألة بثلاثة مجاهيل تمتاز باقتضاب وبساطة عرضها منذ الفترة البابلية القديمة بلغة دقيقة لا تختلف عما يمكننا قوله اليوم بهذا الصدد. يقول النص:

«الذي مستطيل، ضربتُ الجبهة بالجانب،
فحصلتُ على المساحة. ثم جمعتُ الجبهة
والجانب، فحصلت على نتيجة تعادل المساحة.
وأخيراً جمعتُ الجبهةَ والجانبَ والمساحة،
فحصلت على مجموع ٩.
فما هو قياس كلٍ من الجبهة والجانب والمساحة؟»

(١) راجع النص (رقم ٨٥) عن إنانا وسفينة السماء.

(٩٦) ـ الحياة اليومية لتلميذ مبتدىء

كتب هذا النص أحد المعلّمين في «بيت ـ اللوحات» يصف فيه الحياة اليومية لتلميذ سومريّ. ويعود هذا النص إلى بداية الألف الثاني لما قبل الميلاد:

ـ أين ذهبت أيها التلميذ، منذ نعومة أظفارك؟
ـ ذهبت إلى بيت ـ اللوحات
ـ وماذا فعلت في بيت ـ اللوحات؟
ـ استظهرتُ لوحتي. تناولت طعام الفطور،
أعددتُ لوحةً جديدة، ملأتها بالكتابة
وأنهيتها، ثم حُدِّدَ لي ما عليَّ استظهاره.
أعطيت تمريناً جديداً على الكتابة.
وبنهاية الفصل، عدت إلى بيتي، حيث وجدت أبي
جالساً. حدّثت أبي عن تمرين الكتابة،
ثم تلوت عليه لوحتي فامتلأ قلبه بهجة[...]

بعد تلاوة لوحته لأبيه، يتوجه إلى أمه أو إلى الخادمة:

«أنا عطشان، أعطني ما أشربه
أنا جائع، أعطني ما آكله
أغسلي لي رجليّ، أعدّي فراشي،
أريد أن أنام.
أيقظيني باكراً في الصباح

يجب ألاَّ صل متأخِّراً إلى المدرسة
وإلاَّ فالمعلّم الكبير سوف يعاقبني

يتابع النص بعد ذلك يوميات الصباح التالي:

[.....]
عندما استيقظت باكراً في الصباح التالي
توجّهت نحو أمّي قائلاً:
أعطيني طعام فطوري، يجب أن أذهب إلى بيت ـ اللوحات.
أعطتني أمي رغيفيْ خبز صغيرين وسلكت دربي نحو
بيت ـ اللوحات.
في بيت ـ اللوحات، بادرني المراقب قائلاً:
«لماذا تأخّرت؟
مثلت أمام معلّمي وأنا خائف، وقلبي يخفق.
وانحنيت أمامه احتراماً[...]

وعلى الرغم من الخوف والاحترام فإن ذلك اليوم لم يكن كما يبدو يوم سعادة بالنسبة للتلميذ. فقد أمر أحد المعلمين بمعاقبته بالعصا لأنه وقف بدون استئذان. وأمر آخر بمعاقبته، لأنه ثرثر مع رفيقه أو لأنه خرج من الباب الكبير دون أن يُسمح له بذلك. وما هو أسوأ من ذلك، فقد قال له المعلم:

«كتابتك ليست مقبولة!»

وهنا أيضاً نال قصاصه. وأمام هذه الحالة التعسة، اقترح التلميذ على أبيه، موضحاً بأن دعوة المعلّم إلى البيت واستمالته ببعض الهدايا، قد تكون فكرة حسنة:

«ما قاله التلميذ، أعاره الأبُ اهتمامه
وتمّت دعوة معلّم بيت ـ اللوحات.
وعندما دخل المعلم البيت، تمّ إجلاسه
في مكان الصَّدَارة.
(عند ذلك) قام التلميذ بخدمته،
وأحاطَهُ بالعناية.
كما عرض على أبيه، بحضور معلّمه

كل ما تعلّمه من فنّ الكتابة[...]
قدّمَ الأبُ بعد ذلك الخمرَ إلى المعلّم وأَوْلَم له:

أَلْبَسَهُ كسوةً جديدة،
قدّم له هديّة،
وزيّن بخاتم إصبعه

أَدخل هذا الكرمُ الدفءَ إلى قلب المعلّم، فامتدح التلميذ وشجّعه مستعملاً تعابير لا تنقصها الحماسة:

«أيها الشاب، لأنك لم تهمل كلمتي
ولم ترمِ بها جانباً،
فلعلكَ تبلغ قمّة فنّ الكتابة،
ولتتمكّن من تحقيق ذلك بتفوّق[...]
ولتصبح قائداً بين إخوتك
ورئيساً بين أصدقائك
ولتصل إلى أعلى المستويات بين التلاميذ.

ولأنك أتممت بشكلٍ جيد مهامّك المدرسية
ها أنت أصبحت رجل معرفة!»

(٩٧) ـ توصيات أب لابنه المنحرف

الإبن يتسكّع في الشوارع ولا يواظب على التعلّم والأب يحثه على الانتظام وعدم إضاعة الوقت الثمين لاكتساب المعرفة والفضائل الإنسانية لأن الغنى المادّي وحده لا يكفي.

يعود النص المشتمل على توصيات الأب إلى الثلث الأول من الألف الثاني لما قبل الميلاد ومن المحتمل إعادة تأليفه إلى عدة قرون سبقت.

يبدأ الأب باستجواب ابنه في بداية النص:

ـ أين ذهبت؟
ـ لم أذهبْ لأي مكان.
ـ إذا لم تذهب لأي مكان، فقد أضعت إذن وقتك عبثاً.
إذهب إلى بيت ـ اللوحات، قدّم نفسك لأب
بيت ـ اللوحات، إتْلُ عليه درسك
إفتح حقيبتك، انقشْ لوحتك،
اترك للأخ ـ الكبير أمر تخطيط لوحتك الجديدة.
عندما تنتهي مهمتك وتعرض ما أنجزته،
على المراقب، عد إليّ،
ولا تتسكّع في الشوارع.
والآن، هل حفظت ما قلته لك؟
ـ نعم سوف أكرّره أمامك
ـ كرّره إذن.

ـ سوف أكرّر ذلك.
ـ قلْ.
ـ قلتَ لي أن أذهب إلى بيت ـ اللوحات
أن أتلو درسي، أن أفتح حقيبتي،
أن أنقش لوحتي،
بينما يعدّ لي الأخ ـ الكبير، لوحةً جديدة.
وعندما أفرغ من مهمتي
أعود إليك بعد تقديم نفسي للمراقب
هذا ما قلتَهُ لي.
ويتابع الأب نصائحه:

كن رجلاً يا بني، لا تعمد إلى ارتياد الحدائق العامة،
ولا تتسكّع في الشوارع وعلى الجادّات.
عندما تسير في الشارع، لا تنظر إلى ما حولك.
كن متواضعاً وأرِ مناظرك بأنك ترهبه.
إذا ما أظهرت له رهبةً، يرضى عنك.
[......]
هل ستصل إلى النجاح، لو أنك تتسكّع
في الحدائق العامة؟
تمثّل بالأجيال السابقة. واظب على بيت ـ اللوحات
لكي تستفيد منه.
تمثّل بالأجيال السابقة، استعلم عنها.
أنت المنحرف الذي عليّ مراقبته[....]
لن أكون رجُلاً إذا لم أراقب ولدي[...]

لقد استجوبت من هم حولي، وقارنت بين الأبناء
فلم أجد بينهم أي واحد مثلك.

ما أنقله إليك، يحوّل المجنون إلى عاقل.
ويشلّ حركة ثعبان كما يفعل السحر،

ويحُول دون تصديقك الكلمات الكاذبة.
ولأنَّ قلبي بسببك ملأه اليأس،
ابتعدت عنك ولم أعر اهتماماً لمخاوفك،
ولدمدمات تذمّرك. وبسبب صراخك،
نعم بسبب صراخك، حنقت عليك.
ولأنّك لم تسعَ لتتحلَّ بصفات الرجولة،
غضب قلبي وكأنّما حملته ريح عاتية.
لقد قضت عليَّ اتهاماتك،
وأنت تقودني إلى عتبة الموت.

لم آمرك في حياتي بحمل الحُزم من منابت الأسَلْ
ولم تمسس قط في حياتك حزم الأسَلْ
التي ينقلها الفتيان والصغار
أنا لم أقل لك مطلقاً «إتْبَعْ قوافلي»،
لم أكلّفك قطّ بأيِّ عملٍ. ولم أطلب
منك حراثة حقلي.
لم أقل لك في حياتي «إذهب واتّخذ
عملاً لكي تعيلني».
كثيرون غيرك يقومون بأودِ أهلهم
من وراء عملهم.

إذا ما تحدّثتَ إلى رفقائك، واعتبرتَ
وضعهم فقد تقبل تقليدهم:
كل واحد منهم يكسب عشر جورات[1]
من الشعير.
حتى الأطفال الصغار يقدّمون
عشر جورات شعير لأبيهم.
إنهم يضاعفون شعير أبيهم،

---

(1) الجور (Gur) حجم يعادل حوالى ٢٥ هكتوليتر.

يموتونه بالشعير والزيت والصوف
أما أنت، فلست رجلاً
إلاّ عندما تظهر روح المعارضة.
ولكنّك إذا ما قورنت بهم
فلستَ رجلاً أبداً.
أنت حَتْماً لا تعمل مثلهم[....]
إنهم أبناء لآباء يجبرون أبناءهم على العمل
أما أنا[...] فلا أطلب منك
أن تعمل مثلهم.
عنيدٌ هو الذي أنا غاضب عليه
أي رجلٍ يمكنه أن يغضب حقاً على ولده؟
[....]
تحدَّثتُ إلى من هم حولي،
واكتشفت أمراً لم أكن ألاحظه قبل الآن.
الكلمات التي سوف أردّدها،
فلتوقظ فيك خشيتك وحذرك.
أنت لا تعير اهتماماً لزميلك في الدراسة،
لرفيقك في العمل[...]
لماذا لا تتّخذه مثالاً لك؟
صديقك ورفيقك لا يثير اهتمامك
لماذا لا تتّخذه مثالاً لك؟[...]
امتثل بأخيك - الأكبر.
بين جميع المهن البشرية التي وُجدت على الأرض
والتي عيّنَ الإلّه إنليل أسماءها،
لم يسمِّ أية مهنة أصعب من فنّ الكتابة.
لأنه إذا لم تكن الأغنية (الشعر)[...]
شبيهة بشاطئ البحر، بضفّةِ التُرع البعيدة،
قلب الأغنية البعيدة[...]
فإنك لن تعير إلى نصائحي أذناً صاغية
ولن أكرر أمامك حكمة أبي:

امتثالاً لأوامر انليل، على الابن أن يتبنّى
وأن يرث مهنةَ أبيه.

أما أنا، فالعذابُ يساورني، ليلَ نهار،
إنّك تبدّد وقتك في الملذّات.
أنتَ جمعت ثروات كبيرة،
ونَمَوْتَ لتصبحَ سميناً وكبيراً وعريضاً
وقوياً ومتكبراً.
لكنّ ذويك يتوقعون أن تبتليك المحن،
وإذا ما اغتبطوا لذلك،
فلأنك تهمل تنمية الفضائل الإنسانية.

يلي ذلك مقطع صعب الفهم من ٤١ سطراً، يشتمل على ما يظهر تحديد أمثال وحكم قديمة. وينتهي النصّ بمباركة الأب لابنه:

الذي يوبّخك، يطلب من إلّهك نانّا[١] أن يحفظك،
والذي يتّهمك، يطلب من إلّهك نانّا أن يحميك.
فليكن إلّهك راضياً عنك
ولتتذكّى مزايا الرجولة فيك
ولتكن أول حكماء المدينة،
وليردّد مواطنوك اسمك في المقامات العالية
وليطلق عليك إلّهك اسماً مختاراً
وليكن إلّهك نانّا، راضياً عنك
ولتكن الإلّهة نينجال[٢] بجانبك.

---

(١) نانا (Nanna) الإلّه القمر في أور.
(٢) (Ningal) بمعنى السيدة السامية.

(٩٨) ـ أدب المنافسات
ودوره التعليمي

١ ـ تضمن الكتاب الثاني[١] الإشارة إلى نصوص المنافسة أو المواجهة بين طرفين يحاول كل منهما الإشادة بدوره وبأهمية هذا الدور، وكان ذلك بمناسبة عرض نصوص البدء والأصول حين كانت هذه النصوص تعود إلى البدء لإعلامنا كيف أتى إلى الوجود كل من الطرفين المتنافسين.

كما أشرنا في تلك المناسبة بأن قصائد المنافسة، لم تكن شكلاً أدبياً مجانياً، بل كانت أسلوب بحثٍ ومحاكمة عقلية، ونضيف هنا بأن لتلك المحاكمات التنافسية دورها التعليمي والتربوي في آنٍ واحد، وبشكل خاص حين تتدخل حكمة الإلّه بين المتنافسين لتقول كلمتها: كلمة الفصل.

٢ ـ ومن المفيد الإشارة إلى أنّ السومريين أطلقوا هم أنفسهم على هذا الإنتاج الفكري تسمية معبّرة وهي: آدامان ـ دوجار[٢] وفي هذه التسمية فإن (دوجا) معناها: الكلام، أما (آدامان) فتكتب سومرياً باستعمال الرمز المعبّر عن «رجل» مضاف إليه الرمز نفسه بشكل معكوس، وهذا ما يوحي فعلاً بخطاب المواجهة الكلامية بين كائنين.

٣ ـ لقد أورد الكتاب الأول بإسهاب نص المنافسة بين الراعي والفلاح[٣]، أي بين

---

(١) الفصل الأول ـ الفقرة (١ ـ ٣) آ.
(٢) (Adaman-Dougar).
(٣) النص رقم (١١).

دوموزي[١] الراعي، وانكيمدو[٢] الفلاح كمدخلٍ لأناشيد الحب بين دوموزي وإلّهة الخصب إنانا[٣]. كما أشار الكتاب الأول إلى خلق إلّهتي الماشية والحبوب[٤] واستكمل منافستهما في الكتاب الثاني[٥].

وبين أخوين هما: إيميش (الصيف)[٦] وإينتين (الشتاء)[٧] قامت منافسة، نقدمها هنا، بعد أن كان الكتاب الأول قد أشار إلى دور كل منهما بالنسبة لحياة البلاد[٨] وروى الكتاب الثاني كيف عمد الإلّه إنليل إلى خلقهما[٩].

٤ ـ كما نقدّم أيضاً وقائع منافسةٍ ثانية عن نص أكادي، وهي التي قامت بين شجرتين: شجرة النخيل وشجرة الطّرْفاء.

وبإثبات هذين النصين، تتضح أكثر فأكثر الفكرة من هذا النوع من الإنتاج الأدبي، كمايتّضح دوره في تسهيل فهم مزايا وخصائص الطرفين المتنافسين. وسواء أتمّ تداول هذه النصوص في «بيوت ـ اللوحات»، أي في مدارس سومر وآكاد، أم في «مجالس المناظرات» بين حَفَظَة النصوص، فإن لذلك دوراً تعليمياً أكيداً. ونقدّم هاتين المنافستين كما يلي:

(٩٨ ـ آ) المنافسة بين الصيف والشتاء.

(٩٨ ـ ب) المنافسة بين شجرة النخيل وشجرة الطرفاء..

---

(١) (Dumuzi).
(٢) (Enkimdu).
(٣) (Inanna).
(٤) النص رقم (٧).
(٥) النص رقم (٤١).
(٦) (Emesh).
(٧) (Enten).
(٨) النص رقم (٨).
(٩) النص رقم (٣٨).

(٩٨ ـ آ) المنافسة بين
الصيف والشتاء

١ ـ وصلنا هذا النص، الذي يعود إلى بداية الألف الثاني لما قبل الميلاد، في اثني عشرة نسخة مختلفة ومتفاوتة التشويه. وقد أمكن من مجمل محتوى هذه النسخ، التعرّف على أنّه يبدأ بإعلامنا كيف عَمَد الإله إنليل[١] إلى خلق الزمن الملائم معداً بذلك لدورة تتالي الشتاء الرطب والمخصب والصيف المنضج والجاف. وهكذا، وبما أن ذلك تمّ في أزمنة البدء، فقد تمّ ذلك في حين لقّح إنليل المنطقة الجبلية وأخصبها فولدت التوأمين «الصيف والشتاء» ثروة البلاد. وحدّد لكل منهما دوره في كل من مجالي الإنتاج الحيواني والزراعي وذلك لتأمين الوفرة في البلاد.

٢ ـ وبعد أن قام كل منهما بدوره، توجها معاً نحو إنليل في نفر[٢] حاملين إليه قرابينهما واختلفا أثناء الرحلة لمعرفة أيهما أفضل[٣] فيقدم كل منهما حججه للدفاع عن رأيه إلى أن يصلا أمام إنليل الذي يفصل بينهما ويتخذ قراره بصددهما، «فسكبا معاً القربان المقدس وتعاهدا على أن يعملا معاً[٤] بحكمةٍ وطيب».

---

(١) (Enlil) سيد مجمع الآلهة في سومر وهو سيد الهواء والأمطار.

(٢) نفّر (Nippur) مدينة إنليل وهي العاصمة الدينية القديمة لبلاد سومر تقع على بعد (٨٠ كلم) إلى الجنوب الشرقي من بابل.

(٣) في هذه المنافسة وكذلك في المنافسة بين الراعي والفلاح، أساس قصة قابيل وهابيل التوراتية.

(٤) النص السومري تبنّى الوفاق بين الأخوين، بينما أدت المنافسة التوراتية إلى الجريمة الأولى.

برنامج إنليل لخلق الزمن الملائم وتنفيذه

1 جعل نونّامنير[١] نفسَه في حالةٍ
تخوله خلق الزمن الملائم
وفي ما يتعلّق بالعالم[٢] الذي سيكوّنه،
أعدّ (إنليل) برنامجاً، سوف
تستفيد منه جموع البشر.
ثم مثل ثورٍ شامخ، وضع على الأرض رجله
11 إذ قرر سيّد الكون
4 أن يخلق اليوم ـ الملائم ـ الفائق الخصوبة
5 والليل ـ الملائم ـ الجزيل الوفرة.
ولكي يجعل الكتّان ينمو كثيفاً وينشرَ
الشعير في كل مكان،
لكي يضمن حدوث الفيض على جميع الضفاف،
وينشر الخصب[. . .]،
بحيث يحبسُ الصيفُ الأمطارَ
10 وبحيث يزوّد الشتاءُ الضفافَ بالماء المخصب،
12 لذلك عمد (إنليل) إلى غرس قضيبه
في المنطقة الجبلية الرحبة،
وقدّم لقمّة الجبل «هديته»[٣].
حبلت قِمّةُ الجبل بالصيف والشتاء ثروة البلاد.
والمكان الذي غرس فيه إنليل قضيبه
جعله مثل الثور، يخور لذّة!

---

(١) (Nunnamnir) لقب الإله إنليل.
(٢) المقصود هنا بلاد ما بين النهرين.
(٣) أي هدية العرس.

على الجبل، ودونما حركة، قضى نهاراً بكامله
وركب القِمّة أيضاً ليلة كاملة:
وهكذا وكما يُستخرج الزيت الناعم،
جعل قِمّة الجبل تتمخّض بالصيف والشتاء،
وقد تركهما مثل عجلين أرْخُصَيْن،
يقضمان عشب الجبال،
حتى أنّهما ازدادا سمنة، وأصبحا قويين،
بغذاء المراعي الجبلية.
[....]

(تتابع هذا النص عن نسخة أخرى تشير إلى كل من الصيف والشتاء بإسميهما إيميش[1] وإينتين[2] وتصف مهمة كل منهما):

ما حققه الشتاء

«إينتين كان يجعل النعاج والماعز تلد صغارها.
كثّر البقرات والعجول ووفّر بسخاء السمن واللبن
وفي السهوب، جعل البهجة تعمّ العَنْز البرّي والأرويّات
والحمر الوحشية!
ووزّع أعشاش الطيور على كامل الأرض الفسيحة
وجعل الأسماك تضع بيوضها في (هور) القصب!
وفي مزارع النخيل والكروم، ضاعف الحلاوة والخمرة!
غطّى بالخضرة البساتين، وجعل زروعها تتكاثر.
كما ضاعف عشر مرّات الحبّ في الأثلام.
وجعل أشنان[3] تنمو بشكل رائع كفتاةٍ جذّابة.

---

(١) (Emesh): الصيف.
(٢) (Enten): الشتاء.
(٣) (Ashnan) آلهة الحبوب وهنا بمعنى الحبوب.

ما حققه الصيف

أمّا إيميش، فقد نمّى الأشجار والزروع ووسّع المذاود والحظائر!
وضاعف إنتاج المزارع وغطّى الأرض بالـ [. . .]،
كما أتى بحصادٍ «غني» ليُكدّس في العنابر،
ودفع إلى بناء المساكن والتجمعات السكنية وإلى
إشادة البيوت في كل مكان[1]،
وإلى إقامة معابد تضاهي الجبال في شموخها! . . .»

توجّه الأخوان إيميش وإينتن نحو مدينة نفّر وكل منهما يحمل لإنليل تقدمات من إنتاجه، ولكنهما اختلفا أثناء الطريق:

[. . . . .]
وعامل الصيف الشتاء وكأنّه عدو
ورفض السّيرَ إلى جانبه
الشتاء. . . . فقد
وبدأ بالشجار مع الصيف

وأخذ كل منهما يشيد بميزاته وبفضائله كدليل على تفوّقه. فيقول الشتاء:

عندما الملك [. . . .] إيبي ـ سين[2]
الإلّهي [. . . .]
[. . .] مرتدياً ثوبه الملكي بزينته الاحتفالية،
لإقامة الطقوس في عيد الآلهة [. . . .]
عند ذلك، أنا هو المكلّف بإعداد الزبدة اللذيذة!

ولكن الصيف يردّ، منتقداً الإزعاج وعدم الراحة اللذين يسببهما الشتاء:

[. . . . .] فأجاب الصيف الشتاء:
شتاء! يا أخي، من فَضْلِكَ
تلتفّ الغيوم الكثيفة [. . . .]

---

(١) أعمال البناء التي كانت تنجز خلال فصل الصيف.
(٢) (Ibbi-Sin) حكم خلال ملكية أور الثالثة حوالي (٢٠٢٩ ـ ٢٠٠٦) ق.م. وبذلك تتحدد فترة تأليف هذا الجزء من النص.

وفي قلب المدينة تصطك الأسنان،
حتى في وسط النهار لا يجرؤ أحدٌ
على الخروج إلى الشارع.

وفي النهاية يصل المتنافسان أمام إنليل، ويحتكمان إليه. يتوجّه الصيف إلى الإلّه إنليل مادحاً وكان توجُّه الشتاء إليه أكثر مباشرة. ويتخذ إنليل قراره بصدد الخلاف على هذا الشكل:

إنليل أجاب الأخوين الصيف والشتاء (قائلا):
الشتاء يسهر على المياه التي تمنح للبلاد الحياة.
إنه فلاّح الآلهة الذي يجعل الشعير ينمو بكثرة،
أيها الصيف يا بنيّ! كيف يمكنك
أن تقارن نفسك بأخيك الشتاء؟

وقَبِلَ الأخَوَان قرار إنليل وتمّت المصالحة[1]:

فكانت كلمة إنليل الممجّدة
ذات المغزى العميق.
وقُبِلَ القضاء الذي لا يُبدّل
فمن ذا الذي يغيره؟
فركع إيميش إزاء إينتين [. . .]
وسكبا معاً القربان المقدّس
بأخوّةٍ وصداقة
وتعاهدا بأن يعملا معاً
بحكمةٍ وطيب [. . .]
فسبحانك أيها الأب إنليل!.

(١) نقتطف هذه الخاتمة عن مجلة سومر (ج٢، المجلد الخامس، لعام ١٩٤٩).

(٩٨ ـ ب) المنافسة بين شجرة النخيل وشجرة الطرْفاء

١ ـ أعلمنا الكتاب الأول، من ضمن قصيدة «قصاص بستاني أنكي»[١] كيف بواسطة غراب يقوم بعمل رجل، تمكّن الإلّه أنكي، من خلقِ شجرة النخيل التي عدّد النص منافعها كما يلي:

هذه النخلة، وليدة مجرى الماء
الشجرة الأبديّة، لم يشهدها قبلاً أحدٌ قطّ!
لسانها [. . .] سوف يمنحنا لبّاً
ومن لحيتها ذات الألياف سوف تنسج الحصر
والركّزات المحيطة بها سوف تستعمل كمساطر ـ قياس.
مباركٌ هو وجودها في الأرض الملكية
وأقراط تمورها بين سعفها الكثيفة
سوف توضع كتقدمات،
في معابد أعظم الآلهة!

٢ ـ ونص المنافسة الأكادي الذي نحن بصدده يتابع تعديد منافع شجرة النخيل مقارنة بمنافع شجرة الطّرْفاء، وقد وصلنا وفق نسختين مستقلّتين نثبتهما فيما يلي:

---

(١) النص رقم (١٠) من الكتاب الأول.

[......]

3 [فتحت] شجرة الطَّرْفاء[1] فمها (قائلة لشجرة النخيل):
«جسدي مقارنةً بجسدك [هو...]
5 وأغصاني النطاقيّة ـ التعريش جَليلة الفائدة، وأنتِ[...]
أنتِ مثل أمَةٍ تخون[2] سيِّدتها».
وبكبرياء، أجابت شجرة النخيل:
«قرونٌ بذوركِ المعلَّقة[...]
عندما نتوجَّه نحو إلّه [فجسدك]
[يصلح فقط] ضدّ الدَّنَس[3]
10 والطَّرفاء تجهل ما هو الأفضل بين الـ[...]
أو الأفضل بين [...]»
كما سبق[4]، (تكلَّمت الطرفاء): «أنا أفضل منكِ،
أنا سيِّدة كل صنعٍ يدوي. الفلا[ح...]
كل ما لديه الفلاح يقطعه من عقفات
أغصاني [...]
إنَّه يصنع (مقبض) مجرفته من جذعي، وبواسطة
المجرفة المصنوعة بالاعتماد عليّ،
يفتح قناة الريّ لكي يصل الماء إلى الحقل
أنا لديّ[...]

---

(١) شجيرة غير مثمرة تزيينية وتظليلية، ذات أوراق صغيرة وأزهار عنقودية ذات لون زهري، لخشبها استعمالات يشير إليها النص.
(٢) بمعنى أن شجرة النخيل العالية لا تستر سيدتها عن الأنظار.
(٣) تستعمل أغصان الطرفاء في تطهير المعابد.
(٤) يستعمل الناسخ التعبير السومري الذي يعني «كما سبق» أو كما تقدم لكي لا يكرر ما ورد في السطر الثالث، أي: «فتحت شجرة الطرفاء فمها قائلة.....».

15 وبسبب رطوبة التربة، فإنَّ الحبَّ[. . .]
[. . . .]
أنا أدرس وأفصل الحبَّ، وبالنسبة
لما يجعل الشعب ينمو، أنا أدرس.

17 كما تقدم (أجابت شجرة النخيل): أنا أفضل منك
أنا هي سيِّدة كل صنعٍ يدوي. الفلاح [. . .]
كل ما لديه (الفلاح): الأعنّة والأسواط والحبل
من أجل القَرْن ومحرا[ث ـ البَذْر]،
وتجهيزات الإسراج[. . .] الحبل من أجل [. . .]
والشبكة من أجل العربة [. . .]

20 [. . .] تجهيزات الفلاح، كلها منه، [. . .]
[. . . . .]».

كما تقدّم، (تكلّمت شجرة الطرفاء): فكّري بالتجهيزات
المصنوعة بواسطتي في قصر الملك. ماذا [. . .]
[في] قصر الملك، يأكل الملك في صحن مصنوع منّي
[وتشرب الملكة] في كوب مصنوع منّي.
وبملعقة مصنوعة منّي يأكل المحاربون، وبوعاءٍ
مصنوعٍ منّي [. . .].
ويَستخرج الخبّاز الطحين. أنا عاملة نسيج،
[التقط] الخيط (وهكذا)

25 أنا التي أكسو الناس [. . .]
الـ [. . .] العائد للإلّه. أنا معوّذة رئيسة
و(بالطقوس) أجدّد[1] المعبد. [أنا]
حقاً شيء ذو قيمة.

---

(١) بمعنى أعيد إلى المعبد طهارته.

[ولا] مثيل لي.

ظهر اللوحة

1 كما تقدم (شجرة النخيل قالت): في مكان التقدمة للإله
سين [...] سين الكريم [...]
لا يستطيع الملك تقديم قربانه السائل، في أي
مكانٍ إن لم أكن حاضرة، في [...]
تُؤدّى الطقوس بمرافقتي، وسُعفي مكدّسة
على الأرض... [...].
وكذلك فالنخيل هو أيضاً صانع جعة؛... [...]
5 كما سبق (تكلّمت شجرة الطرفاء): «تعالي، ودعنا نذهب
أنا وأنت إلى مدينة كيش[1]. [...]
هناك دلائل عنّي حيث يعمل التلميذ.
الـ [...] ليست مليئة [بـ... و]
ليست مليئة بالبخور. فالقاديشتو[2] تنثر
الماء و[...]
وتأخذ [الـ...] ويتعبّدون ويقيمون احتفالاً.
عند ذلك [...]
إنّه من أجل يد الجزار وتحرّكاته(؟).. [...]
10 كما تقدم (تكلّمت شجرة النخيل) تعالي لنذهب
أنا وأنتِ إلى مدينة [...]
حيث توجد الخطايا، هناك عمل من أجلك
أيتها الطرفاء. (أمّا أنا) فالنجّار بـ [...]

---

(١) (Kish) إحدى ممالك ـ المدن التي تضاهي بقدمها مدينة أوروك (Uruk) تقع على مقربة من بابل.

(٢) (Qadishtu) من مكرّسات المعبد.

إنه يحترمني ويمتدحني يومياً.
(تكلّمت شجرة الطرفاء قائلة): «من [. . .] الذي
أنا أحلى. (عندما) [يستعمل] الراعي عصيّ جوائزه الكبيرة [مني][1]،
ويوزّع الـ [. . .] مثل عامل القصب الذي [. . .]،
سوف ابتهج، وأنا في تفوّق قوّتي [. . .]
لأنني بذلك أعلمتك بأمرِ فعليّ.
كبير القوة[. . .].
(تكلّمت شجرة النخيل قائلة): «أنا أفضل منكِ،
ست مرات أنا أتفوّق (عليك) سبع مرّات أنا [. . .]
أنا التي أتبادل الدور مع إلّهة الحبوب
ولثلاثة شهور [. . .]
فإنّ الفتاة اليتيمة والأرملة والرجل الفقير [. . .]
يأكلون ثماري الحلوة، دون حساب
(بقية النص مشوّهة أو مفقودة).

النسخة الثانية

منذ أيام عديدة، ومنذ سنين بعيدة مضت،
قام مقرّرو المصائر[2] بحفر مجاري الأنهار؛
ثم عقد آلهة البلاد آنو وإنليل وإيا[3]
مجلساً
إنليل وبقية الآلهة تشاوروا
ومعهم كان جالساً الإلّه شمش

(١) من المرجح أن شجرة الطرفاء تقصد هنا مساهمة أغصانها القوية في سقف كوخ الراعي.
(٢) المقصود: هم الآلهة بدون تحديد.
(٣) (Anu) إلّه السماء؛ (Enlil) سيد الهواء والأمطار؛ (Ea) إلّه الحكمة والمعرفة ومهارة الصنع وهو أنكي (Enki) السومري.

والسيدة العظيمة بين الآلهة، كانت
معهم جالسة.
في ذلك الزمن، لم تكن في البلاد ملكية
كانت الريادة بيد الآلهة
(سطران ناقصان)
11 غرس الملك نخلةً
نخلة في قصره
ومعها غرس [...] شجرة طرفاء
وفي ظل الطرفاء أقيمت مأدبة
15 وفي ظل شجرة النخيل [...]
(نقص سطرين)
(عند) افتتاح [...] طريق الملك.
19 شجرة النخيل وشجرة الطرفاء [تخاصمتا]
18 تبادلتا فيما بينهما الشتائم؛
20 هكذا (تكلّمت) شجرة الطرفاء: «أنا [...]
بشكل مهمّ للغاية.
(إجابة شجرة النخيل)
لئن كانت شجرة النخيل هي هكذا رائعة [...]
أنت أيتها الطرفاء شجرة لا نفع لها.
أيّ شيء هي أغصانك؟ إنها خشب فقط
دون أيّة ثمار
ثماري أنا هي [....]
(نقص السطر ٢٥)
26 البستانيّ يمتدحني،
لفائدتي لكل من المعبد والرجل الرسمي.
ثماري، تجمل الطفل ينمو،

والرجال البالغون، يأكلون أيضاً ثماري.
[. . .] يضاهي الملك [. . .]
(إجابة شجرة الطرفاء)
تجهيزات قصر الملك،
أية أشياء مصنوعة منّي تجدها في قصر الملك؟:
يأكل الملك من على طاولة صنعت منّي
ويشرب الملك من كوب مصنوع منّي
أنا عاملة النسيج التي ترص خيوط اللحمة.
أنا معوّذ رئيسي وأطهّر [البيت].
(بقية النص مفقودة).

(٣ ـ ٢) ـ الحكم والأمثال

١ ـ بدأت الطقوس الدينية في سومر وأكاد، بالتأسيس للعلاقة بين البشر والآلهة، ونتج عن ذلك، وبتفاصيل وافية أوضحها الكتاب الثاني من هذه المجموعة، بروز مفهوم إغضاب الإلّه أو الآلهة، والمحافظة على الطهارة، بدءاً بطهارة المعبد ووصولاً إلى طهارة القلب ونقائه. وصُنّفت الأعمال والنيّات، فمنها ما كان محبّباً للإلّه ومنها ما كان مكروهاً لديه، وهكذا ظهرت أهمية القيم وبدأت تترسّخ القواعد الأخلاقية وقواعد حسن التصرّف، تجاه الآلهة وتجاه مجتمع البشر.

٢ ـ وكما أصدر الملوك تشريعاتهم لتعميم العدالة وإزالة الظلم، كذلك كانت أقوال من عُرفوا بالحكماء، تمثّل شرعة النصائح والمثل التي أدّت إليها التجربة البشرية، بنتيجة التعامل في المجتمع والحسّ السليم ورصد ردود الفعل، فقال الحكماء كلمتهم في ما يحسن عمله وما لا يحسن عمله.

وفي الوقت نفسه، كانت الأمثال التي هي سهلة التداول، تعلّم الشعب وتمثّل الحكمة الشعبية. ولا تزال مجتمعاتنا حتى اليوم، تلجأ إلى مثلها، وسوف نعجب في سياق هذا العرض حين نكتشف أننا لا نزال نكرّر حتى اليوم أمثالاً عرفتها بلاد سومر وآكاد، منذ تلك الأزمنة السحيقة البعد.

٣ ـ لقد وصلنا عدد كبير من الحكم والأمثال بدءاً من الفترة السومرية. وكانت كما أسلفنا، بمثابة مدرسة المجتمع، التي لم تعلّم فنّ الكتابة كما في «بيت اللوحات»، ولكنّها رسّخت فنّ حسن التصرف ورسّخت قواعد أخلاقية ومارست على مجتمعها نظرة ناقدة، جدّية أحياناً وساخرة أحياناً أخرى.

وأبرز نقدٍ للمجتمع، وصلنا في نصّ «تناقضي» يمثل عبداً لا تنقصه الحكمة، يأتمر بما يمليه عليه سيِّده، الغنيّ الذي لا يعرف كيف يتصرَّف بوقته أو بماله أو بمعنى حياته. ونعرض هذا النص، قبل عرض مجموعات الحكم والأمثال، وفق الترتيب التالي:

النص رقم (٩٩): بين السيد والعبد: من هو صاحب الحكمة؟

النص رقم (١٠٠): الحكم والأمثال السومرية.

النص رقم (١٠١): حِكَم وأمثال أكادية.

النص رقم (١٠٢): حكيم ينصح ولده.

(٩٩) ـ بين السيِّدُ والعبد:
مَنْ هو صاحِبُ الحكمة؟

١ ـ أورد الكتاب الثاني في مجال عرض الثواب والعقاب، ومناقشة العدالة الإلّهية، نصّين مهمّين، يتعلّق الأول بقضية «العادل المعذّب» وردود فعله تجاه مسؤولية الآلهة عن مصائبه (النص رقم ٧٠)؛ واشتمل الثاني على حوارية بابلية حول العدالة الإلّهية (النص رقم ٧١).

ونصّ الحوار بين سيِّد وعبده، الذي نورده هنا، ليس بعيداً عن روح هذين النّصّين ولكنّه يختلف عنهما في لهجته وفي رؤيته الساخرة بالنسبة لمجتمع البشر.

٢ ـ يتألف نص السيِّد والعبد، من أحد عشر مقطعاً، يتراوح طول كل منها بين ستة أسطر وسبعة أسطر واثني عشر سطراً، نرى من خلالها، وعلى شكل حوار بين سيِّد وعبده، كيف يصدر السيِّد أوامره في بداية كل مقطع مُعْلِماً عبده بنيَّته القيام بعمل ما، طالباً منه الإعداد لذلك. وفي كل مرة، يوافق العبد مشجعاً سيِّده ويقدِّم الحجج التي تدعم قرار سيِّده، ولكن السيِّد يعدِّل رأيه في كل مرّة، ويرجع عن قراره الأول، ويحتجج معاكسة تماماً يوافقه العبد من جديد على نواياه.

وتتراوح قرارات السيِّد ونواياه بين الذهاب إلى القصر أو تناول الطعام والذهاب إلى الصيد أو الزواج، أو اللجوء إلى العدالة، أو الوقوع في حبِّ امرأة، أو إهمال الواجبات الدينية، أو توظيف الأموال أو الاهتمام بالأعمال الخيرية، كل هذه الاهتمامات، يستعرضها النص ويقدم عنها العبد آراءه، ببلاغة لا تخلو من السخرية ومن فلسفة اليأس والعبثية، إلى أن يصل الأمر بالسيِّد إلى التفكير بالانتحار، معلناً أنه سيبدأ بقتل عبده. وهنا أيضاً فإن إجابة العبد تحيل إلى العدم قرار سيِّده.

٣ ـ يطرح هذا النص جميع تساؤلاته ويطرح المشكلات التي تثيرها، ليبقيها في حالة التباس مقصود. وعلى هذا الأساس، لا يزال المعلقون حتى اليوم، يقدّمون التأويلات المختلفة حول مدلول هذا النص. فمنهم من يرى فيه، أن المؤلف أراد أن يثبت لنا، بالنسبة لكل شيء، أن هناك أسباباً للفعل، بقدر ما هناك أسباب لعدم الفعل، وأن الحياة لا جدوى منها، ووحده الموت هو الشيء الأكيد. لكن ماذا بعد الموت؟

بينما يرى آخرون في هذه الحكاية، صورة للتشاؤم واليأس ونوعاً من النقد الاجتماعي الساخر. ولا غرابة في ذلك، فبعض أجوبة العبد الوقحة أحياناً بالنسبة لسيّده والمتمرّدة على السلطة أحياناً أخرى، ترسم لنا مجتمعاً عبثياً، يقف فيه الغني متردّداً لا يعرف ما عليه أن يعمل بعطالته وتخمته، وعبده الذي لا يملك شيئاً يظهر وكأنه سيّد المواقف وفيلسوفها، ووحده صاحب كلمةٍ أراد المؤلف أن يكون العبد هو الذي يعبّر عنها.

٤ ـ وعلى الرغم من اختلاف الشكل، فإنَّ هذا النص، يذكّر هنا، بأقوال الحكيم اليائس الذي عبّر عنه سفر الجامعة التوراتي[١] مثال: «رأيت كل الأعمال التي عُمِلت تحت الشمس. فإذا الكل باطل وكآبةُ للروح»[٢] وكذلك: «ثم التفتُّ إلى جميع أعمالي التي عملت يداي وإلى ما عانيت من التعب في عملها، فإذا الجميع باطل وكآبةٌ للروح، ولا فائدة في شيء تحت الشمس»[٣]. وليست هذه، هي المرة الأولى التي يستوحي فيها نص توراتي، كتب حوالى ٢٥٠ ق.م، نصاً من بلاد ما بين النهرين أقدم منه بما يزيد عن خمسة قرون.

٥ ـ وبعد هذا التقديم العاجل للنص، نترك لهذه العلاقة بين السيّد والعبد أن تأخذ مجراها على شكل أوامر سيّد وطاعة عبدٍ ذكية، ثم أوامر معاكسة وطاعة لا تقل عنها ذكاءً. وكل ذلك في جو خاص من التهكّم والسخرية والنقد الاجتماعي مّما يمتاز به هذا النص.

---

(١) هذا الحكيم سمّي بالعبرية القوهوليت (Qoholet) بمعنى القوال أو المتكلم أمام المجموع بمعنى الواعظ.

(٢) سفر الجامعة (١: ١٤).

(٣) سفر الجامعة (٢: ١١).

المقطع الأول

1 [أيها العبد، تعال هنا وامتثل لأوامري!]
- نعم سيِّدي، نعم!
2 [أسرع، إذهب وأعدّ لي عَرَبة]
كي أذهب إلى القصر.
3 [- إذهب (إلى القصر) سيدي، إذهب!]
فستكون هناك فائدة لك.
4 الملك عندما يراك(؟)
سوف يرفع من شأنك[1].
5 [- إذن كلا يا عبد]
لن أذهب إلى القصر!
6 [- لا تذهب] سيدي، لا تذهب!
7 [الملك عندما يراك]، سوف يرسلك
[حيث لا ترغب بالذهاب(؟)]
8 يجعلك تتخذ [طريقاً] لا تعرفه
9 وليل [نهار] يريك الشدائد!»

المقطع الثاني

10 «أيها العبد، تعال هنا وامتثل لأوامري!
- نعم سيِّدي، نعم!
11 - أسرع، إذهب وآتني بماء لغسل يديّ، قبل تناول عشائي!
12 - تناول عشاءك سيِّدي، تناول عشاءك!
فالعشاء المتوازن، يبهج القلب[2]
13 [. . .] طعامُ إلّهة؛

---

(١) حرفياً: «يرفع وجهك».
(٢) حرفياً: «يمدّد القلب» وردت في أناشيد الحب (الكتاب الأول).

ويغسل اليدين (هكذا) تمرّ الشمس[1]
14 إذن، كلا يا عبد، بالنسبة للعشاء، لن أتناول عشائي
15 ـ لا تتناول عشاءك سيّدي، لا تتناول عشاءك.
16 فالأكل عند الجوع والشرب عند العطش. هذا هو الملائم للرجل!»

المقطع الثالث

17 «أيها العبد، تعال هنا وامتثل لأوامري
ـ نعم سيّدي، نعم!
18 ـ أسرع، إذهب وأعِدَّ لي عَرَبة كي أذهب إلى الصيد!
19 ـ إذهب سيدي، إذهب!
فالرجل الذي يجول في البراري، يملأ جوفه؛
20 والكلب الذي يصطاد،
يجد لديه عظاماً «يقضمها»؛
21 الغراب الذي يجوب البرّيّة يبني عشه.
22 الحمار الذي يجري في كل مكان،
يرعى عشب السهوب، قدر ما يشتهي؛
23 ـ إذن، كلا يا عبد
أنا لن أذهب إلى الصيد!
24 ـ لا تذهب يا سيدي، لا تذهب!
25 فالرجل الذي يجول في البراري
يُختلُّ عقله
26 والكلب الذي يصطاد
عاجلاً ما تتكسر أسنانه
27 والغراب الذي يجوب البرية

---

(١) أي يمضي الوقت.

ليس عشه سوى [ثقب في جدار]

28 والحمار الوحشي الذي يعدو في كل مكان،

(وحدها) الصحراء، هي ملاذه.

المقطعان الرابع والخامس:

تم إهمال المقطعين الرابع والخامس المتعلّقين الأول بالزواج والثاني بالعدالة، بسبب التشويه وبسبب خلط الناسخ بين محتوييهما.

المقطع السادس

39 «أيها العبد، تعال هنا وامتثل لأوامري!

ـ نعم سيدي، نعم!

40 ـ أريد القيام بثورة

ـ افعل ذلك سيدي، افعل ذلك!

41 إذا لم تقم بثورة، فماذا

سيكون لديك لتكتسي؟

24 ومن سيقدم لك ما تملأ به جوفك؟

43 ـ إذن، كلاّ يا عبد، أنا لن أقوم بثورة

ـ (لا تقم بثورة يا سيّدي، لا تقم بثورة)[1].

44 الرجل الذي يقوم بثورة،

إما أن يُقتل أو يتم سلخه

45 وإمّا أن تقتلع عيناه أو يتمّ توقيفه ويرمى في السجن!»

المقطع السابع

46 «أيها العبد، تعال هنا وامتثل لأوامري!

ـ نعم سيّدي، نعم!

47 ـ أريد الوقوع في حبٍّ امرأة

---

(١) هذا السطر تم نسيانه من قبل الناسخ.

ـ أحِبّ يا سيّدي، أحِبّ!

48 فالرجل الذي يحب امرأة
يتسى القلق والهموم.

49 ـ إذن، كلا يا عبد،
أنا لن أحبّ امرأة!

50 ـ لا تحبّ يا سيّدي، لا تحبّ!

51 المرأة بئر، نعم بئر،
هي صهريج، هي حفرة،

52 المرأة خنجر حادّ
يقطع رقبة الرجل.

المقطع الثامن

53 «أيها العبد، تعال هنا وامتثل لأوامري!
ـ نعم سيّدي، نعم!

54 ـ أسرع، اذهب وأحضر لي ماء
لغسل يديّ،

55 أريد تقديم قربان لإلّهي
ـ قدِّم يا سيّدي، قدِّم!

56 الرجل الذي يقدِّم قرباناً لإلّهه
يرتاح قلبه.

57 ويضمن لنفسه أجراً فوق أجر!

58 ـ إذن، كلا يا عبد،
أنا لن أقدم قرباناً لإلّهي!

59 ـ لا تقدم قرباناً يا سيدي، لا تقدم!

60 لأنك بذلك سوف تُعَوِّد[١] إلّهك

---

(١) حرفياً: تعلم إلّهك والإلّه المقصود هنا هو الإلّه الشخصي.

على اللحاق بك أنى ذهبت. مثل كلب،
61 ليسألك قائلاً «أقم طقوسي»، أو
«لِمَ لَمْ تستشر إلهتك؟»
أو يسألك أيَّ شيءٍ آخر

المقطع التاسع

62 «أيها العبد، تعال هنا وامتثل لأوامري!
ـ نعم سيّدي، نعم!
63 ـ أريد استثمار[١] أموالي!
ـ استثمر أموالك سيدي، [استثمر أموالك!]
64 الرجل الذي يستثمر ماله، يحافظ على ماله[٢]
ويضاعف فوائده!
65 ـ إذن، كلاّ لن أستثمر أموالي!
66 ـ لا تستثمر أموالك سيّدي، لا تستثمر أموالك!
67 توظيف المال ممتع مثل حبّ امرأة
ولكن استعادته هي بصعوبة الولادة![٣]
68 سوف يُلتهم مالك،
ودون أن يُكفّ عن لعنِك،
69 سوف تفقد كذلك فائدة مالك!

المقطع العاشر

70 «أيها العبد، تعال هنا وامتثل لأوامري!
ـ نعم سيدي، نعم!

---

(١) حرفياً: أريد تسليف أموالي كدائن.
(٢) التعبير المستعمل هو «حبُه» وكذلك فيما بعد ضمن المقطع ذاته. ومن المفيد الإشارة إلى أن اللغة الفرنسية الدارجة تستعمل اليوم تعبير «قمحه» عوضاً عن ماله.
(٣) ورد أيضاً كمثلٍ أكادي مستقل في (النص ١٠١).

71 ـ أريد تنفيذ عمل مفيد لبلدي!
ـ إفعل ذلك سيّدي، [إفعل ذلك!]
72 الرجل الذي ينجز عملاً مفيداً[١] لبلده
73 تسجّل أعماله الحسنة في «سجل»[٢] مردوك
74 ـ إذن، كلا يا عبد،
أنا لن أنجز عملاً مفيداً لبلدي!
75 ـ لا تنجز ما يفيد بلدك سيّدي،
لا تنجز ما يفيد بلدك!
76 إصعد إلى تلال أنقاض الماضي المتراكمة،
وتجوّل فيها؛
77 تأمّل فيها الجماجم المختلِطة
للفقراء والأعيان:
78 أيهم عمل خيراً وأيهم عمل شرّاً»![٣]

المقطع الحادي عشر

79 «أيها العبد، تعال هنا وامتثل لأوامري!
ـ نعم سيّدي، نعم!
80 ـ ما هو إذن العمل المناسب؟
هل هو كسرُ رقبتي ورقبتك
81 أم الارتماء في النهر؟
هل هذا ما هو مناسب؟
82 ـ من له إذن ما يكفي من العلوّ
لكي يبلغ السماء؟

---

(١) نسخة بابلية ثانية تحمل تعبير: «أريد أن أوزع بسخاء هبات غذائية في بلدي».
(٢) تعبير تقريبي أشار إليه عالم الأكاديات بمعنى سجل مكافآت الإلّه مردوك.
(٣) ورد بشكل مستقل في الأمثال الأكادية (النص ١٠١).

83 ومن له في الاتساع ما يكفي
لكي يحتوي الأرض كلَّها؟
84 إذن، كلا يا عبد!
أريد قتلك وجعلك تذهب قبلي!
85 ـ نعم سيدي، لكنّك
لنْ تعيشَ بعدي، ثلاثة أيام!»

(١٠٠) ـ الحكم والأمثال السومرية

١ ـ أقدم ما نشر عن الحكم والأمثال السومرية، كان في عام ١٩٣٠ وتضمن أمثالاً تم كشفها في مدينة نفّر، تعود إلى القرن الثامن عشر لما قبل الميلاد.

وبدءاً من عام ١٩٣٧ بدأ الاهتمام بالتفتيش عما يمكن تتبّعه حول هذا الموضوع بين مقتنيات متحفي فيلادلفيا واستنبول، وأمكن التوصل إلى أكثر من ١٢ مجموعة مختلفة، بعضها كان يحتوي على عشرات الأمثال وبعضها الآخر على عدّة مئات. وتمّ نشر مجموعتين شملتا حوالي ٣٠٠ مثلاً.

٢ ـ وقبل أن نقدم أمثلة عن هذا النوع من الإنتاج الفكري السومري يمكننا القول بأن الحكم والأمثال السومرية، لها أكثر من أي إنتاج آخر، الطابع الإنساني المنفتح، الذي يتعدى حدود منطقةٍ ما أو حضارة شعبٍ ما، لأنه يمثل كل إنسان في كل مكان ولا يفقد من «نكهته» ومن حيويّته، أو دقّة ملاحظته في حكْمِهِ على المجتمع وعلى تصرّفات الناس في مختلف المجالات.

٣ ـ وفيما يلي بعض الأمثال السومرية التي نثبتها تحت عناوين قصيرة تقدّم لها.

• الرّجل الفاشل يقول

«وُلِدْتُ في يومٍ مشؤوم».

• لكل شيء سببه

هل نرزق الأولاد بدون مضاجعة؟

وهل نسمن دون أن نأكل؟

* الرجل الذي يجلب الشؤم

إنْ وضعوك في الماء، تُفسده!
وإن دخلت بستاناً، أتلفت ثماره!

* بين التبذير والاقتصاد

نحن محكومون بالموت، فلنبذِّر
علينا أن نعيش طويلاً، فلنوفِّر.

* عجز الإنسان

الشعير الأوليّ سيكون وافراً؟ - أنّى لنا أن نعلم؟
الشعير الآخري سيكون وافراً؟ - أنّى لنا أن نعلم؟

* تعاسة الفقير

موت الفقير أفضل له
إنْ كان لديه خبز فليس لديه ملح،
وإنْ كان لديه ملح فلا خبز لديه،
وإنْ كان لديه لحم فليس لديه خردل،
وإنْ كان لديه خردل فلا لحم لديه!

* الفقراء الصابرون

الفقراء، هم الذين يلوذون بالصمت في سومر.

* الفقير واستحالة التوفير

يقضم الفقير ماله
ثمّ يستدين ليغرقَ في الهمّ.

* الفقير والإباء

ليست جميع البيوت الفقيرة

متساوية في الخضوع.

* همّ من يملك[1]

الرجل الذي يملك كثيراً من المال
هو سعيد بدون شك،
والرجل الذي يملك كثيراً من الشعير
هو سعيد بدون شك،
ولكن الذي لا يملك شيئاً
يستطيع النوم.

* الإمكانيات المبدّدة

أنا حصانُ سباقٍ أصيل
ولكنني كُدِنْتُ مع بغل
كي أجرّ عَربة،
وأنقلَ رزم القصب والقش.

* المظهر الخارجي

يتودّد الجميع للرجل الحسن الهندام.

* الخادم المتعلم[2]

هذا الخادم تعلّم حقاً السومرية.

* الكاتب الماهر

الكاتب الذي تتحرك يده بالسرعة
التي يملي فيها عليه الفم
هو كاتب جدير بهذا الاسم.

---

(١) «من يضاعف ممتلكاته، يضاعف همومه» (تلمود).
(٢) قد يكون هذا الخادم من المتعلمين اللذين سبق أن أرهقته الديون وفقد كل شيء فعمل خادماً لدفع ديونه؟

* الكاتب الجاهل

كاتب لا يتقن السومرية!
أي كاتب هو إذن؟!

حول الزواج والمرأة[1]

* العريس المنتظر لم يأتِ

أمِنْ أجل الرجل المستقر،
أم الذي ليس إلاَّ وهماً
سأحفظ حبّي؟

* سجن الحياة الزوجية

من لم يقم بتأمين معيشة زوجة وولد
لم يحمل قطّ الحلَقَةَ في أنفه[2]

* الزوج الشاكي

زوجتي في المعبد
وأمّي على ضفاف النهر
وأنا هنا أتضوّر جوعاً!

* المرأة المسرفة

المرأة المسرفة في البيت
تضيف المرض إلى الهموم.

* التفكير بعد الزواج

من أجل اللّذة: الزواج
ولدى التفكير: الطلاق

---

(١) يتضح من الأمثال المرتبطة بهذا العنوان أن نظرة السومريين إلى المرأة والزواج لم تكن إيجابية.
(٢) إشارة إلى عادة جر سجناء الحرب أو الحيوانات المدجنة بزمام في الأنف.

* **زواج غير موفق**

قلب مبتهج: الزوجة
قلب منقبض: الزوج

* **قيد الزواج**

رجل لا يحتمل الزوجة ولا الطفل
لم يحمل قط القيد في أنفه[١]

* **الأبناء وإرادة الإلّه**

الحصول على الزوجات (أمر) يعود للرجل نفسه
ولكن أن يُرزَقَ الرجل أبناءً (فأمر)
يعود للإلّه وحده.

* **الزاني والزانية**

قضيب الزاني يناسب فرج الزانية.

* **الحَمْل**

جميلٌ التوالد، ولكن الحَمْل عذاب.

* **احترام الأم**

اعتبر كلمة أمّك، كما تعتبر كلمة ربّك!

السومريون والمشروبات (الكحولية)

* **بعد اللّذة**

بعد لذّة الشراب، استرخاء ما بعد السفر[٢].

---

(١) ورد آنفاً مع اختلاف في الصيغة.
(٢) المثل السومري يعتمد على تقارب كلمتي شراب = كاش (Kash) وسفر = كاشكال (Kashkal).

* الشراب والبهجة

من لا يعرف الشراب، لا يعرف ما هو جيد
الشراب يملأ البيت بهجة[1].

* الكنة وليست الحماة هي المُنتَقَدَةُ في سومر

القربة في الصحراء هي حياة الرجل
والصَنْدل يؤيؤ عينه،
الزوجة مستقبل الرجل
والابن ملاذه،
والابنة سلامته
أما الكنة فهي جحيمه.

موضوعات مختلفة

* السومريون والصداقة

الصداقة تدوم يوماً
والقرابة تبقى دوماً.

* الكلب في سومر لم يكن محبوباً

الثور يقوم بالحراثة
والكلب يتلف الأثلام العميقة.
إنّه كلب لا يعرف بيته.
كلب الحدّاد، لم يستطع قَلبُ السندان
وعوضاً عنه، قلب وعاء الماء.

* سمعة النوقي

النوقي رجل شجار.

(١) الخبز والشراب كانا في أساس تحضير أنكيدو في ملحمة جلجامش.

* من باع جلد الدبّ قبل اصطياده كما عبرت عنه سومر

لم يقبض على الثعلب بعد
مع ذلك، أعَدّ له قفصاً.

* ما يقابل «نفد من الزير وقع في البير» بالعامية

هربت من الثور الوحشي
فوجدت نفسي أمام البقرة الوحشية.

* ما كل تعاونٍ يَبْني

يدٌ ويد وبيت رجل يُبنى
معدة ومعدة وبيت رجل يهدم.

* المفارقات

يبني مثل سيّد ويعيش مثل عبد
يبني مثل عبد ويعيش مثل سيّد.

* التسلح يبعد العدوّ

البلاد ذات التسلح الضعيف
لن تطرد العدوّ عن أبوابها.

* عدم جدوى الحرب

أنت تسير وتحتل بلد العدو
ويأتي العدو فيحتل بلدك.

* لم يتبدل الرأي بالنسبة لجابي الضرائب.

قد تكون تحت إمرة سيّد
أو تكون خاضعاً لسلطة ملك
ولكن الرجل الواجب خشيته
هو جابي الضرائب.

* الفتى الغرّ

إمدح الفتى الغرّ، يعطيك كل ما تطلب.

* النفايات تكفي لمن لا عِزّة له

إرم نفاياتك لجرو
يحرّك ذيله من أجلك.

* أنتَ والشجار

حيث يقع شجار، تحاش
أن يظهر الغضب على وجهك.
عندما يأكل الغضب أحداً مثل النار
تأكد أن باستطاعتك إطفاء لهيبها.
إن قال لك أحد ما هو غير حُبّيّ
فلا تقل له ما يماثل قوله
لأنَّ ذلك له عواقب لا تحمد.

* صراحة القول

عندما تصدر حكماً، لا ترافقه بأيّة رقابة.

* حكم وأمثال مزدوجة اللغة[1]

من يضاجع[2] امرأة متزوجة، ذنبه كبير.
من يوجّه إلى أهله[3] كلمات غير مناسبة،
من يسلّم ضعيفاً لقوي،
من يظلم تابعاً له. . .
هؤلاء يستحقون اللّوم.

---

(١) سُجلت باللغتين السومرية والأكادية. نثبت الصيغة السومرية ونشير في الهوامش إلى التعابير المختلفة التي تبنّتها الصيغة الأكادية.
(٢) من يجبّل.
(٣) إلى إخوته.

(١٠١) ـ حكم وأمثال أكادية

* **محاولات الجائع**

الرجل الجائع ينقّب حتى في جدارٍ مبني بالآجرّ.

* **لا مجال لإرضاء المسرف**

هل تقدّم كتلةً وحلٍ لمن يرمي
(مبدّداً) الأشياء من حوله؟

* **المرأة المرتكبة أمام القاضي**

أمام بوّابة بيت القاضي
فم المرأة المرتكبة
أقوى من فم زوجها.

* **مثل تضمّنته رسالة ملكية**

كتب (شمشي ـ أدد) ملك آشور إلى ابنه (يسمح ـ أدد) طالباً منه ألاّ ينغمس في المؤامرات السياسية وتثبيتاً لرأيه ذكّره بالمثل القائل:

الكلبة التي سافدها أكثر من كلب واحد
تلد جِراءً عُرْجاً.

* **التقرّب من الآلهة**

تقديم القرابين يطيل الحياة
وبالصلاة تُغفر الذنوب.

* **إرضاء الإلّه الشخصي مثل إرضاء البشر؟**

إذا قدّمت قرابينك فإلّهك يكون لك
وإذا لم تقدّم قرابينك فلا يكون إلّهك لك.

* **الإيمان**

الإيمان هو أن تثق بإلّهتك
وتترك للأمور مجراها[1].

* **حكمة ساخرة**

عندما يشبّ أصيل ويسافد بغلة
وبينما هو راكبها يوشوش في أذنها:
المهر الذي ستلدينه
ليكن متفوقاً في جريه مثلي
لا تلديه حماراً عليه حمل السلال[2].

* **بين عصفور وفيل**

حطّ عصفور صغير على فيل (معلناً)
قل أخي، هل أنا أثقلُ عليك؟
سوف أنزل عند منهل الماء.
فأجاب الفيل العصفور الصغير
لم أكن أعلم أنك على ظهري
وأيّاً كنت. ففي كل الأحوال

---

(١) حرفياً: وتترك ذرورك يجفّ(؟).
(٢) وجه الفكاهة هو أن البغلة عاقر، لا تلد.

لن أشعر عندما ستغادر[1]

*** الرجل الحرّ والعبد**

الرجل ظلّ الإله. والعبد ظلّ الرجل الحرّ.

*** أنت والعبادة**

عليك أن تسجد في الصباح
ووجهك يلمس التراب
وأن تبتهل إلى الآلهة
ذلك يُشعِرُ المرء بازدياد قواه
التُقى يجلب النعمة
والقرابين تجعل حياتك نجاحاً
وتكسر الصلاة قيود الخطيئة.

*** أمثال مختلفة من مكتبة آشور بانيبال**

- الخادم يصبح سيّداً في مدينة أجنبيّة.
- من يموت جوعاً، لا يشبعه
صندوق فضّة أو ذهب.
- ليذرِ سيّئ، حَصادٌ سيّئ.
- قوّة الرجل الثمل
تضاهي قوّة دودة أرضيّة.
- استوليت على حقل عدوّك
والآن يأتي عدوّك،
ويستولي على حقلك.
- كيف يسمنُ من لا يأكل؟
- الصديق الحقيقي يتذكّر من ينساه.
- إخشَ إلّهك ومجّد ملكك.

---

(١) ومثل هذه النكتة تروى حتى اليوم عن فأر تملكته الشهوة، فلم يجد أمامه سوى فيلة، فسألها وهو يسافدها، إذا ما كان يؤلمها كي يعتذر.

ـ لا ترتكبْ جرماً،
فلا تفترسك خشية (آلهك).

* الاستدانة سهلة ولكن. . .

سهلة هي الاستدانة كما هو سهل العمل الجنسي
ولكن إيفاء الدين يضاهي بصعوبته
انتظار مولود.

* المساواة أمام الموت

عد إلى خرائب الماضي وانظر إلى ما حولك،
ترى جماجم المتواضعين وجماجم العظماء
أيّ منها كان لرجل شرير
وأيّ منها كان لرجل خيِّر؟[1].

* العناق الخانق

حادثة لم تقع منذ أقدم الأزمنة
امرأة صبية تفقد أنفاسها
بينما يعانقها زوجها.

* لكل شيء سببه

لا تأكل دهناً، فلا تجد في برازك دماً.

* العروس وحماتها

أيّتها الفتاة، كما تُعاملين حماتك
كذلك (في المستقبل) تعاملك النساء.

---

(١) هذه الحكمة وردت أيضاً من ضمن نص «بين السيد وعبده» (النص رقم ٩٩ من هذا الكتاب).

* البداية تتحكم بالنتيجة

إذا كانت عصارة الجعة مخلّلة
فكيف يمكن للجعة أن تكون حلوة؟

* الحكمة اليائسة

الآلهة وحدهم خالدون أبداً
تحت الشمس الإلهية،
أما البشر، فأيامهم معدودة
وليست أعمالهم إلاّ هباء.

(١٠٢) ـ حكيم ينصح تلميذه

تمّ التعرّف بين النصوص الأكادية على مجموعة كبيرة من التوجيهات الأخلاقية والتربوية والنصائح، وما يمكن تسميته بالأمثال والحكم الشعبية ومجموعة من الحكايات ذات المغزى التوجيهي أو التوصيات الأبوية.

وفيما يلي نص يعود إلى الثلث الأخير من الألف الثاني، يتضمن نصائح حكيم لتلميذه أو أب لابنه. وكانت للنص شهرته، حتى أنه تمّ ترديد مضمونه خلال فترة الحكم السرجونيّة الآشورية أي بعد حوالي أربعمائة سنة[١]

[. . . . .][٢]

لا تهمل بيتك وامرأتك

17 [الذي] لا يستقر في مكانه ولا يراقب بيته
[فامرأته(؟)] تصبح تجاهه شيطاناً حقيقياً.

حسن المعاشرة

[من يعاشر الأشرار (؟)] يُنظر إليه بازدراء
20 وتسوء سمعته [في أفواه] ذويه.

---

(١) العناوين المشيرة إلى تبدّل موضوعات الفقرات هي من وضع المترجم وليست من صلب النص، فاقتضى التنويه.

(٢) نقص ١٦ سطراً في بداية النص الفرنسي المعتمد وترجمة بريتشارد الإنكليزية تبدأ بالسطر ٢١.

لا تقرر أمراً بالاشتراك مع صانع المشكلات[1]
لا تستشر فاقد الهمّة ولا الكسلان:
لأنّه على الرغم من صدق عزيمتك، ستألف عقليتهما،
فيتقلّصُ إنتاجك وتتحوّل عن طريقك
وينحرف تفكيرك، مهما كنت متواضعاً وحكيماً!

التعامل مع الغير

عليك مراقبة ما يقوله فمك والسهر على مضمون خطابك،
. ففي ذلك مقدرة الرجل[2] وليكن قولك ذا قيمةٍ أكيدة،
وليكن التجديف والنميمة مكروهَينْ لديك،
لا تتلفّظ بسخريات ولا بآراء غير صادقة:
لأنّه بازدراء ينظر إلى صانع المشكلات!
لا تتّخذ من المحكمة مقراً لك.
حيث تقع مشاجرة، لا تُهمل خطاك:
بحضور المشاجرة سيتقرر دورك،
فأنت الذي ستمثل أمام المحكمة، لتشهد،
وسيُؤتى بك لتأكيد شيء
في قضيةٍ ليست قضيتك.
وسيؤتى بك لتأكيد شيء، في قضيةٍ ليست قضيتك.
أمام مشاجرة، عليك بالابتعاد وعدم الاهتمام!
إذا كانت المشاجرة تتعلق بك، أطفىء
نارها قبل أن تتفاقم

---

(١) في نص بريتشارد: «ناقل الأخبار».
(٢) في نص بريتشارد: «اعتذار الرجل».

لأن المشاجرة حفرة مغطّاة[١]
إنها جدار [ثقيل] (ينهار) ويقبر أعداءه
إنها[٢] تذكّر بما تمّ نسيانه. بصدد هذا
الرجل ويُجابه به!
لا تعامل بسوء من يسعى لمخاصمتك.
بادلْ بعمل الخير، من أساء إليك.
إبق عادلاً تجاه من عاملك بشر،
ولتكن روحك هادئة تجاه عدوك!
[. . . . .][٣]
[لا تنتهر] قليل العقل، بل أشفق عليه
لا تزدرِ الذين هم عرضة لتجربة،
لا تتوجه إليهم بغطرسة:
لأنه من أجل ذلك يزجرك إلهك الشخصي
الذي يحميك
وهذا أيضاً مكروه لدى شمش ويعاقب عليه.
أعطِ خبزاً لطالبه وجعة جيدة للشرب،
قدّم ما يطلب منك، أطعم وأكرم:
من أجل ذلك، فالإله الشخصي لكل واحد
يبتهج لصنيعه،
وهذا (أيضاً) ما يعجب شمش الذي يجزيه خيراً.
قم بأعمال إعانةٍ وقدّم الخدمات كل يوم!

---

(١) هنا تم تبنّي نص بريتشارد الإنكليزي لأن النص الفرنسي المعتمد تبنى معنى «صهريج جفّ ماؤه».
(٢) أي المشاجرة أو النزاع.
(٣) نقص عدة أسطر، يستأنف النص الفرنسي عند السطر ٥٦ ونص بريتشارد الإنكليزي عند السطر ٦١.

التعامل مع الخدم

لا تجعلْ أَمَةً تسيطر في بيتك،
وكأنها زوجة حقيقية، لكي لا تتحكّم بمضجعك.
إذا [ما تركتَ العنان] للخادمات الفتيات
فلن تستطيع (بعد ذلك) إدارة نفسك
وإذا ما صعدت إحداهن إلى [سطح بيتك]
فلن تغادره (بعد ذلك)!
وعلى أفواه ذويك، سوف يقال
[عنك] بكل تأكيد:
«البيت الذي تحكمه أَمَةٌ لا بدّ منهار!»

الزواج

لا تتزوّج بغياً، أزواجها لا عدّ لهم،
ولا ابنة لعشتار[1] نذرت إلى الآلهة (جسدها)،
ولا غانية[2]، عديدة علاقاتها[3]
لأنها لن تكون سنداً لك إذا ما ألّمت
بك المصائب،
وتهزأ منك إذا ما تعرّضت لمشاجرة.
فالاحترام والطاعة ليسا من خصائصها.
ولئن كانت لها سلطة مطلقة على بيتك
فاطردها منه!
لأن أفكارها سوف تتجه نحو قدوم الغرباء[4]

---

(١) حرفياً «عشتارتو» أي مكرّسة لعشتار وللبغاء المقدس.
(٢) حرفياً «كولماشيتو».
(٣) أي علاقاتها الجنسية.
(٤) هذا السطر يؤديه النص الإنكليزي كما يلي: «لأن أذنها سوف تصغي لوقع أقدام رجل آخر».

سطر بديل[١]: لأن البيت الذي تدخله سوف ينهار،
والرَّجل الذي يتزوجها، لن يعرف الاستقرار.

الأمانة

يا بنيّ! إذا ما كانت إرادة الأمير، أن تكون
تحت تصرّفه،
وإذا ما علّقت في عنقك ختمه الأكثر حفظاً،
افتح غرفة كنوزه وادخل إليها
وبما أنّه لا أحد غيرك له الحق بذلك،
سوف تكتشف فيها ثروات لا توصف،
ولكن لا ترفع نظرك إلى أيّ شيء من هذا
ويجب ألاّ تشوّقك الرغبة على ارتكاب اختلاس،
لأنّه فيما بعد يمكن للأمر أن يتمّ تفحّصه
ويُكتشف الاختلاس الذي ارتكبت.
وعندما يعلم الأمير ذلك [فسوف يشتد غضبه]،
ومن وجه مبتسم [يتحوّل إلى وجه مُهَدِّد].
وأنت سوف تثقل كاهلك قضية خطيرة جداً[٢]!

الابتعاد عن النميمة وأقوال السوء

[. . . . .][٣]
لا تلجأ إلى النميمة وتلفّظ بالكلمات الطيّبة
لا تعقد حديث سوء ولتكن الطيبة في جميع كلماتك
فمن يستغيب ويردد كلمات السوء

---

(١) هذه الملاحظة أوردها الناسخ الذي كان على ما يظهر، يعتمد على نسختين من النص نفسه.
(٢) هذا السطر لم يرد في الترجمة الإنكليزية.
(٣) نقص في النصّ حتى السطر ١٢٧.

يتنظر دون جدوى مكافأة شمش.
لا تترك العنان لفمك، وراقب ما تقوله شفتاك،
لا تصرّح بأفكارك الصميميّة، حتّى لو كنت منفرداً
لأن ما قُلتهُ في الكراهية، قد تندم عليه فيما بعد![١]
لِذا مرّنْ ذهنك على مراقبة خطابك!

أنتَ والإله

مّجد إلّهك كل يوم:
قدِّم القرابين والأدعية وما يلزم لإرضائه
خصّ إلّهك بالتقدمات الصادقة
ففي ذلك ما يلائم الألوهية.
الصلوات والابتهالات والعبادة،
إذا ما قدَّمتها له يومياً، تعود عليك
بأجرٍ عظيم،
وإلى أقصى حدٍّ تسير مع إلّهك في الطريق القويم!
مما تعلَّمته، انظر ما هو (مكتوب) على اللوحة:
«احترام الآلهة يحقق رضاهم[٢]،
والتقدمة تطيل الحياة.
وبالإضافة إلى ذلك، فالصلاة تبدد الذنب[٣]
من يجلّ الآلهة، لن يقع في شباك [الموت(؟)][٤]
ومن يكرّم الأنوناكي[٥] يطيل [هكذا] أيامه.

(١) استعير هذا السطر عن النص الإنكليزي.
(٢) هذه الفقرة وكذلك السطر ١٤٧ عرفا من ضمن نص آخر.
(٣) عن النص الإنكليزي ـ ورد في النص الفرنسي: «تحل عقدة العقاب».
(٤) هذا المعنى غير أكيد.
(٥) (Annunaki) مجموع ـ الآلهة.

كسب الثقة والمحافظة عليها

أمام شريك أو رفيق، لا تقل [. . .]
لا تتلفّظ بأقوالٍ منحطّة [ولتكن كلماتك] طيّبة.
150 إذا ما وَعَدْتَ [نفّذ ما وعدتَ به]
إذا ما حصلت على الثقة، [ثابر على استحقاقها(؟)]
تجاه شركائك [نفّذ] ما يرغبونه [منك]
إذا ما كسبت ثقةَ رفيقٍ لك [إبقَ أميناً تجاهه(؟)]!
مما تعلّمته، [انظر ما هو مكتوب على اللوحة]
[. . . . .][1]

الوفاء بالوعد

163 [ليس من المحبّب] طلب الثقة وعدم المحافظة عليها.
[الوعد] الذي لا يتمّ وفاؤه (عمل)
مكروه لدى مردوك[2]
[ولدى إيشمي] ـ كرب[3]، ابن انليل ـ باندا[4]
[ولكن من هو مخلص] لإيا[5]، ويبتهل إليه
يتحقّق غِناه!

---

(١) عدة أسطر مشوهة يتوقف عندها النص الإنكليزي (بريتشارد) ولكن النص الفرنسي يتابع من السطر ١٦٣.
(٢) (Marduk) إلّه بابل وبطل التكوين والخلق.
(٣) (Eshme-Karb).
(٤) (Enlil-Banda).
(٥) (Ea) = الإلّه أنكي السومري: إلّه الحكمة والمعرفة ومهارة الصنع.

(٣ ـ ٣) ـ أحيقار حكيم
بلاط نينوى

١ ـ الفترة التاريخية

عاش أحيقار[١] الحكيم، في نينوى في بداية القرن السابع لما قبل الميلاد إبان حكم الملك الأشوري سنحريب (٧٠٤ ـ ٦٨١) ق.م. كما عاصَرَ إبنه أسرحدّون (٦٨٠ ـ ٦٦٩) ق.م.

وكان أحيقار كاتباً شهيراً وحكيماً آرامي الأصل، شغل منصب وزير مالي في بلاط نينوى، وقد أشير في لائحةٍ تأريخية لآشور اكتُشِفت في الستّينات، أنه: «خلال حكم أسرحدّون، فالحكيم كان (آبا ـ نينّو ـ داري)[٢] الذي يسمّيه الآراميون أحيقار».

٢ ـ شهرته

عرف أحيقار بحكمته وبقصّة حياته التي رواها بنفسه، إذْ فَقَدَ حظْوته ظلماً وخيانة، بعد أن كان في أوج عزّه في البلاط الملكي.

وقد تداولت حكمته وقصّة حياته منطقة الشرق الأوسط بكاملها وتعدّت سمعته تلك المنطقة، إذْ ترجمت سيرته وحِكَمه، إلى لغات عديدة واستمر تداولها شفهياً وكتابةً

---

(١) (Ahiqar) ويقدّم قاموس التوراة لهذا الاسم معنى: أخي ـ قار أي أخي عزيز علي. وعربياً يمكننا إرجاع «قارْ» إلى العين القريرة أو القارّة وما قُرّت به العين أي استقرت وارتاحت وفي قولهم أيضاً: لو رآك لقرّت عيناه أي لَسرّ بذلك وفَرِحَ.

(٢) (Aba-Ninnou-Dari).

حتى أزمنة متأخرة.

تأثرت بحكمته التوراة اليهودية[1] وروت قصته نُسخ عديدة، ونسّاخون ذوو اتجاهات مختلفة، كانوا لا يتراجعون عن الإضافة والتعديل لما يناسب معتقداتهم.

أمّا اللغات التي عرفت بها قصة أحيقار وحكمته فهي الآرامية والعبرية واليونانية والسريانية والعربية والأرمنية والرومانية والسلافية.

وعلى هذا الأساس، فقد وصلنا كتاب «قصة أحيقار وحكمته» مع التعديلات التي أشرنا إليها والتي لا تخفى على القارئ حين يضع نفسه في فترة الحكم الآشوري في نينوى. ومع ذلك، فقد بقي النص محافظاً على قوّته بالنسبة للرسالة التي يحملها.

٣ ـ تعرف اليونان على أحيقار

في القرن الخامس قبل الميلاد، عندما زار الفيلسوف اليوناني ديموقريط[2] مدينة بابل، اكتشف حكم وأمثال أحيقار وترجمها لكي يتعرف عليها اليونانيون. أما ما عرف بحكايات أحيقار الرمزية أي التي تعبّر عن الأفكار بواسطة الحيوانات، فقد استخدمت كأساس لحكايات إيزوب[3] وسوف نعود إلى هذه النقطة فيما بعد. وباعتقادنا، ليست «كليلة ودمنة» إلا العودة لما ابتدعته منطقة ما بين النهرين منذ العصر السومري مروراً بأحيقار الآرامي ولقمان العربي وبيْدَبا الهندي إلى ابن المقفّع. ويحاول الملحق (رقم ١) تقديم تفاصيل إضافية بهذا الشأن.

٤ ـ يهود الجنوب المصري وأحيقار

في القرن الخامس قبل الميلاد أيضاً كان بعض اليهود القاطنين في إليفانتين[4] من مصر العليا، ينسخون باللغة الآرامية قصة أحيقار على أوراق البَرْديّ، وقد وصلنا بعضها.

---

(١) المقصود هنا هو سفر طوبيا التوراتي وسيشار إلى تفصيل ذلك فيما بعد في الفقرة الخامسة من هذا التقديم.

(٢) (Démocrite) فيلسوف يوناني عاش في القرن الخامس قبل الميلاد وقد تبنى، في مجال فلسفة الأخلاق، التفتيش عن السعادة عن طريق الاعتدال وتمالك الرغبات.

(٣) (Esope) وسنعود إليه في الفقرة السادسة.

(٤) (Elephantine) وهي التسمية اليونانية لإقليم أسوان الحالي.

٥ ـ تأثر التوراة بحكم أحيقار وقصة حياته

كان ذلك خلال القرنين الثالث والثاني لما قبل الميلاد حين تمّ تأليف سفر طوبيا بالاعتماد على أصلٍ آرامي، مع الإشارة إلى أن التوراة اليهودية لم تتبنَّ رسمياً سفر طوبيّا بينما تبنّاه العهد القديم للكنيسة الكاثوليكية، ومع الإشارة أيضاً إلى أنّ اليهود يقرأون برغبة هذا السفر كنتاج أدبي نسبوه لأنفسهم.

جعلت قصة طوبيا التوراتية من أحيقار ابن أخت لوالد طوبيا الشاب أي «طوبيات». فأحيقار كان هنا إبن الأخت الذي وصل إلى مركز كبير في بلاط نينوى وتوسّط لخاله طوبيات ليعود من منفاه في بلاد عيلام إلى حيث هرب خوفاً من العقاب. ويشتمل سفر طوبيا على أخطاء تاريخية وجغرافية عديدة مما يدلّ على الاصطناع في تأليفه. ولم يكن تبنّي اسم أحيقار، إلاّ لإضفاء أهمّية إضافية على هذا السفر والاستيلاء لصالح مؤلّفيه على شخصية شهيرة شعروا بضرورة التقرب منها أو امتلاكها، كما حدث ذلك بالنسبة لشخصيات أخرى لا نستبعد أن يكون إبراهيم أو يوسف من أشهر المرغوب بالانتساب إليهم للتشرّف بهم.

٦ ـ أحيقار وإيزوب

في القرن الثالث عشر الميلادي، نشر كاهنٌ يونانيٌّ عاش في القسطنطينية، وهو ماكسيم بلانود[(١)]، حياة إيزوب وحكاياته وحكمه. وقد تُرجم هذا الكتاب مراراً فيما بعد واستفاد منه بشكلٍ خاص شاعر الحكايات الفرنسي لافونتين[(٢)]. وتجدر الإشارة هنا، إلى أنّ إيزوب اليوناني عاش بين القرنين السابع والسادس قبل الميلاد[(٣)] ويُقال عنه بأنه كان عبداً وحرّر، ثم حُكم عليه بالموت من قبل أهل مدينة ديلف[(٤)]. وهو شخصية شبه أسطورية تمثّله التقاليد كرجلٍ بشع المظهر أحدب الظهر فأفاء في نطقه.

ويقال اليوم إن الكتاب المنسوب إلى إيزوب، هو من تأليف الكاهن بلانود نفسه

---

(١) (Maxime Planude).

(٢) (Jean de la Fontaine) (١٦٢١ ـ ١٦٩٥).

(٣) (٦٢٠ ـ ٥٦٠) ق.م. ويلي هذا التاريخ مباشرةً الفترة التي عاش خلالها أحيقار في بلاط نينوى. كما يلتقي وصف إيزوب مع ما قيل في وصف لقمان الحكيم وسنعود إلى تفصيل ذلك في الفقرة السابعة.

(٤) (Delphes): مدينة أبولّو في بلاد اليونان.

بالاعتماد على أصول قديمة.

وليس من المستبعد أن تكون الحكايات التي نُسبت إلى إيزوب اليوناني لها أساسها عند أحيقار الآرامي[1]. ولا غرابة في ذلك، فالسومريون كانوا أول من استخدم الحيوانات كأبطال لحكايات تُعلِّم وتنتقد، وردَّدوا على لسان الحيوانات، الأمثال والحكم. وقد أمكن حتى عام ١٩٧٥، جمع وترجمة ٢٩٥ مثلاً وحكايةً كان فيها لأربعة وستين حيواناً مختلفاً أدوارها: فالكلب شغل ٨٣ حكاية ومثلاً، وهو يحتل مرتبة الصدارة، يليه الثور ثم الحمار ويأتي بعد ذلك الثعلب والخنزير ويحتل الخروف المرتبة السادسة يتبعه الأسد والثور الوحشي والعنزة ثم الذئب... ولا بدّ من دراسة مفصّلة نتركها لباحثينا، تربط بين حكايات وأمثال سومر الحيوانية وأحيقار وإيزوب وكليلة ودمنة[1].

وللتدليل على أهمية مثل هذا البحث نقدم فيما يلي بعض الأمثلة السومرية:

* هكذا تكلّمت الكلبة ـ الأم مفتخرة: «أن يكون لي
  جراء ذوي وبر أبرش أو أرقط فأنا
  أحبّ صغاري».
* تسعة ذئاب وذئب عاشر استولوا على
  عشرة خرفان... والذئب العاشر الذي كان شرهاً
  ... قال: أنا أقوم بالقسمة، فأنتم تسعة
  وسيكون لكم خروف واحد وأنا واحد
  وسيكون لي تسعة خرفان![2].
* «مشى الثعلب على حافر ثور وحشي،
  فقال له: هل أرجعتك؟»
* طلب الثعلب من الإلّه إنليل أن يمنحه
  قرني ثور وحشي، فلبّى إنليل دعاءه.
  ولكن الريح نفخت وتساقطت الأمطار
  ولم يتمكّن الثعلب من دخول وكره[...]

---

(١) انظر في الملحق (رقم ١) كيف تلتقي حكايات إيزوب ويدبا مع حكايات لقمان الحكيم.
(٢) وهكذا يعتبر القسمة متساوية في (٩ و١) و(١ و٩).

* الحمار يأكل قش فراش نومه.
* في مدينة إريدو عمّ الغنى كل شيء،
ولكن قرد مسرح[1] الحيوانات الكبير
يجلس على كومة النفايات (ليأكل).
* القرد نفسه يوجّه رسالة لوالدته طالباً
معونتها، وهذا هو نص الرسالة:
«إلى أمي لوساسا.
هكذا يتكلّم السيد قرد:
أور هي مدينة خلاّبة للإلّه نانا
واريدو هي المدينة الزاهرة للإلّه
أنكي، ولكني أنا هنا، جالس خلف
أبواب المسرح الكبير[1]، وعليّ
أكل النفايات وأرجو ألاّ أقضي بسبب
ذلك. أنا أجهل حتى طعم الخبز
وأجهل طعم الجعة. وجّهي إليّ
بسرعة إرسالية خاصة...
هذا أمر عاجل.»

نكتفي بهذه الأمثلة القصيرة عن دور الحيوانات، منذ العهد السومري في ترديد الحكم والأمثال وسرد الحكايات ذات المغزى، وسوف نستكملها في الملحق المشار إليه أدناه. ونأمل من الباحث العربي أن يتعمّق في علاقة حيوانات الحكايات في سومر وآكاد مع ما عُرف عن أحيقار الآرامي وإيزوب اليوناني والتعمُّق في هوية لقمان العربي ونشير في الملحق (رقم ١) من هذا الكتاب إلى حكايات لقمان التي اعتمدت الحيوانات أبطالاً لها.

---

(١) يستدل من هذا النص أن مدينة إريدو كانت تحوي مسرحاً كبيراً للحيوانات المدرّبة وهو «السيرك» في مدننا الحالية.

٧ ـ لقمان الحكيم وأحيقار

عن لقمان (باب لقم)، نقرأ في لسان العرب:

«فأما لقمان الذي أثنى عليه الله تعالى في كتابه العزيز، فقيل في التفسير، إنه كان نبياً وقيل كان حكيماً لقول الله تعالى: «ولقد آتينا لقمان الحكمة». وقيل: كان رجلاً صالحاً. وقيل كان خياطاً وقيل كان راعياً. وروي في التفسير، أن إنساناً وقف عليه وهو في مجلسه فقال: «ألست الذي كنتَ ترعى معي في مكان كذا وكذا؟ قال: بلى. قال: فما بلغ بك ما أرى؟. قال: صدق الحديث وأداء الأمانة والصمت عما لا يعنيني».

وقيل أيضاً عن لقمان: كان حبشياً، غليظ المشافر، مشقّق الرجلين، ويذكّر هذا الوصف ببشاعة إيزوب كما أشارت إليها الفقرة السادسة أعلاه. ويضيف واصفُ لقمان قائلاً: وليس يضيره ذلك عند الله عزّ وجلّ لأن الله شرّفه بالحكمة[١].

وعن «لُقَيْم» ورد في لسان العرب ما يلي:

اسم يجوز أن يكون تصغيراً للقمان على تصغير الترخيم. وقال ابن بري: لُقَيْم اسم رجل. قال الشاعر:

لقيم بن لقمان من أختِه
وكان ابن أختٍ[٢] له وابنما.

يعتقد علماء العرب أن لقمان الحكيم هو أحيقار. والرواية العربية أعلاه تؤكّد مجالس الحكمة التي كان يعقدها على ما يظهر. ويساعد أيضاً على هذا الاعتقاد علاقته بابن أخت له كان له بمثابة ابنه.

---

(١) ورد اسم لقمان صراحة في سورة لقمان من القرآن الكريم، الآيتان (١١ و١٢)، كما اشتملت الآيات (١٥ ـ ١٨) على مواعظ لقمان لابنه.

(٢) يلتقي دور ابن الأخت هذا مع نادان ابن أخت أحيقار الذي تبناه كولدٍ له وأدخله بلاط نينوى. وكان له دور رئيسي في تشويه سمعة أحيقار لدى الملك.

٨ ـ مترجم فرنسي يدخل قصة أحيقار في ألف ليلة وليلة

أحد المستشرقين الفرنسيين، في بداية القرن التاسع عشر، وهو كوسّان دي بيرسوفال[١] ترجم عن اللغة العربية قصة أحيقار وأدخلها في ترجمة له لألف ليلة وليلة، تحت عنوان: «قصة سنحريب ووزيريه». والوزيران المقصودان هما أحيقار وابن أخته. ومن المعروف أن هذا المستشرق تلقّى في عام ١٨٢٠ كهدية نسخة باللغة العربية تضمّنت حكايات لقمان (انظر الملحق رقم ١).

٩ ـ أحيقار والنسخة السريانية المعتمدة هنا

قصة أحيقار التي نثبتها هنا، تمّت ترجمتها لأول مرّة إلى الفرنسية في عام ١٩٠٩. وقد أعيد نشرها في عام ١٩٨٦، وهي النسخة التي نعتمدها هنا والمأخوذة عن نصّ سرياني محفوظ في متحف برلين[٢]، وهي النسخة الأكثر قرباً لمؤلف أحيقار الأصلي وهي الوحيدة التي نقلت مباشرة عن نصّ أصلي آرامي أو عن ترجمته إلى العبرية وهي على ما يظهر الأساس للترجمات الأخرى النسطورية والأرمنية والعربية والرومانية، والتي لا تخلو جميعها، كما أسلفنا، من تدخّلات النسّاخ. إضافة إذن إلى النسخة الآرامية التي وصلنا جزء منها من صعيد مصر[٣] والتي تعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد، فإن النسخة السريانية المعتمدة هي التي تركها لنا جاك من إيديسّا[٤] وهي مدينة أورفا الحالية الواقعة على الفرات الأعلى، وكانت مركزاً مسيحياً نامياً منذ القرن الثاني للميلاد. وجاك من إيديسّا الذي توفي في بلاد الكلدان عام ٧٠٨ ميلادية نقلها، كما تشير إلى ذلك مقدمته، عن مار أفرام القديم[٥].

---

(١) (Caussin de Perceval).

(٢) وهي محفوظة تحت إشارة: (ساشو ٣١٥ و٣٣٦) Sachau.

(٣) أي أيلفنتين (Elephantine) قرب أسوان.

(٤) (Edesse).

(٥) (Saint Ephrem) القديس أفرام حوالى (٣٠٦ ـ ٣٧٨) ميلادية.

(١٠٣) ـ حكمة أحيقار الآرامي وقصة حياته

١ ـ يبدأ النص بمقدمة قصيرة، ينتقل بعدها إلى سرد قصّة أحيقار كما يرويها بنفسه، ضمن خمسة وثلاثين فصلاً تتخلّلها مرحلتان من عرض محتوى حكمة أحيقار. تشكل الدفعة الأولى من الحِكم الفصل الثالث وتحتوي على خمسة وتسعين حِكمة يتلوها أحيقار ناصحاً ابن أخته الذي تبنّاه وأدخله قصر ملك آشور ليخلفه فيما بعد. وهذه المجموعة الأولى من حِكم أحيقار هي لبناء شخصية ابن أخته وترسيخ قواعد الأخلاق الحميدة وحسن التصرّف لديه.

٢ ـ يتابع أحيقار بعد ذلك سرد قصّة خيانته من قبل ربيبه، مما أدّى إلى اتّهامه بالخيانة من قبل الملك والحكم عليه بالإعدام. إلاّ أنّ جلاّد المملكة الذي يؤمن ببراءة أحيقار لا ينفّذ فيه حكم الإعدام مما يضطرّه إلى الاختفاء فترة، ثم العودة إلى الظهور في الوقت المناسب لإنقاذ موقف المملكة المهدّدة من قبل فرعون مصر، ومن ثمّ عودته المظفّرة من مصر ومعاقبته ابن أخته الخائن، متابعاً قبل ذلك، من ضمن الفصل ٣٣ سرد حِكَمه من الحِكمة ٩٦ إلى الحِكمة ١٤٢، مبيّناً لابن أخته سوء تصرّفه. وهذه المجموعة الثانية من الحِكَم تحذّر من أعمال السوء. والفصلان ٣٤ و٣٥ ينهيان بعد ذلك نص عرض حياة أحيقار بموجب النصّ السرياني المعتمد.

٣ ـ أما الحِكَم التي وردت في نسخ بلغات أخرى والتي لم تدخل في عرض الحِكَم السابقة فقد استكملت كما يلي:

الحِكَم والأمثال الإضافية:

من الرقم ـ إلى الرقم

(I) ـ باللغة اليونانية (١٤٣ ـ ١٥٧)

(II) ـ باللغة الأرمنية (١٥٨ ـ ٢٠٩)

(III) ـ باللغة السلافية (٢١٠ ـ ٢٦١)

(IV) ـ باللغة الرومانية (٢٦٢ ـ ٢٨٥)

المقدمة

باسم الإله الحي، بدأ الخادم الخاطىء[1]، بكتابة قصة من نينوى عن: أحيقار الأشوري[2]. ـ كتبها جاك من إيديسا[3] باللغة السريانية بالاعتماد على رواية مار أفرام القديم[4] ـ وقد مات الكاتب جاك في بلاد الكلدان في عام ١٢٥٢ لليونان[5].

(١) يذكر هذا التعبير بالصفة المستعملة من قبل كتبة وعلماء الكنيسة الأولى في توقيع: كتبه العبد الفقير....
(٢) الأشوري بالنسبة لعمله في بلاط نينوى وتستعمل أيضاً صفته الآرامية.
(٣) (Edesse) ورد التعريف في الفقرة ٩ من تقديم النص في (٣ ـ ٣).
(٤) (Saint Ephrem) ورد الشرح أعلاه.
(٥) هذا التاريخ يوافق عام ٩٤١ ميلادية وهو خطأ ارتكبه الناسخ. والمعروف أن جاك من إيديسا مات في عام ٧٠٨ ميلادية.

(I) ــــ أحيقار يفتقر إلى ذرية

١ ـ قال أحيقار: عندما كنت أعيش في فترة حكم سنحريب[١] ملك نينوى، عندما كنت أنا أحيقار خازناً وكاتباً، وكنت شاباً، قال لي العرّافون والمجوسيّون والحكماء: «لن يكون لك ولد».

٢ ـ حصلتُ على ثروة كبيرة، وكنت مغموراً بكل الكماليّات. تزوّجت ستين امرأة وبَنَيْتُ لهنّ ستين قصراً وبيوتاً عديدة، وبلغتُ من العمر ستين عاماً ولم يكن لي ولد بعد.

٣ ـ بينما كنت، أنا أحيقار، أقوم بتقديم الأضاحي والهدايا للآلهة، كنت أحرق لهم البخور والطيوب قائلاً لهم: «أيها الآلهة، إمنحوني إبناً تقرّ به عيني حتى يوم وفاتي لكي يخلفني، ويغلق عينيّ ويدفنني.

وبدءاً من يوم وفاتي وحتى يوم وفاته، لو أنه أخذ كل يومٍ حفنةً[٢] من مالي وبدّدها دون توقّف، فإن ممتلكاتي لن تنفد».

عندما لم تقدّم له الأصنام[٣] أية إجابة لطلبه، تركها وقلبه مملوء حزناً وبه ألم كبير.

٤ ـ عند ذلك بدّل خطابه وتوجّه مُصلّياً إلى الله[٣] وآمن به. ومن صميم قلبه، وجّه إليه الرجاء قائلاً: «يا إلّه السماء والأرض، خالق جميع الكائنات، أطلب منك أن تهبني

---

(١) حكم خلال (٧٠٤ ـ ٦٨١) ق.م.

(٢) حرفياً: مِكيالاً.

(٣) تتضّح من هذه الفقرة ومن الفقرة التالية إحدى إضافات ناسخ يتعدى محتوى النص الأصلي، وفي نسخٍ أخرى نجد أحيقار موحّداً منذ البداية.

إبناً تقرّ به عيني. يواسيني ساعة موتي ويغلق عينيّ ويدفنني.

٥ ـ وجاءه هاتف يقول له:

«بما أنّك توجّهت إلى الآلهة وعقدت عليهم أَمَلَكَ مقدّماً لهم الهدايا، سوف تموت دون بنين وبنات. إلاّ أنّني أقول لك، هذا هو نادان[1] ابن أختك، فاتّخذه ابناً لك، وعلّمه وسوف يكون وريثاً لك».

(II) ـــ أحيقار يتبنّى نادان ويختاره ليكون خلفاً له

١ ـ أخذت عندئذٍ نادان ابن أختي، ربّيته ووجّهته بعد أن سلّمته إلى ثماني مرضعات لتغذيته. أغدقت عليه الزيت والعسل وكسوته بالألبسة الأرجوانية والقرمزية، جعلته ينام على فُرُشٍ ليّنة وعلى سجّاد.

٢ ـ ابن أختي نادان، أفاد من كل ذلك ونما وكأنّه أرزة نبيلة. علّمته الكتابة والحكمة والفلسفة.

٣ ـ وعندما عاد الملك سارحيدوم[2] من أعياده وأسفاره، ناداني في أحد الأيّام، أنا أحيقار كاتبه ومستشاره، وقال لي: أيها الصديق الشهير، أيها العزيز الكريم والحكيم والحاذق، يا وزيري وكاتم أسراري، لقد تقدّم بك السنّ وشِخت وصار موتك قريباً. قل لي، من سيقوم بخدمتي بعد موتك ودفنك؟

٤ ـ قلت له: «يا سيّدي الملك، فلتعش دوماً في أجيال الأجيال! لديّ ابن أختي وهو بمثابة ابن لي، وقد علّمته كل حكمتي، وهو عاقل ونبيه».

فأمرني سيّدي قائلاً لي: «إذهب وآتني به كي أراه، وإذا ما أعجبني فسيكون في

---

(١) (Nadun) الأصل الأكادي هو نادانو بمعنى الذي هو عطية أي (عطية الله).

(٢) (Sarhedom) أي أسرحدون (٦٨٠ ـ ٦٦٩) ق.م. الذي خلف أباه سنحريب وسوف نستعمل تسمية أسرحدون فيما بعد.

خدمتي ويمكث في حضرتي. أمّا أنت فأكمل طريقك، وقد يريحك من عملك ويحيط بالتكريم والتبجيل شيخوختك.

٥ ـ عند ذلك، أنا أحيقار، أخذت نادان ابن أختي، وأتيت به أمام الملك أسرحدون وجعلته بين يديه. وعندما رآه الملك أعجبه وفرح به وقال لي: «فليحفظ الله ابنك! فكما خدمتني وخدمتَ أبي سنحريب، وكما قمتَ بإدارة أمورنا على أتمّ شكل، هكذا سيفعل نادان ابن أختك: سوف يكون بخدمتي ويدير أموري وسوف أكرّمه وأرفع من شأنه بسببك أنت، وسوف أعتني به».

٦ ـ انحنيت عند ذلك أمام الملك وقلت له: «فلتعش دوماً يا سيّدي الملك! أطلب منك أن تعتني به وأن تساعده. فليبق في بيتك ويخدمتك، مثل ما خدمتك أنا وخدمت والدك».

٧ ـ عندئذٍ، أمسك بيده، وأقسم أن يبقيه بقربه معزّزاً مكرّماً. فنهضت وقلت له: «فليكن كذلك أيها الملك!».

٨ ـ علّمت ابني نادان، ناقلاً إليه حكمتي وبسخاء زوّدته بالعلم والمعرفة إلى أن أصبح كاتباً مثلي. هكذا علّمته وخاطبته موجّهاً إياه أنا أحيقار الحكيم.

(III) ـــ حكمة أحيقار ومذاهبه وتعاليمه
الموجهة إلى نادان ابن أخته

١ ـ يا بنيّ نادان، استمع إلى كلماتي، واتّبع نصائحي وتذكّر خطابي، كما أمر الله بذلك.

٢ ـ نعم يا بنيّ نادان، إذا ما سمعتَ كلماتي، فاجعلها في قلبك ولا تبح بها للناس خشية أن يحرقَ لهيبُ نارٍ لسانَك وأن تسبّب ألماً لجسدك وسوءاً لذكائك، وخشية أن يعتريك الخجل أمام الله وأمام البشر.

٣ ـ أي بنيّ، إذا ما سمعت كلمةً فلا تكشفها لأحد ولا تقل شيئاً عما ترى.

٤ ـ أي بنيّ، لا تحلّ عقدةً خفيّة ولا تقم بختم عقدةٍ محلولة.

٥ ـ أي بنيّ وجّه مسلكك وكلماتك. استمع ولا تتسرّع في الإجابة.

٦ ـ يا بنيّ، لا ترغب بالجمال في الخارج، لأنّ الجمال يمضي ويزول. لكن الذكرى الطيّبة والسمعة الطيّبة تبقيان إلى الأبد.

٧ ـ يا بنيّ، لا تتخذ لنفسك امرأة ذات كلمات شكِسة، لأنّ الندم يلي هذه الكلمات، ولأنّ سمّاً قاتلاً تغلّفه شِباكها، وسوف تقع في فخّها.

٨ ـ يا بنيّ، إذا ما رأيت امرأة مزيّنة بحللٍ جميلة ومعطّرة بروائح طيّبة، ولكن داخلها[1] خسيس وشرس ووقح، على قلبك ألاّ يرغب بها. فحتى لو أنّك قدّمت لها كل ما لديك، سوف ترى أنّ ذلك لن ينتهي لما يمجّدك، ولكنك بذلك سوف تغيظ الله وتستنزل عليك غضبه.

٩ ـ يا بنيّ، لا ترتكب المعاصي مع امرأة غيرك خشية أن يرتكبها الآخرون مع امرأتك.

١٠ ـ يا بنيّ، لا تتعجّل في إجابتك وخطابك، مثل شجرة اللوز التي تورق وتخضوضر قبل جميع الأشجار ولا تعطي ثمارها إلاّ بعد جميع الأشجار. كن كالشجرة الجميلة والرائعة والحلوة الثمار وذات الطعم اللذيذ. كن مثل شجرة التين، التي تحني الثمار أغصانها، ثم تخضوضر وتنمو أوراقها فيما بعد، مع أن ثمارها تؤكل قبل أي ثمر آخر.

١١ ـ يا بنيّ، أحنِ رأسك، أمعنْ نظرك وانظرْ بتواضع وأعِرْ انتباهك. كن عالماً وخاضعاً ورضيّاً وهادئاً. لا تكن وقحاً ومشاكساً، ولا تجعل صوتك يرتفع بتبجّح وضجيج، لأنّه إذا ما كان الصوتُ المرتفع كافياً لإعمار بيتٍ، فالحمار يبني بيتين في يومٍ واحد، وإذا ما كانت القوة هي التي تجرّ المحراث، فالجمل يجرّه إذن بشكلٍ أفضل.

١٢ ـ يا بنيّ، الأفضل لك نقل حجارة مع رجلٍ حكيم من شرب الخمر مع رجل أحمق.

١٣ ـ يا بنيّ، أسكب خمرك واجعله يمتزج بتربة الرجل العادل[2].

---

(١) حرفياً: بيتها.
(٢) المقصود هو خمر التقدمة الذي يسكب على تربة الأموات.

١٤ ـ يا بنيّ، كن حكيماً وطيّباً، ولا تحتسِ خمرك مع النساء المشاكسات.

١٥ ـ لا تكن كافراً مع الحكيم، ولا تكن حكيماً مع الكافر.

١٦ ـ يا بنيّ، التحق بالحكماء وبالرجال الأتقياء، لكي تتشبّه بهم، ولا تشارك الشبان (الطائشين) لكي لا تشبههم وتتّبع طريقهم.

١٧ ـ يا بنيّ، إذا أحببت رفيقاً فامتحنه أولاً وبعد ذلك اتّخذه صديقاً لك. وطالما أنك لم تختبر هذا الرجل فلا تمدحه، بل اختبره وعاشره بعد ذلك.

١٨ ـ يا بنيّ، لا تمشِ مع من لا يتحلّ بالحكمة ولا تقل له شيئاً، ولا تختلط بمجموعة الشبان.

١٩ ـ يا بنيّ، إمشِ وأنت حافي القدمين، على الأشواك والعلّيق، وشقّ طريقاً لأبنائك ولأبناء أبنائك.

٢٠ ـ يا بنيّ، في كل مرّة تهبّ الريح ولا يكون البحر هائجاً، قُدْ سفينتك وقاربك إلى المرفأ، قبل أن يهتاج البحر، ويبدأ بالحركة، مضاعِفاً أمواجه وعواصفه ليغمر السفينة.

٢١ ـ خُذْ راحتك وأنت في طريقك وأثناء ترحالك، أي: في كل مرّة تكون فيها بصحّة جيّدة، فكِّر بنهايتك، وتذكّر أن الموت يقف بينك وبين ممتلكاتك.

٢٢ ـ يا بنيّ، عندما يأكل الرجل الغني الحيّات[1]، يقال إنه يأكلها ليبرأ من مرضٍ وفي ذلك فائدة له. وإذا ما أكلها الفقير، يقال إنه فعل ذلك بسبب الجوع؛ لأنه وراء حيّاتٍ كثيرة، نعتقد أننا نجد الرجل الصالح والعادل.

٢٣ ـ يا بنيّ، اكتفِ بأكل حصتك وحدها ولا تَشْتَهِ حصّة جارك.

٢٤ ـ يا بنيّ، لا تنسَ نفسَك (بصحبة) الأحمق ولا تُتاجر مع من ليس عفيفاً.

٢٥ ـ يا بنيّ، عندما تكون في غناك، تقدّم ممن يكرهونك، رائياً لحالهم، إذا ما أصابهم السوء وأشفِقْ عليهم، ولا تبتهج عند انهيارهم.

٢٦ ـ يا بنيّ، لا تقترب من المرأة المشاكسة ذات اللهجة المتعجرفة، ولا تشتهِ جمال

---

(١) قد تكون عشبة، اسمها ناحاش (Nahash) وردت تسميتها في التلمود.

المرأة الثرثارة وغير الطاهرة. لأن جمال المرأة هوسبب خزيها. وليس سوى بريق ثوبها وجمالها الخارجي هو الذي يأسرك ويخدعك.

٢٧ ـ يا بنيّ، بما أن القرط لا يفيد شيئاً في أذن الحمار الوحشي، كذلك فإن المرأة التي هي سيّدة مظهرها، لا قيمة لها إذا كانت سيّئة في كلامها وفي أفعالها، وكانت دون حكمةٍ، ثرثارة ومسهبة الخطاب.

٢٨ ـ يا بنيّ، إذا أتى إليك خصمك ناوياً الشرّ، فامشِ نحوه بنيّة الخير وأحسن استقباله.

٢٩ ـ يا بنيّ، يسقط الكافر، أما الرجل العادل فلا يتزحزح من مكانه.

٣٠ ـ يا بنيّ، إذا مرض الحكيم، يمكن للطبيب الاعْتناء به وشفاؤه، ولكن ليس هناك علاج لآلام الأحمق وجروحه.

٣١ ـ يا بنيّ، أحسن استقبال من هو أدنى منك مرتبةً وأقل غنًى، وإذا ما ذهب دون أن يردّ لك ذلك، فالله هو الذي يرده لك.

٣٢ ـ يا بنيّ، لا تتوقّف عن معاقبة ولدك، لأن معاقبة الابن هي مثل السّماد في البستان، ومثل رباط كيس المال، ومثل عنان الدابة، وقضيب إزلاج الباب.

٣٣ ـ يا بنيّ انتزع ابنك من براثن الشرّ، لكي تضمن الطمأنينة في شيخوختك، علّمه وعاقبه طالما هو فتًى، واجعله طيّعاً لأوامرك، حتّى لا يصيح، بعد فترة في وجهك ويثور عليك وحتى لا يكون سبباً لخجلك بين أقرانك، وألاّ يضطرك لإحناء رأسك في الأماكن العامة وعلى مفارق الطرق، وحتى لا تحمرّ خجلاً من سوء أعماله، وحتّى لا تحطّ من قدرك بسبب وقاحته وفساد أخلاقه.

٣٤ ـ يا بنيّ، اقتنِ ثوراً مجترّاً وحماراً قوي القوائم، لا تقتنِ ثوراً أقرن ولا تشارك رجلاً ملتحياً(؟)[١]

٣٥ ـ يا بنيّ، لا تمتلك عبداً مشاكساً ولا خادمة مختلسة لأنهما سوف يدّعيان فقدان كل ما يُعهد به إلى أيديهما.

٣٦ ـ يا بنيّ، أقوال الرجل الكذّاب والأحمق، تشبه سمنة العصافير التي تطير في

(١) في نسخة ثانية ورد تعبير «رجلاً سيئاً» وهو الأصح.

الهواء، لا يستمع إليها إلاّ عديم الذكاء.

٣٧ ـ يا بنيّ، لا تجبر أبناءك على تحمّل عيشة فقر، خشية لعنتهم لك، مما يجعل غضب الله ينصبّ عليهم، لأنه كتب: «من لعن أباه وأمه، يقتل قتلاً»[١]، وهذا هو الذنب الذي يغضب الله ـ وكذلك: «من أكرم أباه وأمّه، تكون له حياة مديدة وممتلكات كبيرة»[٢][٣].

٣٨ ـ يا بنيّ، لا تبدأ بسلوك طريقك دون سيف، واذكر الله في قلبك، لأنك لا تعلم متى يأتي الشياطين ورجال الشرّ لملاقاتك. كن مستعداً وأنت في طريقك، لأنه سيكون فيها كثير من الأعداء.

٣٩ ـ يا بنيّ، مثل شجرةٍ وافرةٍ ثمارها وأوراقها وفروعها، كذلك هو الرجل مع امرأةٍ ممتازة، وثماره هم أبناءٌ وإخوة. الرجل الذي لا زوجة ولا أولاد له، ولا إخوة في هذا العالم، سوف يزدريه ويحتقره أعداؤه ومثله مثل شجرةٍ قائمة على جانب الطريق: يطرقها المارة بأرجلهم ويأكلون من ثمارها ويجعل الحيوانُ الوحشيّ أوراقها تسقطُ وتتناثر.

٤٠ ـ يا بنيّ، لا تقلْ: «سيّدي مجنون وأنا عاقل»، بَلْ عليك أن تنظر إليه كرجلٍ ممتاز، حتى لو كانت فيه بعض العيوب، لأنك بذلك ستكون محبّباً لديه. لا تعدّ نفسك من بين الحكماء إذا كنت تجاه الناس لا تنتمي إلى هذه المجموعة.

٤١ ـ يا بنيّ، إذا لم تصل حديثك أمام سيّدك بكلمات حماقة وجنون فلن تكون ملوماً في نظره.

٤٢ ـ يا بنيّ، لا تكن من بين الذين يقول لهم معلّمهم: «أغربْ عن وجهي»، بل من بين الذين يقول لهم: «تقدّم وابقَ بقربي».

٤٣ ـ يا بنيّ، يوم يصيبك الحزن والسوء والألم، لا تختلف مع سيّدك ولا تلعنه، خشية أن يسمع كلماتك ويغضب عليك.

---

(١) «من شتم أباه وأمه يقتل قتلاً» (خروج ٢١: ١٧).

(٢) «أكرم أباك وأمك. كما أوصاك الرب إلهك لكي تطول أيامك ولكي يكون لك خير على الأرض التي يعطيك الرب إلهك» (تثنية ٥: ١٦).

(٣) من المرجح أن الاستشهادين الأخيرين هما من إضافة أحد النساخ.

٤٤ ـ يا بنيّ، إذا كان لديك خدم، فلا تحبّ أحدهم وتكره الآخر، لأنك لا تعلم أيّاً منهم سوف تختار في النهاية.

٤٥ ـ يا بنيّ، الخادم الذي يترك بيت أسياده ويذهب إلى آخرين، لا يحسّن من أحواله.

٤٦ ـ يا بنيّ، العنزة التي تتجوّل مضاعفة خطوها تصبح ضحيّة الذئب.

٤٧ ـ يا بنيّ، أصدر حكماً مستقيماً وعادلاً، لكي تستحق شيخوختك وقراها كريمة، ولكي ترتاح في شيخوختك.

٤٨ ـ يا بنيّ، لطّف لسانك بواسطة كلمات الله، واجعل كلمات فمك طيّبة. توجّه إلى كل واحد بطيبة ولباقة، لأن ذيل الكلب هو الذي يكسبه خبزه ونباحه يجرّ عليه الضرب والرمي بالحجارة.

٤٩ ـ يا بنيّ، لا تسمح للغير بالسير على رجلك، خشية أن يسير على صدرك، وهذا يعني، لا تسمح لخصمك الشيطان أن يجعلك ترتكب ذنباً صغيراً، خشية أن يدفعك إلى ارتكاب ذنب كبير.

٥٠ ـ يا بنيّ، أضرب العاقل وسوف تكون كالحمّى في صدره، ولكن إن أنت وجهت إلى الأحمق عدة ضربات بعصاك، فلن يتعلّم ولن يفهم شيئاً مما هو خيّر.

٥١ ـ يا بنيّ، إذا ما أرسلت رجلاً حكيماً لإنجاز عملك، فلا تزوده بنصائح مستفيضة، أو بتعليمات، لأنه سيقوم بعملك وفق ما يشتهيه قلبك، ولكن إذا أرسلت الرجل الأحمق، فلا تتحدّث معه أمام أحد، وأفضل لك أن تذهب أنت عوضاً عنه وألاّ تكلّفه، لأنّه لن ينجز عملك وفق إرادتك مهما طالت النصائح التي تعطيها له.

٥٢ ـ يا بنيّ، إذا ما أرسلت لاستقدام رجل غيرك، أقوى منك، فلا تجرح مشاعر الرجل المقتدر، خشية أن يقاوم ويسبّب لك أذىً دون أن تتوقع ذلك.

٥٣ ـ يا بنيّ، اختبرْ ابنك وخادمك بواسطة الخبز، أي بواسطة الأشياء الصغيرة أولاً، ثم بعد ذلك يمكنك أن تعهد إليه ما يخصك من الممتلكات.

٥٤ ـ يا بنيّ، غادر مسرعاً مائدة الأعراس والولائم، ولا تنتظر أن تمسح رأسك بالزيت والطيوب، خشية أن تجلب على رأسك الرضوض والندبات.

٥٥ ـ يا بنيّ، من كانت يده مليئة، يُعَدُّ حكيماً وكريماً، ولكن من كانت يده فارغة يُعَدُّ شريراً وفقيراً ومعوزاً ومحتاجاً ولا يكرّمه أحد.

٥٦ ـ يا بنيّ، ذقتُ الحَنظَلَ وأكلت المرّ ولكنّني لم أرَ ما هو أكثر مرارة من الفقر والفاقة.

٥٧ ـ يا بنيّ، كُبّلت بالحديد والرصاص وما رأيت شيئاً يماثل العار والوشاية.

٥٨ ـ يا بنيّ، حملتُ الملحَ والأحجار الكبيرة وما أثقلت عليّ مثل ما أثقل الذي يضحك ولا يبالي وهو يعيش في بيت عمّه والد زوجته.

٥٩ ـ يا بنيّ، علِّم طفلك الجوع والعطش، لكي يدير بيته وفق ما رأى.

٦٠ ـ يا بنيّ، لا تعلِّم الأحمق كلمات الحكمة والمعرفة، لأن كلماتي هي بالنسبة إليهم، كالذي يدهن جسده بالقار ليزيده سمنةً.

٦١ ـ يا بنيّ، إذا ما أصبحت فقيراً ومعوزاً، فلا تبح بمشاكلك لصديقك خشية أن يتحوّل إلى بخيل.

٦٢ ـ يا بنيّ، أعمى العينين أفضل من أعمى القلب، لأنَّ أعمى النظر يتبع طريق الحياة بينما يسير أعمى القلب على طريق الهوّة.

٦٣ ـ يا بنيّ، إذا زلَّ قدمُ رَجلٍ وسقط فهذا أفضل من ذنب خطيئة اللسان؛ لأنّه إذا قضى بسبب سقوطه، فإنه يتخلّص من سهام الغواية، بينما يوقعه ذنب اللسان في التجربة[1].

٦٤ ـ يا بنيّ، الصديق القريب يفوق الأخ البعيد، والسمعة الطيّبة أفضل من غنى العالم، لأن الغنى يتبدّد ويتشتّت، بينما السمعة الطيّبة تبقى دائمة.

٦٥ ـ يا بنيّ، يَفْنَى الجمالُ ويفسدُ ويتلاشى، ويتوقّف الوجود، يمرّ ويمضي، بينما السمعة الطيّبة لا تزول ولا تتوقّف ولا تمضي.

٦٦ ـ يا بنيّ، من لا راحة له في حياته فموته أفضل له من الحياة.

٦٧ ـ يا بنيّ، صوت البكاء والنحيب يطغى على أصوات الفرح والأعياد، وإنّ

---

(١) قد يكون القسم الأخير من إضافات النساخ.

صوت البكاء يجعل المرء يتعرَّف على ذنوبه ويكفِّر عنها.

٦٨ ـ يا بنيّ، كِسرة الخبز التي تقدِّمها بيدك إلى الفقير وأنت في عوزك تفوق مثقال (الفضة) الذي تعطيه وأنت في غناك. العنزة القريبة أفضل من الثور البعيد وعصفور تمسك به بيدك أفضل من مائة عصفور تطير في الهواء. إذا كنت محتاجاً وأبناؤك من حولك يكنِّسون (الغنى)، فهذا أفضل من أن تكون كثير الغنى وأبناؤك يبذِّرون. وثعلب حيّ، أفضل من أسدٍ ميت وهذا يعني: أن رجلاً ضعيفاً يقدِّم خدمةً هو أفضل من رجلٍ غنيٍّ، بخيل وسيِّء. وهذا الأخير يموت في الخطيئة.

٦٩ ـ يا بني، إنَّ وزنةً من الصوف أفضل من وزن مماثل لها من الذهب أو الفضة، لأنّ الذهب والفضة يخبّآن ويشتري لهما كيس لحفظهما، فلا يراهما أي غريب، بينما يتمّ عرض الصوف ويباع في الشوارع وفي الساحات العامة؛ كما يستعمل الصوف لصنع الألبسة وجميل هو منظره.

٧٠ ـ يا بنيّ، ادفن كلمتك واخفها في قلبك ولا تبح بسرّ رفيقك، لأنّك إذا ما بحت به، تدفع بصداقته بعيداً عنك.

٧١ ـ يا بنيّ، لا تتلفَّظ بكلماتٍ من شأنها أن تحزن قلبك فيما بعد. الأفضل لك أن يزلّ قدمك من أن يزلّ لسانك.

٧٢ ـ يا بنيّ، إذا سمعت كلمة سيِّد حكمة، استرها واخفها في قلبك، مادمت حيّاً في هذا العالم، وطالما أنت تتأمَّلها في قلبك، إحفظها لديك.

٧٣ ـ يا بنيّ، لا تتسرَّع في أحكامك ضد الرجال المشهورين، المتفوقين في عظمتهم وفي قدرتهم، لأنه من السخرية ومن كلمات الازدراء يأتي الغضب والشقاق. فكلمة الغضب تسبِّب إيقاظ الهياج، ومن الهياج يأتي الشقاق وبعد الشقاق تأتي الجريمة. إذا ما وجدت نفسك في مثل هذا المكان وبقيت فيه، فإمّا أن تُقتل وإمّا أن ينادى عليك كشاهد؛ إنّهم سيطلبونك ويضطرونك للشهادة، وبعد ذلك فسوف تتألَّم. وبسبب الخجل أو الخوف فإنّك سوف تقدِّم شهادة كاذبة وهذا ما يعيبك. لذلك فأنا آمرك، أن تسرع بالهرب من المكان حيث يقع شجار، فبذلك سوف ترتاح روحك.

٧٤ ـ يا بنيّ العزيز، لا تختلف مع من هو أكبر منك سناً، لأنّه سيرضيك بحيث يكون الحكم إلى جانبك وتخرج منتصراً. لا تكن أحمق. أبعدْ الشجارَ وتغلَّب على الشرّ بالعمل الخيِّر.

٧٥ ـ يا بنيّ، إجعل قلبك صافياً طاهراً وتَحلَّ بالإرادة وبالتفكير المنزّه وبوضوح الرؤية. تصرَّف بتواضع واتَّبع طريق الاستقامة؛ عند ذلك لن يكون هناك أحد في العالم أفضل منك وستكون لك حياة سعيدة.

٧٦ ـ يا بنيّ، لا تبتعد عن صديقك الأول، خشية ألاّ يكون هناك أحد للحلول محله.

٧٧ ـ يا بنيّ، لا تدخل بستان القضاة، إخْشَ المحاكم، ولا تتزوّج من ابنة قاضٍ.

٧٨ ـ يا بنيّ، كن سنداً لصديقك وتلفَّظ من أجله بكلمات طيّبة أمام الحاكم، وانتزع مواضع ضعفه من فم الأسد.

٧٩ ـ يا بنيّ، لا تبتهج عندما يموت عدوّك، يا بنيّ، عندما تشاهد رجلاً أكبر منك سناً، إنهض أمامه.

٨٠ ـ يا بنيّ، عندما يتمكّن الرجل أن يقف دون إشغال المكان، ويطير العصفور بدون أجنحة، وعندما يصبح الغراب أبيض كالثلج ويصبح المرّ حلواً كالعسل، عند ذلك يمكن للأحمق أن يصبح حكيماً.

٨١ ـ يا بنيّ، إذا كنت كاهناً أمام الله، خذ حذرك منه واظهر أمامه في حالة الطهارة.

٨٢ ـ يا بنيّ، الرجل الذي غمره الله بنعمه، يجب أن يكون محترماً لديك.

٨٣ ـ لا تدخل في محاكمةٍ مع رجلٍ وهو في يوم عزّه، ولا تقاوم النهر حين يأتي الغمر.

٨٤ ـ يا بنيّ، عَيْنُ الرجل مثل سبيل ماء. إنّها لا تشبعُ قبل أن تمتلىء بالغبار(؟)

٨٥ ـ يا بنيّ، لا تسكن بجوار أناس دأبهم الشجار.

٨٦ ـ يا بنيّ، بعد الممازحات تأتي المشاجرات ثم المعارك وأخيراً الجريمة.

٨٧ ـ يا بنيّ، إذا أردت أن تصبح حكيماً، أبعدِ الكذبَ عن فمك والسرقة عن يدك، وتصبح حكيماً.

٨٨ ـ يا بنيّ، لا تدخل في ترتيب خطبة امرأة، لأنّها إذا ما عرفت الندم، سوف تلعنك وإذا ما عرفت السعادة فلن تتذكّرك.

٨٩ ـ يا بنيّ، الذي يلمع بلباسه، يلمع أيضاً بحديثه، والذي يُزدرى بلباسه، هو كذلك في حديثه.

٩٠ ـ إذا ما عثرت على شيء أمام معبود، قدّم له حصّته منه.

٩١ ـ يا بنيّ، عليك أن تمدّ اليد الجائعة التي كانت شبعانة وليس اليد التي كانت جائعة وهي شبعانة.

٩٢ ـ يا بنيّ، على عينيك ألاّ تنظر إلى المرأة الجميلة ولا إلى الجمال الذي ليس لك، لأن الكثيرين هلكوا بسبب جمال المرأة، كما أن حبّها هو كنارٍ محرقة.

٩٣ ـ يا بنيّ، (أفضل لك) أن يوجّه إليك الحكيم عدة ضربات بعصاه من أن يمسحك الأحمق بالزيت المعطّر.

٩٤ ـ يا بنيّ، على رجلك ألاّ تركض دوماً نحو صديقك، خشية أن يشبع منك ويبدأ بكرهك.

٩٥ ـ يا بنيّ، لا تحمل خاتماً ذهبياً في يدك، إذا لم تكن كثير الغنى خشية أن تصبح مسخرية أمام الحمقى.

(IV) ـ أحيقار يتوقف عن كلماته الحكيمة المعدّة لتعليم نادان كي يُطلع الملك بعد ذلك على ما فعله نادان ضد ممتلكاته وأمواله

١ ـ عند ذلك، أنا أحيقار، بعد أن قمت بتعليم نادان، ابن أختي هذا النهج؛ اعتقدت أنّه سوف يحتفظ به في قلبه، وسيبقى في البلاط الملكي[1]. ولم أكن أعلم أنّه لم يكن يستمع إلى كلماتي، بل كان ـ كما يقال ـ يرميها في الهواء.

٢ ـ فقد اعتاد على القول: «أحيقار أبي، شاخَ وفقد عقله». كما أنَّ نادان ابني،

(١) حرفياً أمام باب الملك.

خصّ نفسه بقطعاني وبدّد أموالي، ولم ينجُ من شرّه أخلص خدمي، الذين ضربهم أمامي، وكذلك دواب الجرّ خاصّتي وبغالي التي أماتها.

٣ ـ عندما رأيت ما كان يفعله نادان قلتُ له: «يا بنيّ لا تمسّ أملاكي لأنه قيل في الأمثال: ما لم تستحصل عليه اليد، لا تحترمه العين».

٤ ـ وأعلمت بكل ذلك سيّدي الملك الذي أمر (بما يلي): «لا أحد يقترب من أملاك أحيقار الكاتب، وكذلك، طالما بقي أحيقار على قيد الحياة، فلا يحق لأحدٍ الاقتراب من أملاكه ومن بيته».

(V) ـــ وبسبب أخذ أحيقار أخَ نادان لتربيته:

١ ـ عندما رأى نادان، أنني أخذت أخاه الصغير نابوزاردان[1] لأقوم بتربيته، جاء إليّ في بيتي وأظهر استياءه أمامي بسبب ذلك.

٢ ـ حَسَده نادان، وجالت في رأسه أفكار سيّئة، وكان يقول بسبب ذلك: «أحيقار أبي، شاخ وزالت حكمته وأصبحتْ كلماته عقوتة، فهل سيمنح ممتلكاته إلى أخي ويطردني من بيته؟؟»

٣ ـ سمع أحيقار كلمات نادان، وعمد إلى التفكير، ثم أجاب نادان قائلاً: «اجعل الحكمة تتولّد فيك من جديد لأنها نقصت كثيراً لديك».

٤ ـ غضب ابني كثيراً بسبب هذه الكلمات، وفي قلبه أعدّ شرّاً ضدّي. فذهب إلى بلاط الملك لتنفيذ هذا الشر الذي كان في قلبه، جاعلاً كأنّ أحيقار كان قد كتب ـ أو على الأقلّ أمر أن تكتب باسمه ـ رسائل سيّئة، وكأنّ نادان اكتشفها لتوه في البلاط.

٥ ـ كان يتعلق الأمر برسالتين، كُتبتا باسمي إلى الملوك أعداء ستحريب، إحداهما كانت موجّهة إلى ملك فارس وعيلام كتبها هكذا:

(١) (Nabouzardan) يشار في نسخة أخرى إلى معنى هذا الاسم: نابو ـ منح ـ عطية.

٦ ـ «من قبل أحيقار الكاتب، وحامل أختام الملك سنحريب تحية! عندما تصلك هذه الرسالة. اخرج لتوّك (بجيشك) وتقدّم من بلاد آشور وأنا أسلمك إياها. وتأخذ كل هذا البلد بدون حرب وبلا معركة».

٧ ـ كما أنّه وجّه باسمي أيضاً، رسالة ثانية إلى الفرعون، ملك مصر، كتبها على هذا الشكل:

٨ ـ «عندما تصلك هذه الرسالة، اخرج أمامي في سهل الجنوب في الخامس والعشرين من شهر آب[1] وأنا أقودك إلى نينوى، وتستولي على المملكة دون مقاومة.

٩ ـ وجعل هاتين الرسالتين مماثلتين للرسائل التي كنت أكتبها بيدي وختمها بخاتمي ورماهما في إحدى قاعات الملك.

(VI) ـ كما كتب نادان رسالة
موجهة من الملك إلى أبيه أحيقار

١ ـ كتَبَ أيضاً رسالةً أخرى وكأنّها موجّهة من قبل سيّدي الملك: «من أسرحدّون إلى أحيقار كاتب الملك، تحيّة!

٢ ـ عندما تصلك هذه الرسالة، اجمع كامل الجيش في الجبل وتوجّه به إلى سهل النسور في الخامس والعشرين من شهر آب، وعندما تشاهدني أقتربُ منك، رتّب فرقَك أمامي وكأنّك تستعد للحرب، لأن رسل الفرعون ملك مصر أتوا إليّ وسوف يرونَ مقدار قوّتي.

٣ ـ أرسل لي نادان ابني، هذه الرسالة بواسطة رجلين.

---

(١) آب البابلي: يعادل تموز/آب.

(VII) ـ كيف سلّم نادان إلى الملك الرسالة التي كتبها باسم أحيقار

١ـ عند ذلك، أمسك ابني نادان إحدى الرسالتين وكأنّه اكتشفها لتوّه وقرأ محتواها أمام الملك.

٢ ـ غضب الملك كثيراً لدى سماعه محتواها وسخط على أحيقار قائلاً: «أيها الإلّه! ما الذنب الذي ارتكبتُهُ ضدّك وضد أحيقار لكي يعاملني على هذا الشكل؟».

(VIII) ـ جواب نادان إلى الملك بصدد أحيقار

١ ـ عند ذلك أجاب نادان قائلاً للملك: «لا تحزن يا سيدي الملك، دعنا نذهب إلى سهل النسور كما هو مكتوب في هذه الرسالة وسوف نعرف عندئذٍ الحقيقة وكل ما تأمر به سينفّذ.

٢ ـ أمر الملك بالاستعداد للذهاب إلى السهل، لكي يطّلع على حقيقة هذه القضية. ورافق ابني نادان الملك، وأتيا فوجداني مع الجيش الذي كان يرافقني في سهل النسور.

٣ ـ وعندما رأيت الملك يتّجهُ نحوي، جعلت ترتيب الجيش مواجهة له في وضعية المعركة وكأنّه في حالة الحرب وذلك وفقاً لما حدّدته لي الرسالة التي كان قد وجّهها إليّ ابني.

٤ ـ وقال ابني للملك: «عد مطمئناً إلى قصرك يا سيدي، وأنا سوف أجلب أبي أحيقار ليمثل أمامك» وغادر الملك متوجّهاً إلى قصره.

(IX) ــ كيف أنجز نادان مهمته
ضدّ أحيقار أبيه

١ ـعند ذلك، اقترب مني نادان ابني وباشر بالكلام قائلاً: الملك أرسلني إليك لأقول لك: كل ما عملته، أجدت عمله، والملك يمدحك كثيراً. والآن اصرف جنودك، وليذهب كل منهم إلى مقرّه، أما أنت فتعال بقربي وحدك.

٢ ــ عند ذلك أتيت أمام الملك، وعندما رآني قال لي: «لقد قدمت إليّ يا كاتبي أحيقار وكنت الأب المغذّي لآشور ونينوى. وأنا منحتك التكريم والراحة ولكنك تخلّيت عنّي وأصبحت أحد أعدائي. ثمّ سلّمني الرسالة التي كانت مكتوبة باستعمال اسمي والتي كانت مختومة بختمي.

٣ ــ وقال لي الملك: «إقرأ هذه الرسالة». وبعد أن قرأتها، اهتزّت أطرافي ورفض لساني أن يسعفني، كنت أفتش عن كلماتٍ حكيمة، ولكنني لم أجد آياً منها.

٤ ــ ثم باشر نادان ابني كلامه قائلاً: «انسحب من حضرة الملك أيها العجوز الأحمق ومدّ يديك للحبال ورجليك للحديد».

٥ ــ عند ذلك أدار الملك أسرحدّون وجهه عنّي وتكلّم مع نابوسيماك[1] الجلاّد الذي كان صديقي قائلاً له: «اذهب واقتل أحيقار، واجعل رأسه على مائة ذراعٍ من جسده». انبطحت عند ذلك ووجهي يلامس الأرض ولاءً للملك وقلت:

٦ ــ سيّدي الملك، عش إلى الأبد! تريد إذن قتلي، فلتكن إرادتك. ولكنني أعلمُ أنني لم أرتكب ذنباً ضدّك. وأرجو منك يا سيّدي الملك إصدار أوامرك، أن أقتل أمام باب بيتي وليُعطَ جسدي كي يدفن. فأمر الملك بذلك.

---

(١) (Nabusemak) يعني بالعبرية البابلية (نابو ـ سَنَد) وقد يكون تحريفاً لاسم (نابو ـ شوم ـ أوكين) بمعنى (نابو ـ نصَّبَ ـ إبناً).

(X) ـ احيقار يبلغ الحكم عليه بالإعدام إلى زوجته إيسفاجني[1]

١ ـ أنا أحيقار، أرسلت من يقول لزوجتي: «أعدّي للقائي ألف صبيّةٍ مرتديات الكتان الناعم والأرجوان والزعفران ليرقصن أمامي ويندبنني حتى موتي.

٢ ـ أعدّي الخبز للجلاد نابو سيماك صديقي وللپارتيين[2] المرافقين له. أخرجي للقائهم وأدخليهم بيتي بحيث أتمكّن من دخوله وكأنّني غريب».

(XI) ـ كيف خرجت إيسفاجني زوجة أحيقار امامه

١ ـعندما تلقّت زوجتي الرسل الذين وجّهتهم إليها، تصرّفت بحكمةٍ فائقة ونفّذت كل ما طلبتُه منها.

٢ ـ خرجت أمام نابو سيماك والپارتيين وأدخلتهم إلى بيتها.

٣ ـ كما قدّمت إيسفاجني خبزاً إلى نابوسيماك وإلى الپارتيين وسكبت لهم الخمرة. واستمرت إيسفاجني على جعلهم يحتسونها حتّى أصبح الجميع ثملين وغلبهم النوم.

٤ ـ وعندما ثمل الپارتيون من جرّاء تأثير الخمرة، غرقوا في سباتٍ عميق ونام كل واحد منهم في مكانه.

---

(١) (Esfagni) اسم بابلي تمّ تحريفه من قبل النساخ.

(٢) (Parthes) من الصعب تفسير مرافقة بارتيين للجلاد وهم سيثيون (Scythes) تمركزوا في الألف الثالث ق.م. إلى الجنوب من بحر قزوين وهم الذين ثاروا فيما بعد على الحكم السلوقي في منطقتهم.

٥ ـ فحمدت الله، سيد السّماوات والأرض لكل ما حدث وقلت: «يا إلهي، يا منقذ العالم، أنت الذي يعلم ما كان وما سيكون أنظر إليّ بعين الرحمة أمام نابوسيماك».

(XII) ـ أحيقار يطلب من نابوسيماك عدم إعدامه

١ ـ عند ذلك، أنا أحيقار، ما أن شاهدت ذلك، حتى باشرت بالحديث وقلت لنابوسيماك.

٢ ـ إرفعْ نظرك نحو السماء يا نابوسيماك وانظر إلى الله. تذكّر الخبز والملح اللذين أكلناهما معاً ولا تعزم على قتلي.

٣ ـ تذكّر أن والد سيّدي الملك كان قد دفعك إليّ أيضاً لكي ينفذ فيك حكم الإعدام ولم أقم بذلك لأنني عرفت بأنك لم تكن مذنباً. وأبقيت على حياتك حتى اليوم الذي طلبك فيه الملك، وعندما جلبتك أمامه منحني هدايا عديدة.

٤ ـ أما أنت، فأنقذني الآن، بحيث لا ينتشر الخبر، ليقال: «لم يُنَفّذ فيه حكم الإعدام» ـ لديّ في السجن رجل يستحق الموت. خذ ثيابي وألبسه إياها وأنا لن أموت لأنني لم أذنب.

٥ ـ عندما قلت ذلك، ملأ الحزن قلب الجلاّد نابوسيماك صديقي بصددي، فأخذ ثيابي وألبسها للعبد الذي كان في السجن، ثم أيقظ البارتيين، الذين استفاقوا وهم تحت تأثير الخمرة وأعدموه وأبعدوا رأسه على مسافة مائة ذراع عن جسده وسلّموا جثته لكي تدفن.

٦ ـ عند ذلك انتشر الخبر في نينوى وفي بلاد آشور، بأن أحيقار تمّ إعدامه.

(XIII) ـــ أحيقار الكاتب في مخبئه

١ ـ عند ذلك، قام نابوسيماك مع زوجتي إيسفاچني، بإعداد مخبأ لي تحت سطح الأرض، عرضه ثلاثة أذرع وطوله أربعة وارتفاعه خمسة أذرع، وأعطاني خبزاً وماء، ثم ذهب لإعلام سيّدي الملك، بأن أحيقار تمّ إعدامه.

٢ ـ وقال الملك: «إن آلام أحيقار وَقَعَتْ عليّ أنا، أنتَ الكاتب والحكيم الذي كنت تدفع الأذى عن المدينة، جعلتُك تموت بناء على كلمات صبيّ».

(XIV) ـــ كيف أصدر الملك أوامره إلى نادان لكي يقيم من أجلي احتفالاً جنائزياً وحداداً

١ ـ قام الملكُ عند ذلك، باستدعاء نادان ابني وقال له: «إذهب وأقم احتفالاً جنائزياً لأبيك».

٢ ـ عند ذلك، أتى نادان إبني إلى بيتي، ولم يقمْ احتفالاً جنائزياً ولم يقم لي أيّة ذكرى، ولكنّه جمع نساءً عاهرات وأجلسهنّ للأكل والشرب وسط الغناء والابتهاج.

٣ ـ قتل وجرّد وضرب خدمي وخادماتي، حتّى أنه لم يحترم زوجتي التي ربّته وطلبَ منها أن ترتكب معه أعمال زنىً وفسق.

(XV) ـــ صلاة أحيقار في توجّهه إلى الله

١ ـ من داخل حفرتي المظلمة، كنت أسمع أصوات طباخيّ ومعلّمي صنع الحلوى وكذلك خبازيّ الذين كانوا ينوحون ويبكون.

٢ ـ وبدون توقف، كنت أوجّه صلاتي إلى الله الحي أبدياً.

٣ ـ بعد عدة أيام، جاء نابوسيماك، فتح لي وأعطاني خبزاً وماء. فقلت له: إذكرني أمام الله وبالنسبة لما شاهدت، قل له:

٤ ـ «أيها الإله، ياذا العدالة والطيبة. كما في السماء كذلك على الأرض، كان أحيقار بحمايتك حتى الآن، وكان يضحي أمامك الثيران السمان، وها هو اليوم يمكث في حفرة مظلمة، لا يدخلها النور. إسمع يا إلهي صوت خادمك واشفق عليه».

(XVI) ـ رسالة فرعون الموجهة إلى أسرحدون ملك آشور ونينوى[1]

١ ـ عندما علم ملك مصر بوفاتي، أنا أحيقار، فرح فرحاً عظيماً وبعث برسالة إلى أسرحدون:

٢ ـ «من ملك مصر، إلى أسرحدون ملك آشور ونينوى، تحية.

٣ ـ يجب أن أبني حصناً بين السماء والأرض. أوفد إليّ رجلاً حكيماً ومهندساً معمارياً لكي أكلّفه بكل شيء، ويكون قادراً على إجابتي حين أستجوبه.

٤ ـ إذا ما قام الرجل الذي ستوفده، بتنفيذ كل ما أطلب منه، فسوف آمر بالجباية، وأرسل لك بواسطته جزية مصر لثلاث سنوات. وإذا لم توفد إليّ رجلاً، يستطيع تنفيذ كل ما أطلب، فمع الرسول الذي حمل رسالتي، قم عند ذلك بالجباية، وأرسل لي جزية آشور ونينوى مُدَّة ثلاث سنوات».

---

(١) سوف يرد أكثر من مرة فيما بعد تعبير: ملك آشور ونينوى، ويُقصد مدينتا آشور ونينوى تعبيراً عن مملكة بلاد آشور.

(XVII) ـ كيف جمع أسرحدون كبار مملكته وأعلمهم برسالة فرعون

١ ـحين قُرئت هذه الرسالة أمام الملك، جمع كبار مملكته والحكماء والمجوسيين والعلماء وقال لهم: «من منكم سيذهب إلى مصر ويجيب عن أسئلة فرعون؟».

٢ ـ أجاب النبلاء الملك وقالوا له جميعهم: «أنت تعلم يا سيّدي الملك. أنّه في زمنك وفي زمن أبيك، كان أحيقار الكاتب هو الذي يقدّم الأجوبة على أسئلةٍ من هذا النوع. والآن فإن نادان ابنه الذي تعلّم منه مهنة الكتابة ولُقّن الحكمة سوف يتوجه (إلى مصر) ويحلّ هذه القضية.

(XVIII) ـ استدعاء نادان أمام الملك

١ ـعندما استمع نادان إلى هذه الكلمات، رفع صوته عالياً أمام الملك وقال له: «الآلهة أنفسهم، لا يستطيعون تنفيذ ذلك، فكيف إذن لبشري أن ينجح».

٢ ـ تملّك الحزن والهمّ الملك، لدى سماعه هذه الكلمات، فغادر عرشه وجلس على كيس وبكى.

٣ ـ وكان يردّد أثناء بكائه: «واحسرتي عليك يا أحيقار الكاتب الذي أعدمتك بناء على كلمة صبي، ولم يبق لي أحد يماثلك. من سيعيدك إليّ اليوم؟ من يفعل ذلك أعطيه وزنك ذهباً!».

(XIX) ـ كيف حاول نابوسيماك إعلام الملك بصدد أحيقار الكاتب

١ ـ عندما سمع نابوسيماك الملك يتلفظ بمثل هذه الكلمات سجد أمامه بإجلال وقال: «أيها الملك، عش إلى الأبد! من يزدري بكلمات سيّده يستحق الموت أصدر أمرك إذن بصلبي على الخشب[1] لأنني خالفت كلمتك، فأحيقار الذي طلبت مني قتله لا يزال حيّاً».

٢ ـ أجاب الملك نابوسيماك قائلاً: «تكلّم يا نابوسيماك، فأنت رجل طيّب وعادل وغير قادر على ارتكاب السوء؛ إذا كان حقاً ما تقول، وإذا ما أريتني أحيقار حيّاً، فأنا أعطيك هدايا عظيمة: عشرة آلاف مثقالٍ من الفضّة ومائة رداء أرجواني».

٣ ـ عندما سمع نابوسيماك الملك يتكلم هكذا بدأ بالقول: «أرجو سيدي أن يعدني بشيء واحدٍ وهو أنه سوف ينسى هذا الذنب ولن يحتفظ بسببه بغضبٍ ضدي»، فأقسم له الملك على ذلك بابتهاج.

(XX) ـ كيف حزر نابوسيماك أحيقار الكاتب

١ ـ عند ذلك ركب نابوسيماك لتوّه عربة وانطلق بسرعة وكأنه ريح شديدة.

٢ ـ فتح لي وصعدت. لم أخذَلْ لأنني عقدت أملي على الله.

---

(١) من تعديلات أحد النساخ.

(XXI) ــ نابوسيماك يقود أحيقار أمام الملك

١ ـ سجدت على الأرض وكان شعري يغطّي كتفيّ ولحيتي تصل إلى صدري. وكان جسدي متسخاً بالتراب وأظافري تعادل في طولها مخالب النسر.

٢ ـ عندما رآني الملك بكى كثيراً وقال لي: «يا أحيقار، أنا ما أسأت إليك وإنما الابن الذي ربّيته، هو الذي أساء إليك».

(XXII) ــ جواب أحيقار إلى الملك

١ ـ عند ذلك قلت للملك: «سيّدي، الآن وبعد أن رأيت وجهك فلم أعد أتألم.

٢ ـ أجابني الملك عندئذٍ قائلاً: «إذهب إلى بيتك، قص شعرك واغسل بالماء جسدك ثم قم باستجماع أفكارك والتأمل لمدة أربعين يوماً وبعدها تأتي إليّ.

٣ ـ ذهبت إذن إلى بيتي وعملت ما أمرني به سيدي الملك وبقيت عشرين يوماً[1] في بيتي وبعد أن استعدت قواي[2] عدت لأمثل أمام الملك.

(XXIII) ــ عندما عاد أحيقار لجوار الملك بعد خروجه من مخبئه، أعلمه الملك بالرسالة الموجهة من قبل الفرعون ملك مصر

عند ذلك تابع الملك قائلاً لي: «أرأيت يا أحيقار، كيف كتب لي المصريون، وأيّة

---

(١) أربعون يوماً في نسخة ثانية.
(٢) حرفياً: قوّيت روحي.

جزية يريدون فرضها على آشور ونينوى!».

(XXIV) ـ أحيقار يجيب الملك

١ ـ أجبته عند ذلك وقلت: «سيدي الملك، عش دوماً! لا تهتمّ ولا تحزن بسبب هذه القضية، سأذهب إلى مصر وأقدّم الإجابة. سوف أقدم إلى جميع أعدائك الأحجية والحل وسأجلب لك جزية مصر لثلاث سنوات».

٢ ـ فرح الملك كثيراً لهذه الكلمات وجعل من ذلك اليوم، يوماً عظيماً للابتهاج. كان الألم قد برح روحه، وضحّى ثيراناً وخرفاناً ومنحني هدايا ثمينة.

٣ ـ كما جعل نابوسيماك فوق الجميع ومنحه رتبةً عالية.

(XXV) ـ أحيقار يوجّه رسالة لإيسفاجني زوجته

١ ـ كتبت بعد ذلك رسالة إلى إيسفاجني زوجتي:

٢ ـ «يا زوجتي، عندما تصلك هذه الرسالة، أصدري أوامرك إلى الصيادين بأن يأسروا لي نسرين فرخين، وقولي لخدمي أن يجلبوا لي خيط كتّان وأن يصنعوا منه حبلين بسمك أصبع واحدة وطول كل منهما ألف ذراع. واطلبي أيضاً من الحدّادين صنع قفصين.

٣ ـ سلّمي خادميّ نابوهائيل[1] وطيشالوم[2]، إلى سبع نساءٍ مُرضعات، لإرضاعهما لكي يكبرا. وضعي بقربهما النسرين الفرْخَين لكي يكبرا معاً، وأعطيهما كل يومٍ نعجتين كغذاء لهما.

---

(١) (Nabouhaïl) اسم آرامي بمعنى نابو ـ هائل.
(٢) (Tebšalom) اسم آرامي بمعنى طيب هو السلام.

٤ ـ وليتعلّم الطفلان ترديد: «أجلبوا التراب المجبول والطين، فالمهندسون، ضيوف الملك، يريدون الاستمرار في العمل».

٥ ـ وكانت زوجتي بارعة جداً، فأعدّت كل ما أوصيتها به، ثم جاءني أمر الملك بالذهاب إلى مصر.

(XXVI) ـ الذهاب إلى مصر

١ ـ فرح الآشوريون وأهل نينوى كثيراً لهذا الخبر، وعادوا إلى مساكنهم.

٢ ـ وأنا أجبت الملك: «سيّدي الملك، إسمح لي بالذهاب إلى مصر» وعندما أمرني بذلك أخذت معي فرقة من الجنود وذهبت.

٣ ـ وعند حلول استراحة المساء، بدأت بصرف الجنود، ثم أخرجت النسرين الفرْخين وربطت الحبل برجل كل منهما، وجعلت ابنيّ يركبان عليهما وأفلتهما فصعدا عالياً في الهواء.

٤ ـ وكان الطفلان يصيحان كما تعلّما ذلك: «أجلبوا الطوب والوحل والطين، فإن المعماريين، ضيوف الملك بحاجة لذلك» بعد ذلك أعدتهما لقربي.

(XXVII) ـ دخول أحيقار إلى مصر مع رسل فرعون

١ ـ عندما وصلت إلى مصر، فإن خدم الملك أعلموه بذلك. وأمر الملك أن يأتي أحيقار أمامه.

٢ ـ دخلت عليه وحيّيته، ثم قال لي: «ما اسمك؟»، أجبت: «ابيقام[1] إحدى نملات ملك نينوى».

---

(١) (Abiqam) اسم آرامي بمعنى أبي ـ قام.

٣ ـ عندما سمع ذلك فرعون، احتدّ وقال: «هل سيدك يزدري بي إلى هذا الحد ليرسل إليّ نملة للإجابة على طلبي!».

٤ ـ ثم قال لي بعد ذلك: «إذهب يا أبيقام إلى مقرّك، ثمّ انهض في اليوم التالي وعد لمقابلتي».

٥ ـ وأمر الملك كباره أن يرتدوا ألبسة حمراء. ولبسَ هو نفسه في الصباح ألبسة من البوسّوس[1] والأرجوان، وجلس على عرشه وجلس كباره أمامه ومن حوله.

٦ ـ ثم أدخلني إلى حضرته وسألني: «بمن يمكن أن أُشبّه يا أبيقام وإلى من يُشبّه كِباري؟» فأجبت: «أنت يا سيدي الملك تشبه الإلّه بِل[2] وكبارك يشبهون كهنته».

٧ ـ قال لي عندئذٍ: «إذهب يا أبيقام وعدْ في الصباح التالي».

٨ ـ ثم أمر الملك كباره أن يستبدلوا ألبستهم بالكتان الأبيض وارتدى الأبيض هو أيضاً وجلس على عرشه وكباره يقفون أمامه ومن حوله.

٩ ـ أدخلني إلى حضرته وقال لي: «بمن يمكن أن أُشبّه وإلى من يُشبّه كباري؟» فأجبته: «أنت تشبه الشمس وكبارك أشعتها».

١٠ ـ وقال لي كذلك: «إذهب يا أبيقام وعد إليّ في الصباح.»

١١ ـ ولليوم التالي، أمر كباره بارتداء ألبسة سوداء. وتمّت تغطية أبواب القصر[3] بأقمشة سوداء وقرمزية، وارتدى الملك لباساً قرمزياً ثم أمر بإدخال أبيقام.

١٢ ـ دخلت عليه، فقال لي: «بمن يمكن أن أُشبّه يا أبيقام وإلى من يشبه كباري؟» فقلت له: «أيها الملك أنت تشبه القمر وكِبارك من حولك هم النجوم».

١٣ ـ قال لي بعد ذلك: «إذهب يا أبيقام وعد إليّ في الصباح التالي».

١٤ ـ أمر فرعون كباره بارتداء ألبسة مصبوغة بمختلف الألوان كما أن أبواب القصر كان يجب أن تغطّى بأقمشة حمراء ذات درجات لونية متعدّدة وارتدى الملك ألبسة منسوجة ذات ألوان متباينة. ثم أدخل فرعون أحيقار.

---

(١) (Bussos) اسم يوناني لقماش نفيس يقدّره القدماء.

(٢) (Bel) إلّه بابل وهو لقب لمردوك.

(٣) وردت هنا تسمية المعبد خطأً من قبل الناسخ عوضاً عن القصر.

١٥ ـ حين دخلت قال لي: «بمن يمكن أن أشبّه وإلى من يُشبّه كباري؟»، أجبته: «أنت تشبه نيسان وكبارك يشبهون أزهاره».

١٦ ـ عندما سمع الملك ذلك فرح كثيراً وامتلأ قلبه بهجةً، وقال لي «يا أبيقام، أنت تشبهني مرة أولى بالإلّه بل وكباري بكهنته، ومرة ثانية شبّهتني بالقمر وكباري بالنجوم وشبهتني مرّة ثالثة بنيسان وكباري بأزهاره[1]. قل لي إذن بمن تُشبّه أسرحدون سيّدك؟».

(XXVIII) ـ أحيقار يجيب فرعون

١ ـ أجبته قائلاً: «فليحفظني الله أيّها الملك أن أتكلم على أسرحدون سيّدي وأنت جالس لأن سيدي أسرحدّون يشبه إلّه السماء وكباره البروق. يجمّد الندى والمطر، عندما يريد فيكون البَرَد. يُصعِدُ الأبخرة إلى سمٰوات ملكه. إنه يهدّ ويزأر ويمنع الشمس من الشروق وأشعّتها من الظهور؛ إنه يمنع بِل وكهنته من الذهاب والإياب في الساحات العامة.

٢ ـ إنه يمنع القمر من الشروق والنجوم من السطوع. وإذا ما أراد إصدار أوامره إلى ريح الشمال، يضعُ البَرَد والمطر فيضربان نيسان ويخسر أزهاره». عندما سمع الملك ذلك احتدّ غضبه.

(XXIX) ـ فرعون يسأل أحيقار عن اسمه

١ ـ قال فرعون: «بحياة سيّدك أسرحدون، ما اسمك؟».

٢ ـ أجبته: «أنا أحيقار الكاتب وخاتم الملك أسرحدون الذي بين يديه».

---

(١) تمّ نسيان تشبيه الشمس وأشعتها من ضمن التشابيه المعدّدة.

٣ ـ فقال لي فرعون: «أنت حيّ إذن؟» فأجبته: «أنا حيّ يا سيدي الملك، رأيت أسرحدون فمدّد في حياتي، وأنقذني الله من عقوبة الإعدام لما لم ترتكبه يداي».

٤ ـ فقال لي الملك: «إذهب أيها الكاتب وعدْ إليّ في الصباح وقل لي كلمة لم يسمعها أحد، ولم يسمعها أي واحد من كباري في أية مدينة في مصر».

(XXX) ـ أحيقار يكتب الكلمة التي طلبها منه فرعون

١ ـ عند ذلك، أنا أحيقار، ابتعدت وكتبت هذه الرسالة:

٢ ـ «من فرعون ملك مصر إلى أسرحدون ملك آشور، تحية: الملوك يحتاجون إلى الملوك ويحتاج الحكّامُ إلى الحكام[1]. وفي هذا الوقت، فإنهم يحتاجون إلى الهدايا، لأنها نقصت. نَقُصت الفضة في خزائني، فأرسلْ لي من خزائنك تسعمائة مثقال من الفضة وأنا أعيدها بعد زمن قليل».

٣ ـ لَفَفْتُ هذه الرسالة[2] وحملتها إليه قائلاً: «الكلمة التي هي مكتوبة في هذه الرسالة لم تسمعها من قبلُ، لا أنت ولا أي شخص آخر».

٤ ـ فصرخوا جميعهم، نحن سمعناها من قبل وما من شك في ذلك.

٥ ـ فأجبتهم عندئذٍ: «ها أنتم إذن تعترفون بحسب هذه الشهادة بأن مصر مدينة بتسعمائة مثقال فضة إلى آشور». وتعجبوا جميعهم لهذا الجواب.

٦ ـ فقال لي الملك بعد ذلك: «أحيقار». أجبته: «ها أنذا». قال لي: «ابنِ لي قصراً بين السماء والأرض وليكن على بعد حوالي ألف ذراع فوق سطح الأرض».

٧ ـ أخرجت لتوي النسرين الفَرْخين وربطت بالحبل رجل كلّ منهما بطول ملائم. وجعلت فوقهما الطفلين اللذين كانا يصيحان: «آتونا بالطوب والطين، ها هم المعماريون وصلوا. زوّدوا معماريي الملك بما يمكّنهم من العمل، فهم بحاجة لذلك.

(١) ورد في النص المعتمد تعبير: قضاة وفضّلنا تبني: حكّام.
(٢) كتب أحيقار رسالته على ورق البَرْدي على ما يظهر.

وأعدّوا مزيج الخمر[1] من أجل مهندسي البناء».

٨ ـ شاهد الكبار ما تمّ، وسمعوا وتملّكهم الإعجاب. عند ذلك أنا أحيقار أمسكتُ بعصا وبدأت أضرب بها مهندسي العمار إلى أن فرّوا من أمامي وذلك لإجبارهم على إصعاد ما كان ضرورياً لأعمال البناء.

٩ ـ فقال لي الملك عند ذلك: «هل جننت يا أحيقار؟ من بإمكانه إصعاد ما يطلبان؟».

١٠ ـ فأجبته: «لماذا إذن أتى ذكر اسم أسرحدّون على شفتيك؟ لو كان هنا ولو أن بنيّته بناء قصرين في يوم واحد، لتمكّن من ذلك».

١١ ـ قال لي الملك: «غادر هذا القصر وعدْ إليّ في الصّباح».

١٢ ـ دخلت عليه في صباح اليوم التالي، فنظر إليّ وقال لي: «أحيقار، فسّر لي ما يحدث لنا: «حصان سيّدك يصهل في آشور ونينوى، فتسمعه أفراسنا (الحاملات) هنا وتطرح»[2].

١٣ ـ عند ذلك، أنا أحيقار، خرجت من عند الملك وأمرت خدمي أن يمسكوا قطّاً فرعونياً وهو إلّه لدى المصريين، وأن يضربوه حتى سمع المصريون بذلك.

١٤ ـ فذهبوا وقالوا للملك: «أبيقام هذا، أخذ قِطّاً وهو إلّه وضربه».

١٥ ـ حين عرف الملك ذلك قال لي: «يا أحيقار لماذا تسيء معاملة آلهتنا؟».

١٦ ـ فأجبته: «أيّها الملك عش إلى الأبد! سبّب لي هذا القط ضرراً ليس قليلاً ولكنه ضرر جسيم، لأن الملك[3] كان قد أعطاني ديكاً له صوت جميل وفي الوقت الذي كان عليّ الذهاب إلى البلاط[4] تلبيةً لطلب الملك كان الديك يصيح في الساعة نفسها كي يوقظني من نومي».

١٧ ـ «وهذا هو الضرر الذي سببه القط: لقد ذهب ليلاً إلى آشور ونينوى، فانتزع

---

(١) التبست قراءة هذه الكلمة من قبل الناسخ. فأدّاها بمعنى مزيج خمر، ولا بد أن يكون التعبير الأصلي الذي يقاربه لفظاً بمعنى: الأسواط اللاحقة العمال.

(٢) تبنى «تلمود بابل» هذه الجملة مأخوذة عن أحيقار.

(٣) المقصود هنا هو ملك آشور.

(٤) حرفياً: إلى باب الملك.

رأس الديك ثمّ عاد إلى هنا».

١٨ ـ فقال لي الملك حينئذٍ: «الآن وأنت في سن الشيخوخة بدأت تقع في الخطأ. هناك مسافة ثلاثمائة فرسخ[1] بين بلاد آشور ومصر. فكيف أمكنه الذهاب إليها في هذه الليلة وانتزاع رأس الديك ثم العودة؟».

١٩ ـ أجبته: «على الرغم من وجود مسافة ثلاثمائة فرسخ بين آشور ومصر، ألم يتم إعلامنا بأن أفراسكم تسمع صهيل حصاننا وتطرح؟! كذلك هو الأمر بالنسبة لهذا القط».

٢٠ ـ دهش الملك أمام هذه الكلمات واضطربت أفكاره وقال لي: يا أحيقار، فسّر لي هذا القول: لديّ عمود كبير مؤلف من ثمانية آلاف وسبعمائة وثلاث وستين آجرّة، وفوقه، تمّ زرع اثنتي عشرة أرزة وفوق كل أرزة يوجد ثلاثون دولاباً وعلى كلّ دولاب يجري أسود وأبيض».

٢١ ـ فأجبت الملك بصدد ما طلب مني: «إنّ ذكاء الخرفان والثيران يمكنه معرفة جواب ما تطلبه مني أيّها الملك. فالعمود الذي تحدث عنه سيّدي هو السنة وهو مبني بثمانية آلاف وسبعمائة وثلاث وستين آجرّة وهي الثمانية آلاف والسبعمائة والثلاث وستون ساعة، والأرزات الإثنتا عشرة هي أشهر السنة الاثني عشر في السنة، والدواليب الثلاثون هي أيام الشهر الثلاثون، والعَدّاءان الأبيض والأسود هما الليل والنهار.

٢٢ ـ وقال الملك أيضاً: «كفّ الآن، أنا أطلب منك يا أحيقار أن تضفر لي حبلَيْن من الرمل طويلَيْن يكون لكل منهما طول خمسين ذراعاً وسمك أصبع واحد».

٢٣ ـ فأجبته: «أصدر أوامرك يا سيدي أن يجلبا لي مثل هذا الحبل من كنوزك لكي أضفر حبلاً يماثله».

٢٤ ـ وقال لي: «أنت لم تفهم ما قلته لك، إذا لم تضفر الحبل الذي طلبته منك، فلن تحصل على جزية مصر».

٢٥ ـ عند ذلك، أنا أحيقار، تركتُ الملك وقضيت ليلتي في تأمّلٍ كبير.

---

(١) (Parasanges) بالفرنسية أو «فرَاسانج» تحريفاً لكلمة فرسخ(؟).

٢٦ ـ وفي الصباح، أتتني فكرة بأن أذهب إلى الجهة الخلفية من القصر حيث يسكن الملك وحفرت في الجدار المواجه للشمس ثقباً صغيراً بحيث نفذت الشمس من جدار القصر ثم حفرتُ ثقباً آخر في الجدار نفسه، وأخذت حفنةً من الغبار ووضعتها في الثقبين وظهر الغبار محمولاً في الشعاع.

٢٧ ـ ثم بدأت حديثي متوجهاً إلى الملك وقلت له: أصدر أمرك يا سيّدي الملك بضفر هذين الشعاعين تدريجياً وأنا أنفّذ لك ذلك فيما بعد، بعدد المرات الذي تريد.

٢٨ ـ أمام هذا الرأي، تملك الإعجاب والذهول الملك وكباره، وشعروا بمهانة كبيرة.

٢٩ ـ عند ذلك، استجلب لي الملك، الحجر العلوي لرَحى وكان مكسوراً وقال لي: «يا أحيقار، قم بخياطة هذا الحجر».

٣٠ ـ فتناولت لتوّي مهراساً من حجرٍ مماثلٍ، ورميته وقلت له: «سيدي الملك، أنا لا أحمل معي أدوات الإسكافي التي تلزمني، اطلبْ إذن من إسكافييك انتزاع خيط من هذا المهراس الذي هو من طبيعة حجر الرَّحى نفسها. وعند ذلك أبدأ مباشرة بالخياطة[1].

٣١ ـ لدى سماع هذه الكلمات، ضحك الملك وقال لي: «هيّا يا أحيقار! فليبارك الله اليوم الذي ولدت فيه أمام آلهة مصر. ولأنني رأيتك حيّاً. فسأجعل من هذا اليوم عيداً كبيراً».

(XXXI) ـ أحيقار يغادر مصر عائداً إلى أسرحدون ملك نينوى وآشور

١ ـ بعد أن تمّ التغلب على محاولات الملك فرعون في كل شيء، وبعد أن قاومتُ اختراعاته، وبعد أن أعطيتُ حلاً أو أحلت إلى العدم تدابيره وأحاجيه،

---

(٢) دخلت هذه الإجابة في تلمود بابل.

٢ ـ أعطاني جزية مصر لمدة ثلاث سنوات كما سلّمني أيضاً التسعمائة مثقال من الفضة التي تضمّنتها رسالتي وكأنه كان قد اقترضها من سيّدي والتي قالوا بصددها جميعهم[١] «إننا سمعنا من يتكلم عن ذلك».

٣ ـ وغُمرتُ بالهدايا من قبل الملك وبالتكريم من قبل كباره. ولن يلبث الملك أسرحدّون أن يخفّ لاستقبالي لدى عودتي.

(XXXII) ـ أحيقار يعود من مصر ويذهب لمقابلة الملك الذي يستقبله بترحاب وتكريم

١ ـ بدأ الملك يردّد على مسامعي أقوالاً كريمة: «أطلبْ، تحصل على كل ما ترغب به».

٢ ـ فأجبته قائلاً: «يا سيّدي الملك، عش إلى الأبد!» وبدأ الملك بالاقتراب منّي وهو شديد الفرح.

٣ ـ كرّمني وجعلني أجلس إلى جانبه على كرسيه وعلى منصته، وقال لي: «أطلب منّي يا أحيقار كل ما ترغب به. وإذا ما طلبتَ مملكتي أمنحك إياها».

٤ ـ أجابه أحيقار: «يا سيدي الملك، عش إلى الأبد، وفي كل الأجيال! كل ما أطلبه من جلالتك[٢]، إذا ما كنت راضياً عنّي هو تعيين نابوسيماك في منصب رفيع لأنني بفضله هو، أنا اليوم على قيد الحياة، واليوم فإن أملي بالله هو سَنَدي. ولو لم يقم بمساعدتي لكنتُ من عداد الأموات».

٥ ـ عند ذلك، أظهر لي الملك مودته بواسطة نِعَم عديدة، وخاصة بواسطة الهدايا والهبات التي وصلتني منه.

٦ ـ بدأ الملك بغمري بهبات كثيرة وقدّم إلى نابوسيماك هدايا عديدة.

---

(١) أي كبار فرعون.
(٢) حرفياً: من كريم عظمتك.

٧ ـ ثم بدأ الملك باستجوابي حول كل ما حدث أمام الفرعون وعن الأحاجي. فرويت له من البداية حتى النهاية، كل واحدة منها بشكلٍ خاص. وكان يبدي إعجابه لدى سماعه ذلك.

٨ ـ أخرجت بعد ذلك، الذهب والفضة والهبات والهدايا التي قدّمها لي ملك مصر لكي أحملها إليه من مصر. وفرح بها فرحاً لا يوصف.

٩ ـ سألني «كم تريد أن أعطيك؟»، فأجبته: «أنا لا أطلب شيئاً غير رؤية سيّدي سعيداً ومرتاحاً، فما عساني أفعل بهذه الكنوز وبالأشياء الأخرى. إلاّ أنني أطلب من طوباويتك بمنحي القدرة لكي أتصرّف كما أشاء بنادان لكي أنتقم منه، بحيث لا تطالبني بدمه.

١٠ ـ فسمح لي الملك توّاً أن أفعل به ما أشاء. فأخذت نادان وذهبت به إلى بيتي وربطته بقيود وبسلاسل من حديد في يديه ورجليه. بدأت بضربه بعصا، موجهاً الضربات إليه ومذكِّراً إياه بالتعاليم التي أعطيتها له مع ما تضمّنته من حكمة وعلمٍ وفلسفة.

(XXXIII) ـ متابعة حكم أحيقار[1]

٩٦ ـ يا بنيّ، من لا يسمع بأذنيه، يُعمد إلى إسماعه من وراء ظهره[2]. بدأ نادان ابني حديثه قائلاً لي: «لماذا تغضب على ابنك؟».

٩٧ ـ فأجبته: «أنا يا بنيّ جعلتك تجلس على كرسي شرف، وأنت رميت بي من على عرشي. ووحدها عدالتي، هي التي أنقذتني».

٩٨ ـ كنتَ من أجلي مثل عقربٍ لدغ صخرةً فقالت له «لقد وقعت على قلبٍ عديم الشعور» يعود ويلدغ من جديد، فتقول له: «ضربت منخساً أكثر رهبة من شوكتك».

---

(١) أي الحكم التي توقفت عند الحكمة رقم ٩٥ بنهاية الفصل الثالث.
(٢) أي باستعمال السوط أو العصا وضربه على ظهره.

٩٩ ـ كنتَ مثل عنزة انتصبت وبدأت تأكل من شجيرة سُمَاق[1]. فقالت لها الشجيرة: «لماذا تأكلينني وأنت تعرفين أنهم سيدبغون جلدك بواسطة جذوري؟ فأجابت العنزة «آكلك وأنا على قيد الحياة لأنه عند موتي سوف تقتلعين من الجذور».

١٠٠ ـ كنت بالنسبة لي يا بنيّ، كمن رجم السماء بحجرٍ رماه نحوها. لم يصل الحجر السماء ولكن الذي رَماه أذنب أمام الله.

١٠١ ـ كنت بالنسبة لي يا بنيّ، كمن رأى جاره يرتجف من البرد، فتناول وعاء ماءٍ وسكبَهُ عليه.

١٠٢ ـ يا بنيّ، بعد أن أرسلتني إلى الموت، ليتك تمكنت من أخذ مكاني. ومع ذلك عليك أن تعلم: إذا ما استطال ذنب الخنزير لسبعة أذرع فلن يحلّ محلّ الحصان، وإذا ما صار وبره ناعماً وكثير الصوف فلن يصلح أبداً لأن يكون كساءً لرجل نبيل».

١٠٣ ـ يا بنيّ، قلتُ لك إنك سوف تأخذ مكاني وتمتلك بالإرث بيتي وثرواتي، ولكن ذلك لم يرضِ الله ولم يستمع إلى صوتك.

١٠٤ ـ قلتُ لنادان: لم تستمع إلى كلماتي، ولم تتلق تعاليمي، كما أنّك ما سمعتَ وما عرفت كلمة الله وهو نفسه كذلك لم يستمع إلى صوتك.

١٠٥ ـ أجبني يا بنيّ، إنقضضت عليّ مثل أسد جائع يلتقي في الصباح بحمار تائه. فيقول الأسد للحمار: «تعال إليّ بسلام يا أخي، يا صديقي». فيجيبه الحمار: سلامك هذا يشبه السلام الذي اشتهيته للرجل الذي لم يربطني في المساء، ولم تخطر له فكرة استعادتي إلى أن التقيتك.

١٠٦ ـ يا بنيّ، كنتَ بالنسبة لي مثل فخّ مخبأً تحت الزبل، وقد حطّ عصفور الدوري ورآه الفخ فقال له: «أي أخي! ماذا تعمل هنا؟» فأجاب الدوري: «أنا أنظر إليك» قال الفخ: «توجّه بصلاتك إلى الله، له المجد!» فسأل الدوري: «ما هذه الخشبة المربوطة لديك؟» فأجاب الفخ: «إنها عصاي ومسندي أتكيء عليها عندما أصلّي»، وقال الدوري: «ما هذا القمح الذي في فمك؟» فأجاب الفخ: «إنه غذاء وخبز يعيد القوة

---

(١) شجيرة حراجية تستعمل قشور بذورها في المتبلات وهي السمّاق، كما تستعمل في دباغة الجلود.

لمن هم جياع، وضعته في فمي ليكون غذاءً لمن يلتجئون إليّ». فقال الدوري: «أنا الآن أتضوّر جوعاً وأريد أكله». فأجابه الفخ: «اقترب يا أخي ولا تخف». وعندها استعد الدوري لنقر الغذاء أمسك به الفخ فجأة من رأسه، فقال الدوري للفخ: «إذا كان صومك وصلاتك بصدد هذا الخبز على هذا الشكل، فإن الله لن يتقبل صومك وصلاتك ولن يمنحك بسبب ذلك أي رزق».

١٠٧ ـ كنتَ بالنسبة لي مثل ثورٍ تم تقييده مع أسد، فاستدار الأسد نحوه ومزّق جسده.

١٠٨ ـ يا بنيّ كنت بالنسبة لي مثل السوسة في القمح، إنها لا تنفع شيئاً وتتلفُ القمح.

١٠٩ ـ يا بنيّ، كنت بالنسبة لي مثل مِرجلٍ وضعت له أذنان من ذهب دون تخليص قعره من سخامِهِ.

١١٠ ـ يا بنيّ، كنتَ بالنسبة لي مثل رجل نَذَرَ عشرة مكاييل من القمح في حقل، وعند حلول زمن الحصاد، قطعه ونظّفه وحصل على عشرة مكاييل من القمح. فقال الرجل متوجّهاً إلى الحقل: «لماذا لم تعطني أية زيادة، فقد حرثتك وجدّدتك عندما كنت بوراً، وبذرتك، ولم تنتج لي أي شيء جيد».

١١١ ـ يا بنيّ، مثلك بالنسبة لي، كمثل عصفور أغلق عليه فخّ بحيث لا يتمكن من الفرار بانتظار الصيّاد. ومع ذلك أطلق تغريده اللطيف والعذب، فجمع حوله العصافير أو عدداً من الحجلان لكي تقع في الفخ.

١١٢ ـ يا بنيّ، كنتَ بالنسبة لي مثل التيس الذي أدخلَ رفقاءه إلى المجزرة ولم ينجُ بنفسه.

١١٣ ـ يا بني مثلك بالنسبة لي كمثل كلبٍ دخل عند الفخّارين ليتدفأ تحاشياً للبرد وبدأ ينبح عندما شعر بالدفء وحاول عضّهم. فعمدوا إلى ضربه فنبح وقاموا بقتله خشية أن يعضّهم.

١١٤ ـ يا بنيّ، مثلك مثل هذا الخنزير الذي ذهب للاستحمام مع العظماء. واغتسل لدى وصوله إلى الحمام، ولكنه بعد خروجه وجد بركة وحلٍ فراح يتدحرج فيها.

١١٥ ـ يا بني، كنتَ بالنسبة لي، مثل مرجلٍ أسود، تمت إحاطته بسوارٍ من الذهب.

١١٦ ـ يا بني كنت بالنسبة لي مثل ضأن النعجات الذي يحيد (مقاوماً) ويحني رأسه أمام الجزار بحيث لا يستطيع هذا الأخير نزع حياته.

١١٧ ـ يا بني، أصبعي على فمك وأصبعك على عينيّ وسوف تتنكر تجاه من ربّاك، لأن عينيك تنظران إلى التفّاح[١].

١١٨ ـ يا بنيّ، إذا لم ينتبه الكلب الذي يمسك بالطريدة إلى نفسه، فإن الذئب يلتهمه دون تردّد.

١١٩ ـ يا بني، اليد التي لا تتعب هي التي لا تعمل ولا تشقى وسوف تقطع بسبب كسلها.

١٢٠ ـ يا بنيّ، العين التي لا ترى النور تُقلع.

١٢١ ـ يا بنيّ، أنا الذي جعلتك ترى وجه الملك. قدتك إلى نعم كثيرة، ربّيتك وأعطيتك كل شيء حسن، وأنت، ما الذي قدّمته لي بالمقابل، وبماذا كافأتني؟

١٢٢ ـ يا بنيّ، أنتَ بالنسبة لي، مثل شجرة صدر الأمر بقطعها.

١٢٣ ـ آه! يا للسخرية! لو لم تكن أخذت وتلقيت عني كل شيء ما كان بإمكانك ممارسة أية سلطة عليّ طولَ حياتي.

١٢٤ ـ إنّني لأغتبط وأتهلّل بسببك يا بنيّ، وترتاح نفسي، عندما تسرقُ الآلهة من يبتهل إليها وعندما يختلس الأسد ليثري ويختلس الرجُل من الأرض ليأكل.

١٢٥ ـ قدّمتك يا بني إلى الملك وكباره وأوصلتك إلى شرفٍ كبير، وأنت عملت شراً لمن عملوا لك خيراً، فما عساك إذن تفعل بالذين يعملون شراً؟

١٢٦ ـ كنت بالنسبة لي مثل شجرة تقول لقاطعيها: «لو لم يكن لديكم جزء مني[٢] بين أيديكم لما وقعتم عليّ».

---

(١) يرمز التفاح هنا إلى الرغبات المادية وقد تكون أمام إضافة ترمز إلى الثمرة المحرمة في التكوين التوراتي التي عُبّر عنها بشكل مبسط وسطحي وكأنها تفاحة.

(٢) قد يكون المقصود هو مقبض أداة القطع.

١٢٧ ـ يا بنيّ، كنتَ بالنسبة لي مثل فراخ سنونو وقعت من عشها، فأمسك بها قط وقال لها: «لو لم أكن هنا لأصابك أذىً جسيم»، فأجابته قائلة: «أمن أجل هذا وضعتنا في فمك؟».

١٢٨ ـ كنت بالنسبة لي مثل القط الذي قيل له: «كف عن السرقة وادخل واخرج كما تشاء» فأجاب القط: «في هذا يكمن فنّي. فلو كانت لي عينان من الفضة ويدان من الذهب ورجلان من الزمّرد، فلن أهجر سرقاتي».

١٢٩ ـ أ. كنت بالنسبة لي يا بنيّ، مثل حيّة صعدت على علّيقة كانت تطفو على سطح النهر، فرآها ذئب وقال: «سيء، ركب على سيّء والأسوأ منهما يقودهما»، فأجابت الحيّة الذئب: «وأنت، هل تقود العنزة إلى راعيها؟».

١٢٩ ـ ب. يا بنيّ، رأيت عنزةً تمّ توجيهها إلى المسلخ وبما أن يومها لم يكن بعد قد حان، أعيدت إلى مكانها وشاهدت أبناءها وأبناء أبنائها.

١٣٠ ـ كنتَ بالنسبة لي يا بنيّ، مثل الأولاد الذين يقتلون أمهم.

١٣١ ـ يا بنيّ، جعلتك تتذوق كل ما هو طيّب وأنت أشبعتني خبزاً مغموساً بالتراب! مسحتك بالطيوب العطرة وأنت بالعفر نجّست جسدي. أشربتك الخمر المعتّقة وأنت ما سقيتني بما هو كافٍ، حتى الماء.

١٣٢ ـ يا بنيّ، جعلتُ هامتك تنمو مثل شجرة الأرز، وأنت أحنيتني طول حياتي وسقيتني خبثك ومكرك.

١٣٣ ـ يا بنيّ، لقد رفعتك مثل برج وكنت أقول: «إذا ما أتى عدوي ليقحمني، فسأصعد إليه وأحتمي به. وأنت عندما شاهدت عدوّي انحنيت أمامه.

١٣٤ ـ أ. يا بنيّ، كنتَ بالنسبة لي مثل الخلد الذي خرج إلى سطح الأرض، متهماً الله لأنه حرمه حاسة النظر، فأتى نسر وحمله وذهب به.

١٣٤ ـ ب. أجاب ابني نادان قائلاً لي: «بعيد عنك يا سيّدي أن تكون بين الذين لا رحمة في قلوبهم. تصرّف نحوي وفقاً لإحسانك. إذا ما أذنب الرجل أمام الله، فإن الله يغفر له ذنوبه، وأنت أيضاً أغفر لي الآن وسوف أعتني بدوابك وأرعى نعاجك وخنازيرك، فيُقال عنّي رجل سيء ويقال عنك رجل طيّب».

١٣٥ ـ أجبته قائلاً: «يا بني، كنت بالنسبة لي مثل شجرة نخيل قامت على حافة

طريق ولم تكن تعطي ثماراً، فأتى صاحبها وأراد قلعها، فقالت له النخلة: «أمهلني سنة جديدة وأعطيك القِرْطِمْ[1]». فأجابها صاحبها: «أيتها التعسة إذا لم تنجحي بإنتاج ثمرك أنتِ، فكيف يمكنك إنتاج ثمر آخر؟!».

١٣٦ ـ يا بنيّ، شيخوخة العقاب تفوق فتوّة النسر.

١٣٧ ـ يا بنيّ، إذا ما قيل للذئب: «ابتعد عن النعجات» فيجيب: «الغبار الذي يحركه القطيع مفيدٌ لعينيّ» فيقال له: «تعلّم القراءة: ألِف، باء» فيجيب: «نعجة، جدي».

١٣٨ ـ يا بنيّ، علّمتك الإيمان بالله، وأنت اعتديت على الخدم الطيّبين، وضربتهم دونما ذنب ارتكبوه، وكما أن الله أبقى على حياتي بسبب عدالتي، فإنه سيهلكك بسبب سوء أعمالك.

١٣٩ ـ يا بنيّ، وضعوا رأس الحمار على المائدة، فتدحرج وسقط على الأرض: غضب الرأسُ على نفسه لأنه لم يتقبل التكريم.

١٤٠ ـ هل تأمّلت في المثل القائل: «ما تلده سمّهِ ابنك، ومن تربّيه سمّه عبدك».

١٤١ ـ يا بنيّ، أكثر من أيّ حديث آخر، لا بدّ أن تتأمل هذا: «خذ ابن أختك تحت إبطك وقاوم معه الصخر».

١٤٢ ـ الذي أبقاني على قيد الحياة يا بنيّ، هو الله العالم بكل شيء، يجزي كل فرد بحسب أعماله. هو الذي يعلم ويحكم بيني وبينك. أنا لن أقول شيئاً، لأن الله هو الذي سيجزيك بحسب أعمالك.

(XXXIV) ـ موت نادان

١ ـ لدى سماع الفتى نادان هذه الكلمات، انتفخ جسمه فجأة وأصبح مثل

(١) نبات زراعي صبغيّ، زهره أنبوبي وله تويجات ذات لون أصفر وبرتقالي يستخرج منها صباغ أحمر هو القرطمين. وهو نوع من العصفر الهجين وبذوره زيتية تستخدم لتغذية الطيور.

ضرف[1] ممتلىء وخرجت أحشاؤه من بطنه.

٢ ـ تأجج بداخله انشغاله السيء، فاحترق وجفّ ووهن. أضاع نفسه ومات. وأدّت به نهايته إلى الهلاك، وسقط في جهنم[2] بين الحسّاد والمتعجرفين. وكما قيل في كتاب الأمثال[3] وفي كتاب مزامير الملك داود[3]: «الابن حفر وأذنب، فوقع في الحفرة التي أعدها» و«من يحمل الشرّ يكدّسه من أجل هلاكه» و: «من نصب فخاً لأخيه وقع فيه».

خاتمة

١ ـ هنا تنتهي قصة أحيقار الحكيم، والفيلسوف الكبير، الذي كان يعرف الأسرار ويتقن حلّ الأحاجي.

٢ ـ كان سابقاً يعبد الأوثان وكان صديقاً للعلماء[4] ولكنه في نهاية حياته آمن بالله، واعترف بأنه خالق السماء والأرض والبحر والقفر وكل ما فيها. واعترف بأنّه يمنح الذكاء والحكمة لمن أحبّه.

٣ ـ من أجلكم أنتم أيها المستمعون[5] فليصن الله أرواحكم وليشفق على نواقصكم وليغفر لكم ذنوبكم ولينشر رحمته وبركته عليكم وعلى أبنائكم. وليبعدكم عن جميع التجارب وجميع الآلام، وكذلك عن جميع الحوادث والملمّات. وليملأ قلوبكم بكل علم ومعرفة وبكل ذكاء وحكمة روحية، لكي تتمكنوا من الحفاظ على أرواحكم في الاستقامة ومن الابتعاد عن الكراهية والحسد والغضب؛ إنه سوف ينقذكم من كل خطيئة مميتة ويمنحكم في النهاية ملكوت السماء ويجعلكم تنعمون بالسعادة الأبدية، آمين، آمين[6].

---

(١) «الضرف»: هو كيس من جلد الماعز تنقل فيه السوائل.

(٢) إضافة متأخرة جداً وتعود إلى القرن الأول ق.م. وما بعد.

(٣) إضافة لا علاقة لها بأحيقار.

(٤) استبدلنا تعبير المجوس الذي ورد في النص بالعلماء.

(٥) يرجّح من تعبير «المستمعين» أن سيرة أحيقار كانت تروى لغايات تهذيبية للأخلاق ولتعليم الحكمة.

(٦) هذا الفصل هو حتماً إضافة ناسخ مسيحي بدلالة التعابير المستعملة مثال الخطيئة المميتة وملكوت السماء والسعادة الأبدية.

إضافات

ملاحظة:

يستأنف المترجم بعد ذلك، ما ورد من حكم وأمثال لأحيقار، في نسخ أخرى مختلفة وبلغاتٍ مختلفة، في كل ما لم يتضمّنه نص النسخة السريانية المعروضة، مع متابعة ترقيمها كتتمةٍ لما ورد آنفاً من الحكم التي توقفت عند الرقم ١٤٢.

وتتوزع الإضافات عن النسخ الأخرى كما يلي:

(١) ـ حكم وأمثال يونانية: من ١٤٣ ـ ١٥٧.

(٢) ـ حكم وأمثال أرمنية: من ١٥٨ ـ ٢٠٩.

(٣) ـ حكم وأمثال سلافية: من ٢١٠ ـ ٢٦١.

(٤) ـ حكم وأمثال رومانية: من ٢٦٢ ـ ٢٨٥.

(I) ـ حكم وأمثال إضافية باللغة اليونانية

١٤٣ ـ يا بني، قبل كل شيء، أكرم الإله واحترم الملك.

١٤٤ ـ توخَّ أن تكون مهاباً من قبل أعدائك، فلا يزدرون بك، وكن ليّناً ومتساهلاً مع أصدقائك، يعزّونك أكثر فأكثر.

١٤٥ ـ تمنَّ لأعدائك المرض والفقر، كي لا يتمكنوا من الاعتداء عليك. وتمنَّ لأصدقائك النجاح في كل شيء.

١٤٦ ـ تصرف دائماً بشكل حسن مع امرأتك، خشية أن تفتّش عن تجربة مع رجل آخر، لأن النساء متقلبات بطبيعتهن. ولأنهن يُفكرن أقل بالشر إذا ما عوملن باحترام.

١٤٧ ـ انتبه دوماً إلى ما يقال ولكن تعلّم أن تكون سيّد لسانك.

١٤٨ ـ لا تحسد الذين يحرزون النجاح بل ابتهج معهم، لأنك إذا حسدتهم فلا تسيء إلاّ لنفسك.

١٤٩ ـ اعتن بخدمك بحيث لا يهابونك فقط لأنك سيدهم بل ليحترموك لأنك تحسنهم.

١٥٠ ـ لا تخجل من أن تتعلم دوماً أشياء أفضل مما تعلم.

١٥١ ـ لا تسلّم قطّ أسراراً مهمة إلى زوجتك، لأنها ترتقب دوماً المناسبة للتحكم بك.

١٥٢ ـ ادّخر كل يوم شيئاً للغد. الأفضل أن تترك ممتلكات لأعدائك من أن تحتاج أثناء حياتك لعون أصدقائك.

١٥٣ ـ استقبل بترحاب من يقترب منك. واعلم أن ذيل الكلب هو الذي يكسبه خبزه.

١٥٤ ـ لا تندمْ لأنك صرت رجلاً خيّراً.

١٥٥ ـ أطرد النمّام من بيتك، لأنه سيعلم الآخرين بما تقوله وما تفعله.

١٥٦ ــ افعل ما لا يمكن أن يسبّب همّاً ولا تحزن لما يصيبك بعد ذلك.

١٥٧ ــ لا تعطِ أبداً نصائح سيّئة ولا تقلد تصرف الأشرار.

(II) ــ حكم وأمثال إضافية باللغة الأرمنية

١٥٨ ــ يا بني، لا تستقبل من يردد لك كلمة عدوك، خشية أن يردد لعدوك كلمتك.

١٥٩ ــ يا بني، لا تقف بعيداً يوم تقديم ضحيتك، خشية ألاّ يتمتّع إلهك بما تقدمه له.

١٦٠ ــ يا بنيّ، لا تأكل الخبز الذي لا تمتلكه أنت، حتى لو كنت تتضور جوعاً.

١٦١ ــ يا بني، اخنقْ الشر واقتلعه من قلبك، فيكون لك بذلك خير من الله ومن الناس وتجد عوناً لك بإرادة الله.

١٦٢ ــ يا بني، حتى لو كانت قائمتا البوّابة المؤدية إلى السماء ترتفع إلى ستة أونات[١]، إحنِ رأسك مع ذلك حين تدخلها.

١٦٣ ــ يا بني، يجب ألاّ تقبل أن تأخذ بمكيال كبير وتعطي بمكيال صغير، ثمّ تقول: «لقد ربحت»، لأن الله لا يسمح بذلك، ويغضب عليك ويهلكك بالمجاعة.

١٦٤ ــ يا بنيّ، لا تقسم باطلاً كي لا تنقص أيام حياتك.

١٦٥ ــ يا بنيّ، أطِعْ شريعة الله ولا تخف بعد ذلك من الأشرار، لأن شريعة الله جدار حماية للبشر.

١٦٦ ــ يا بنيّ، لا تبتهج إذا ما كثر أبناؤك ولا تضطرب لنقصهم.

---

(١) الأون (Aune) اسم مشتق من اللغة الجرمانية وهو قياس قديم بطول ١,١٨٨ متراً.

١٦٧ ـ يا بنيّ، الأبناء والثروات رزق من عند الله. والذي يمتلك بيتاً كبيراً يصبح فقيراً، والفقير يصبح كبيراً، ويرتفع المتواضع ويُذلّ المتكبّر.

١٦٨ ـ يا بنيّ، حتى لو كانت جوائز بيتك عالية[1]، عندما يكون جارك مريضاً، لا تقل: «ما عساي أن أرسل له؟» ولكن اذهب إليه برجليك وانظر إليه بعينيك، لأن ذلك أفضل لك من ألف مثقال من الذهب والفضة.

١٦٩ ـ لا تقبض الذهب والفضة ثمناً لنميمة، لأنها عمل يؤدي إلى الموت وشيء في منتهى السوء. لا تسفك دماً بريئاً خشية أن يسفك دمك بالمقابل.

١٧٠ ـ يا بنيّ، لا تتزوج من أرملة، لأنه إذا ما حدث أي شيء، ستقول: «آه! أين هو زوجي الأول؟» وعند ذلك لا بدّ لك من أن تحزن.

١٧١ ـ يا بنيّ، لا تعتمد على أيام شبابك خشية أن يقودك شبابك إلى الضلال.

١٧٢ ـ لا تحتد مع خصمك أمام القاضي، لكي لا تُعَدّ مجنوناً أو عديم الذكاء، ولكن أجبه بلطفٍ إذا ما كلّمك، بذلك تجعل الحكم يقع على رأسه.

١٧٣ ـ يا بنيّ، إذا طلبت من الله حسنةً، إبدأ بتنفيذ إرادته أولاً بالصوم والصلاة وبعد ذلك فإن طلباتك، تجد لها تحقيقاً حسناً.

١٧٤ ـ يا بنيّ، التكديس في حالة الفقر، أفضل من التبذير في حالة الغنى.

١٧٥ ـ يا بنيّ، لا تلعن إبنك قبل أن ترى غايته، ولا تحاول ازدراءه قبل أن ترى الإنجاز والمخرج والمنفذ.

١٧٦ ـ يا بنيّ، اختبر الكلمة في قلبك، ثم أصدرها إلى الخارج، لأنك إذا بدّلت كلمتك تكون من المماذقين.

١٧٧ ـ يا بنيّ، الكلمات الكاذبة والخطابات الكاذبة ثقيلة كالرصاص ولكنّها بعد أيام تطفو على سطح الماء وكأنّها قشور الشجر.

١٧٨ ـ يا بنيّ، كلّف صديقك بمشروع صغير وبعد بضعة أيام قم بلسعه وامتهانه، فإذا لم يكشف عن مشروعك الصغير، فكلّفه عندئذٍ بمشروعك الكبير.

---

(١) من مظاهر الغنى.

١٧٩ ـ قدِّم العون لقريبك أمام الملوك والقضاة. بذلك تنتشله من انتقام الأسد وتكسب بالتالي سمعةً طيِّبة وتمجيداً.

١٨٠ ـ يا بنيّ، إذا ما أتى عدوّك للركوع على قدميك، فاغفر له. ابتسم أمامه متحبّباً ثم اجعله ينهض بكرامة.

١٨١ ـ يا بنيّ، لا تذهب لحضور أي اجتماعٍ إذا لم تُدعَ إليه. لا تقدم أي جوابٍ إذا لم تُسألْ.

١٨٢ ـ يا بنيّ، لا تسرْ على نهرٍ جامد أو طافح خشية أن تهلك فيه.

١٨٣ ـ يا بنيّ، مرّس ولدك على الجوع والعطش، وعندما يكبر ضع ممتلكاتك بين يديه.

١٨٤ ـ يا بنيّ، أكلتُ العشبَ مرّاً وشربت العلقم، ولم يكن العلقم أشدّ مرارة من الفقر. رفعت وحملت ملحاً ورصاصاً، ولم يكن ذلك أكثر ثقلاً من الذنوب، فهل آكل وأشرب قبل أن أصل إلى الطمأنينة؟

١٨٥ ـ يا بنيّ، إذا كنت فقيراً فلا تجعل ذلك يظهر بين أردائك خشية أن يزدروا بك وأن يكفّوا عن إعارة الاهتمام بأقوالك.

١٨٦ ـ أحبب جسدك وأحبب امرأتك لأنها تخصّك. إنّها شريكة حياتك وهي تحرم نفسها كثيراً إذْ تغذي ولدك.

١٨٧ ـ يا بنيّ، إذا ما أرسل سيِّدك من يقول لك: «أجلب يمامة مخبّأة في خمار»، لا تجلبها له، لأنه سوف يأكل اليمامة ولن يتأخّر عن معاقبتك من أجل الخمار.

١٨٨ ـ يا بنيّ، كلمة حكيم يقولها في حالة سكره، أفضل من كلمة مجنون يقولها دون أن يشرب؛ وعبدٌ نزيه، أفضل من رجلٍ حرٍّ كذّاب؛ وصديقٌ مستقيمٌ أفضل من أخٍ بعيد.

١٨٩ ـ يا بنيّ، لا تسلّم سرّك إلى امرأة، لأنها ضعيفة وذات عقل ضيّق، وسوف تكشف ما أسررته إليها وتسبِّب لك الإزدراء.

١٩٠ ـ يا بنيّ، إذا شربت خمراً، احفظ لسانك من الثرثرة، فيقال عنك حكيم وذلك حسن لك.

١٩١ ـ يا بنيّ، لا تسلّم مالك دون صكّ مكتوب وشهود، وفيما عدا ذلك، يتمّ إنكار الدين وسوف تندم.

١٩٢ ـ لا تبتعد عن صديقك، خشية ألاّ تجد غيره، لأن الآخرين سوف لا يثقون بك ولن يعاملوك بصداقة.

١٩٣ ـ يا بنيّ، أحبب أباك الذي ولدَك، ولا تستجلب عليك لعنة أبيك وأمك لكي تتمكّن من الابتهاج لازدهار أبنائك.

١٩٤ ـ يا بنيّ، أفضل لك أن تُسرق أموالك من أن يكتشف لديك أموال مسروقة.

١٩٥ ـ أ. يا بنيّ، أكرمْ رجلاً جعل الله أعماله تزدهر.

١٩٥ ـ ب. وإذا لقيت شيخاً، إنهض أمامه وأظهر له احترامك.

١٩٦ ـ يا بنيّ، الأعمال الطيّبة والتقدمة التي لا عيب فيها ترضي الإلّه. إرهبْ فقدان الشرف، كرهبتك أمام الله.

١٩٧ ـ يا بنيّ، قبول فكرة سيّئة في قلبك يعطي الفرصة لصراع داخلي. والصبر أساس الأعمال ومثبّت الإيمان.

١٩٨ ـ يا بنيّ، لا تعمل مع قريبك ما هو سيّىء في نظرك ولا تعطِ الآخرين ما ليس لك.

١٩٩ ـ يا بنيّ، عليك بمحبّة الحقّ وكره الكذب وعدم النظام. أدرْ أذنك إلى أوامر الله ولا تخشَ الشرّ، لأن أوامر الله هي جدار سَنَدٍ للرجل.

٢٠٠ ـ يا بنيّ، اهربْ أمام رجلِ السوء وأمام الكذّاب. البخل هو في كل الأحوال أمٌ لجميع المساوىء، ومن الصفاقة تتولّد المصائب.

٢٠١ ـ يا بنيّ، من يتحلَّ بصفة الرأفة يتألّق كالشمس، ومليء بظلمات كثيفة قلبُ من نصب المكائد. من له قلب شهم، تملؤه الرحمة، ومن كان بخيلاً، ولو كان يملك أي شيء، فله عقل كليل.

٢٠٢ ـ يا بنيّ، لا تدخل بيت رجل سكّير، ولا تبقَ فيه إذا ما دخلته وإلاّ فقدت مزايا طبيعتك.

٢٠٣ ـ يا بنيّ، لا تزدرِ بقريبك، لا عن بعد ولا عن قرب، لأن كلمات السوء تجد بسرعة طريقها إلى سيّدها وينتج الشجار عن ذلك.

٢٠٤ ـ يا بنيّ، أمر الله بالخمر لإدخال البهجة (إلى القلوب)، ولكن في البيت حيث لا طهارة، وفي كل بيت سوءٍ ساءت إدارته، فأفضل من شرب الخمر شرب الحمأة.

٢٠٥ ـ يا بنيّ، الرجل السكران يقول في قلبه: «أنا حكيم وقويّ، وكل ما أقوله، أقوله بحكمة»، ولكنه لا يعلم أنه إذا ما لقي رجلاً شجاعاً، فليس على هذا الأخير سوى لمسه لكي يرميه أرضاً.

٢٠٦ ـ يا بنيّ، إذا شهدت سقوط عدوك فكن رؤوفاً به، وهذا ما يسرّه. وعلى العكس من ذلك فإذا ما سخرت منه، فإنه يجعلك تدفع الثمن عندما ينهض.

٢٠٧ ـ يا بنيّ، يعتقد السكران أن الأرض تهتز ولا يلاحظ أثناء سيره أن رأسه هو المشوّش. وكما أن الأرض هي أم جميع الثمار، كذلك الخمر هو مصدر جميع الشرور. إنّه يسبّب أمراضاً ترهق في كل الأحوال وكذلك يقود إلى جريمة القتل بدون شفقة. إنّه يجعل المرء يفقد صوابه ويجعله يبدّل طبعه بطبع الحيوانات المحرومة من العقل.

٢٠٨ ـ يا بنيّ، تحاشَ أن تكون كفيلاً: لأنك إذا ما قبلتَ بذلك، يعتقد الآخر أن عليك أن تدفع من مالك ـ وليس فقط من مالك، لأنه سوف يعمل أيضاً على نتف شعر لحيتك.

٢٠٩ ـ يا بنيّ، لا تلفظ أقوالاً كاذبة، لأنه إذا ما اكتشف مرّة بأنّك تكذب، فسوف تعامل ككذّاب، ولن تصدّق فيما بعد عندما تقول الحقيقة.

(III) ـــ حكم وأمثال إضافية

باللغة السلافية

٢١٠ ـ يا بنيّ، لا تكن قاسياً مثل العظم ولا رخواً مثل إسفنجة.

٢١١ ـ يا بنيّ، حتى لو حسدك صديقك أو عمد إلى لومك، فاستقبله بالخبز والخمر.

٢١٢ ـ يا بنيّ، لا تستقبل في بيتك عبداً ثرثاراً، كي لا يبدِّد أرزاقك.

٢١٣ ـ يا بنيّ، إذا ما استولى عليك غضب شديد، فلا تتلفَّظ بأية كلمة خشية أن تُعَدَّ أحمق.

٢١٤ ـ يا بنيّ، من كان ذا أصلٍ متواضع، يزدريه الجميع.

٢١٥ ـ يا بنيّ، إذا لم تكن جائعاً، لا تأكل خبزاً كي لا تظهر كرجل جشع.

٢١٦ ـ يا بنيّ، عندما تستمع إلى رجل حكيم، فكأنك تنتعش بشرب ماءٍ بارد وأنت في حالة عطش بيوم حرٍّ شديد.

٢١٧ ـ لا تشتهِ دوس جارك برجليك، كي لا يردّ لك ذلك فيما بعد.

٢١٨ ـ يا بنيّ، لا تقبل مكافأةً عندما تذهب لأداء شهادة، لأن الهدية تعمي أعين القضاة.

٢١٩ ـ لا تحدث فضيحةٌ في بيتك إذا لم يكن الأمر يستحق ذلك لكي لا تتعرّض لأعين الجوار.

٢٢٠ ـ يا بنيّ، الأفضل لامرأة أن يأخذ الموت طفلها من إرضاع طفل غريب؛ لأنه سيقابل بالشر الإحسان الذي تصنعه له.

٢٢١ ـ يا بنيّ، إذا دعوت صديقاً إلى مائدتك، استقبله بوجه بشوش، لكي يدخل بدوره باستعداد طيِّب. وإذا ما قدّمت عشاءً فلا تستقبل صديقك بوجه مظلم فلا تكون دعوتك سبباً للإساءة إليك ولتعريفك كرجلٍ سيّئ.

٢٢٢ ـ يا بنيّ، لا تهزأ من رجلٍ قليل الذكاء ولا من رجل أصمّ لأنهما من مخلوقات الله.

٢٢٣ ـ يا بنيّ، لا تحاول الانتقاص من كلمة مهمّة يقولها سيِّدك ولا تضخيم كلمة لا أهمية لها.

٢٢٤ ـ يا بنيّ، إذا ما قمت بسفرٍ، فلا تعتمد على خبز الغريب، ولكن خذ معك خبزك الشخصي، وإن لم تستطع وأخذت طريقك مع ذلك، فسوف تتعرَّض للَّوم.

٢٢٥ - يا بنيّ، إذا ما دعوت أحداً لحضور عيدٍ فلا تسبّب له الضجر بسبب أشياء أخرى، كي لا تُعَدّ مخادعاً.

٢٢٦ - يا بنيّ، إذا كنت مدعواً عند جارك، تحاشَ تفحّص غرفته حتى الزوايا لأن هذا غير مستحبّ.

٢٢٧ - يا بنيّ، إذا ما دخلت بيت حزن، فلا تتحدّث عن الطعام والشراب وإذا دخلت بيت فرحٍ فلا تحمل إليه الحزن.

٢٢٨ - يا بنيّ، إذا لبست ثوباً جديداً، تصرّف بحشمة، ولا تحسد رجلاً يمتلك هو أيضاً شيئاً آخر. من كان له ثوب برّاق، يجب على كلمته أن تستحق الاحترام.

٢٢٩ - إذا كنت تملك شيئاً أو لا شيء، فلا تنشغل لذلك: فأي منفعة يجلبها لك الهمّ؟

٢٣٠ - إذا كنت تملك شيئاً، فلا تترك نفسك عرضة لعذاب الجوع أو العطش، لأنه إذا متّ فإن رجلاً آخر سوف يتمتّع بمالك الذي حرمت نفسك منه بدون جدوى.

٢٣١ - يا بنيّ، إذا ما سرقَ أحدٌ شيئاً فَأشفق عليه.

٢٣٢ - يا بنيّ، إذا ما أظهر جارك العداء نحوك، فلا تكفّ عن الذهاب للقائه بلطف، كي لا يعدّ مشاريعه ضدك من دون أن تعلم.

٢٣٣ - يا بنيّ، إذا حاول رجلٌ معادٍ أن يحسن إليك فلا تثق به بسرعة، خشية أن يغشّك ويفرغ حقده ضدّك.

٢٣٤ - يا بنيّ، إذا عُوقب أحدٌ من أجل ذنب ارتكبه، لا تقل بأنه عُوقب بدون سبب، كي لا تقع عليك العقوبة ذاتها.

٢٣٥ - لتكن خشية الله أول المبادئ، كن بعد ذلك حاضر الأذن للاستماع ومتمهلاً في الإجابة، وكن صبوراً في حالة الغضب.

٢٣٦ - يا بنيّ أنادان[1]، إذا ما قال لك سيّدك: «تعال» فلا تفرح، وإذا قال لك: «ابتعد عنّي»، فلا ينشغل بالك.

---

(١) تحريف لاسم نادان كما ورد في النص السرياني.

٢٣٧ ـ يا بنيّ أنادان، لا تكنْ سكّيراً، فالرجل المتقلّب الأطوار، أفضل من الرجل المدمن على الشراب. لأن الرجل المتقلّب لا يعتريه الهيجان إلاّ بحلول القمر الجديد، بينما لا يتوقف الآخر عن ذلك.

٢٣٨ ـ يا بنيّ أنادان، إذا كنتَ جالساً بالقرب من أحدٍ على مائدة طعام، لا تفكّر سوءاً بصديقك، كي لا يصبح طعم الخبز مرّاً في فمك.

٢٣٩ ـ يا بنيّ أنادان، عندما يُباشر بالجلوس على مائدة، فلا تستعجل لأخذ مكانك في المقدّمة، خشية أن تعاد إلى الخلف. ولا تبقَ في المؤخرة كي لا تُنسى.

٢٤٠ ـ يا بنيّ أنادان، إذا ما غرقتَ في الهمّ، فاستدعِ رجلاً حكيماً لمواساتك، لأن عقلاً مضطرباً لا يمكنه التعبير عن كلمة صافية.

٢٤١ ـ يا بنيّ، القيام بعدوٍ طويل على حصان غير مُسْرَج، هو أسهل من حيازة رضى رئيس عديم الذكاء.

٢٤٢ ـ يا بنيّ، إذا ما اعتنيت بجسدك الفاني، وأهملت روحك يكون مثلك مثل الرجل الذي يهمل امرأة نبيلة ليهتمّ بخادمة.

٢٤٣ ـ يا بنيّ أنادان، إذا ما فتّشت عن الزمني وأهملت السماوي، فأنت تشبه الرجل الذي رسم فلاحاً على جداره، عوضاً عن تكليفه بحراثة أرضه وجَلْب الثمار له.

٢٤٤ ـ يا بنيّ أنادان، إنّه لمؤلم رؤية رجل شجاع يسقط ميتاً من على حصانه، ويضاهي ذلك حزناً رؤية روح خبيثة في جسم سليم.

٢٤٥ ـ يا بنيّ أنادان، لو كنّا نعيش مائة عام وأكثر، سيكون هذا مع ذلك مثل يومٍ واحد.

٢٤٦ ـ يا بنيّ أنادان، القاضي العادل، يشبه الغربال الجيّد، فكما يفصل الغربال بين القشّ والحبّ كذلك يفصل القاضي بين الحقّ والظلم.

٢٤٧ ـ يا بنيّ أنادان، إذا أردت أن يكون لك من حولك أتباع كُثُر، فليكن لك لسان عذب ويدان سخيّتان.

٢٤٨ ـ يا بنيّ أنادان، خيرٌ لك أن تعيش في كوخ رجل عادل، من أن تعيش في

قصر رجل مجرم.

٢٤٩ ـ يا بنيّ أنادان، يجب على عقلك ألاّ يكفّ عن الاعتماد على الكتب[١] لأنه يقال: «كما أن سياج الحقل لا يمكنه مقاومة الريح دون مساندة، كذلك الرجل، فبدون الكتب لا يمكنه الاحتفاظ بالحكمة حتى الشيخوخة».

٢٥٠ ـ يا بنيّ أنادان، إعلم بما يجري في هذا العالم: رجل فقير يتلفّظ بكلماتٍ حكيمة، فلا ينصت إليه أحد، بل يقال: «إنه أحمق يردّد حماقات». وإذا ما كان رجلاً غنياً فيقال: «أنصتوا، إنّه أمير يتكلّم» ـ ويُعدّ حكيماً بسبب ثروته.

٢٥١ ـ يا بنيّ أنادان، لا تركن إلى امرأة سيئة. فإن عسلاً يخرج من فمها، ولكنه بعد ذلك علقم مرّ وسامّ. فكر يا بنيّ بامرأة شمشون التي جرّدت زوجها من شعره وعينيه وباعته لأعدائه؛ وفي قمّة ألمه، جَعَلَ البيت ينهار على نفسه وقضى على الأصدقاء والأعداء[٢].

٢٥٢ ـ يا بنيّ أنادان، بُعد النظر أفضل من قصره.

٢٥٣ ـ يا بنيّ أنادان، إذا رأيت جثة عارية على حافة الطريق فلا تكسها. وإذا كانت مكسوّة، فلا تسلب كساءها.

٢٥٤ ـ يا بنيّ أنادان، روحي تتكيّف مع كل شيء، ولكن هناك ثلاثة أشياء لا تطيقها:

١. الخائن، ومن كان خائناً هو خائن بالنسبة لله ولأهله ولسيّده ولصديقه ولامرأته.

٢. الرجل الفقير والمتغطرس. لِمَ هو متعجرف؟ وعلى أي شيء يعتمد؟.

٣. رجل لا يحترم سيّده. لو كان سيّدك هرّاً، عليك تمشيط لحيته، لأنّ من يحمل الرأس عالياً، يمكنه إدارته كما يشاء.

٢٥٥ ـ يا بنيّ أنادان، ما تمّ تجميعه ظلماً، يفقد بسرعة.

٢٥٦ ـ يا بنيّ أنادان، كما تتخلّ الأرض بسرعةٍ عن مائها وتجفّ، كذلك أنت، لا

---

(١) إضافة تلت حتماً فترة أحيقار التي لم تعرف الكتب بهذا المعنى.
(٢) نهاية الحكمة هي إضافة توراتية متأخرة.

تبقِ الرجل النمّام بقربك.

٢٥٧ ـ يا بنيّ أنادان، أبعد يديك عن السرقة، ولسانك عن الكذب وجسدك عن الدنس، وفوق كل شيء احترس من امرأة متزوجة.

٢٥٨ ـ يا بنيّ أنادان، إذا ما رجوت الله من أجل أي شيء، فلا تنسَ مواساة الحزانى وإكساء العراة، وإطعام الجائعين وإرواء غليل الظامئين ورفع معنويات التعساء بكلماتٍ طيبة وعذبة. فالكلمة الطيّبة، قيمتها تفوق الذهب والفضة.

٢٥٩ ـ يا بنيّ أنادان، لا تركض وراء المُلْك الغريب، لأنه بعد أيام قليلة، تقع ثروتك الشخصيّة في أيدٍ أخرى.

٢٦٠ ـ يا بنيّ أنادان، إنّه أفضل للرجل، أن يُشبّع نفسه بأعشاب عديمة الطعم، يأكلها بلذّة وفرح وفي جوٍ من البهجة والضحك، من أن يأكل جميع الحلويات في جوٍ من الكيد والنزاع والحزن والهمّ.

٢٦١ ـ يا بنيّ، ما علّمتك إياه، تلقّهُ برضًى في قلبك، وردّه لي من قلبك ومن قلبي مع الزيادة.

(IV) ـــ حكم وأمثال إضافية باللغة الرومانية

٢٦٢ ـ يا بنيّ، لا تعقد صَفْقة مع رجلٍ متنفّذ ولا تمتلك شيئاً من قِبله. لا تستحصلْ على أملاك مسروقة، لأن أملاكك الشخصية ستتبدد معها.

٢٦٣ ـ يا بنيّ أنادان، إذا خدمت سيّداً سيّئاً، لا تقل له بأنه سيىء معتقداً أنك تحافظ على رضاه، ولكن نفّذ ما يطلبه منك.

٢٦٤ ـ يا بنيّ، لا تتكلم بحضور سيّدك، لأنّه سيكرهك إذا ما أخطأت في كلامك.

٢٦٥ ـ يا بنيّ، إذا وصلت إلى مركز رفيع، فانْحَنِ أمام الآخرين لأنه بسبب

حكمتك يمكنك الوصول إلى مكان أرفع.

٢٦٦ ـ يا بنيّ أنادان، أي مطلب تودّ الحصول عليه من الله، صلّ باستمرار لكي يمنحه لك في حينه.

٢٦٧ ـ يا بنيّ، أنصت إلى الرجل الحكيم، حتى لو كان فقيراً لأن في ذلك مشيئة الله. يمنح الأول يوماً وفي يوم آخر يمنح غيره.

٢٦٨ ـ مهما طالت حياتك. فاحترسْ أن تحفر حفرة لغيرك لأنك ستكون أكيداً من الوقوع فيها[١].

٢٦٩ ـ يا بنيّ أنادان، قبل أن تتوجه إلى سيّدك، توخَّ أن تكون مزوّداً بثلاثة أقفال: قفل على قلبك والآخر على عقلك، والثالث على فمك ـ لأنه. بمجرد أن تتكلم، فلا يمكن اللحاق بالكلمة، لا على حصان ولا بواسطة الكلاب ولا بواسطة باشق.

٢٧٠ ـ مرة ثانية يا بنيّ، أكرم الرجل الطيّب والحكيم وتحمّله، حتى لو لم يكن إلاّ حكيماً في مسيرته ولم يكن ثرياً.

٢٧١ ـ يا بنيّ أنادان، إذا كان جارك سيئاً، فلا تهمله، لأن الله يرضى عنك ويحول دون أن يسبّب لك السيّىء أضراراً.

٢٧٢ ـ يا بنيّ، الأفضل حمل الأحجار مع الحكيم من الجلوس إلى وليمة الأحمق.

٢٧٣ ـ يا بني، أكرم إخوتك وأصدقاءك، خشية أن يتوجهوا إليك باحترام بحضورك ثم يعمدون إلى الإضرار بك وضربك من وراء ظهرك.

٢٧٤ ـ يا بنيّ، إذا رمى عليك أحد حجراً، فارمِ له خبزاً، لأن الخبز يعود إليك ويعود الحجر إلى راميه.

٢٧٥ ـ الأفضل لك أن يضربك حكيم من أن يكرّمك أحمق.

٢٧٦ ـ يا بنيّ، إذا ما جلست على مائدة الآخرين، لا تجلس في مكان متقدّم. لأن آخرين سيأتون وسيأتي أناس أرفع منك مرتبةً فتنتقل إلى مكانٍ أدنى. ولكن إذا جلست في المؤخرة واستدعيت إلى مكان أرفع فلن تنتقل بعد ذلك إلى مكان أدنى.

---

(١) هذا المثل لا يزال يردد حتى اليوم على هذا الشكل: «من حفر حفرة لأخيه وقع فيها».

٢٧٧ ـ لا تدعُ قط أحداً إلى مائدة غريب.

٢٧٨ ـ لا تمكث طويلاً حين تدعى، فمن الأفضل أن تبقى قليلاً ويؤسف أنك لم تبقَ مدة أطول.

٢٧٩ ـ إذا كنت مدعوّاً، فلبِّ الدعوة، وملابسك نظيفة، وإلاّ فأفضل لك البقاء في بيتك وأن يؤسف لغيابك، من قدومك دون أن تكون حسن المظهر، لأنهم بدعوتهم إيّاك، أرادوا تكريمك وأنت تجلب الخجل على نفسك.

٢٨٠ ـ يا بنيّ، لا تخرج ليلاً بدون سلاح، لأنك لا تعلم بماذا تلتقي.

٢٨١ ـ يا بنيّ، لا تسافرْ بمفردك، وأثناء سفرك، لا تأكل كل مؤنك معتمداً على مؤن رفيقك، لأنه عندما تنفذ مؤنك فلن يُعطيك مما لديه.

٢٨٢ ـ إذا ما قدّم لكَ أحدُهم آراء صائبة، فاستمع إليه، لأن ذلك مفيد جداً بالنسبة إليك وسيكون كماء نبعٍ منعش بالنسبة لرجل عطشان.

٢٨٣ ـ لا تذهب إلى مائدة غريبة دون أن تكون مدعوّاً.

٢٨٤ ـ ما لا تعدّه جيداً بالنسبة إليك، لا تعمله للآخرين[١].

٢٨٥ ـ يا بنيّ أنادان، إنتبه إلى فم الكيس وليس إلى قعره، لأن القعر هو أيضاً في نهاية الكيس (ولا تصل إليه إلاّ في النهاية).

---

(١) لا نزال نكرر مثل هذه الحكمة حتى اليوم في: «لا تشتهِ لغيرك ما لا تشتهيه لنفسك» أو «لا تعامل الآخرين بما لا تريد أن يعاملوك به».

مُلْحق

حكايات الحيوانات ومسارها الطويل
من سومر إلى أحيقار ولقمان
ومن كليلة ودمنة إلى لافونتين[1]

(١٧٠٠ ق.م. ـ ١٧٠٠م)

١ ـ حكايات الحيوانات في سومر

أبرزت مكتشفات سومر، عدداً كبيراً من الأختام التي نقشت عليها مشاهد لحيوانات في أوضاع بشرية مختلفة: كالتنقّل في قوارب تقودها بأنفسها أو في أوضاع تعبدية، أو أوضاع لثور أو مشاهد راقصة أو مشاهد تشكيل جوقة موسيقية.

كلّ ذلك يكمّل الحكم والأمثال التي وضعت في سومر على لسان الحيوانات، ونستكمل الحكايات القصيرة التي كانت الحيوانات أبطالها[2] بتقديم بعض الملاحظات عما يمكننا استنتاجه بهذا الصدد من المجموعات السومرية حول الشخصيات التي تميزت بها الحيوانات في حكايات وأمثال سومر:

- فالثعلب، هو المتبجح، الذي يحاول في أغلب الأحيان إحاطة نفسه بالأهمية وبصفات لا يملكها ويتراجع عند أول عقبة. وهو الجبان الذي لا يفيده التبجح والمغالاة ويصوّره مثل بأنه «يكشر عن أنيابه ولكن رأسه يرتجف خوفاً». وفي إحدى الحكايات، يقرر مع زوجته، مهاجمة مدينة أوروك مدعياً أنه سيقضمها مثل نبتة كُرّات، كما يقرر ليس مدينة كلاّب كصندل، في قدمه. . . . ولكنه حين يسمع عن

(١) انظر تقديم النص (رقم ١٠٣) عن أحيقار.
(٢) انظر الفقرة السادسة من التقديم المشار إليه في الحاشية رقم (١).

بعد كلاب المدينة تنبح، يقول لزوجته: فلنعد أدراجنا، فالظاهر أن الكلاب تنبح بلهجةٍ تهديدية داخل المدينة.

ووصلتنا من سومر أيضاً، حكاية الثعلب الذي ابتهل للإلّه إنليل أن يمنحه قرني ثور، واستجاب إنليل لطلبه ولكنه لم يتمكن من العودة إلى وكره حين اشتد عليه البرد. وقد ورد عند أيزوب ما يماثل هذه الحكاية في قصة «الجرذان وبنات عرس». ويشبه الثعلب السومري الثعلب الإيزوبي في حكاية «الثعلب والعنب»[1] وهما مشوهّتان مع الأسف. وقد وردت أيضاً قصة الثعلب والغراب وفي فمه قرص الجبن عند إيزوب.

- أما النمس، فقد فضّله السومريون على الهرّ في اصطياد الجرذان، وذلك بالنسبة لحيويته في الانقضاض على فريسته بينما يكمن لها الهرّ بهدوء وكأنه يفكّر. وقال المثل السومري بهذا الصدد:

«الهر بالنسبة. . . . لتفكيره
والنمس بالنسبة. . . . . لفعله.

- وهذا هو الأسد، الذي رأى السومريون أن الغابة هي حليفته حين يختبىء فيها، ويقال عنه في سومر إنه عندما يهاجم زريبة فإن الكلب يبقى صامتاً محتجاً بأنه كان مربوطاً ولم يستطع التدخّل.

وحين يبدأ الأسد بافتراس خنزير بريّ يقول له: «لحمك حتى الآن لم يملأ فمي ولكنّ زعيقك أصمّ أذنيّ!».

- وهناك حكاية حول فيل وعصفور صغير وأمثال حول الحمار والبغل وتساؤل، عمن سوف يعترف بالبغل: هل هو أبوه الحمار أم أمه الفرس؟ ونحن نقول اليوم بأن البغل يتباهى بأن الحصان خاله.

- وعن الخنزير روت حكاية سومرية تأملاته الفلسفية قبل أن يُقاد إلى الذبح. وفي حكاية أخرى يطلب منه سيّده قبل الذبح ألاّ يزعق، لأن «هذا الطريق سلكه قبله جدّه وأبوه». ولا ننس، لهذه المناسبة سفينة الإلّه القمر التي تجيب محاوريها بأنها «لن تتخلى عن حمولتها (النص ٨١ من هذا الكتاب). ولا ننس طبعاً مغامرة النسر والحية

---

(١) هذه الحكاية عرفناها مصرية ولا تزال نهايتها تردد في المثل: «وقال هذا حصرمٌ رأيته في حلبٍ!».

في النص (رقم ٧٤) من الكتاب الثاني وعلاقة إيتانا الملك مع هذا النسر الذي حمله إلى السماء في النص نفسه.

٢ ـ حكايات الحيوانات واحيقار

أورد النص (رقم ١٠٣) كامل قصة أحيقار وأمثاله وحكمه كما عرفها المصدر السرياني المعتمد من قبلنا. ولم تصلنا مع الأسف عن أحيقار، حكايات مستقلة أبطالها الحيوانات، تتصرف كبشرٍ وتصدر الأحكام والانتقادات وتردد الأمثال لكي تعلّم بواسطتها. ولكن الحكم التي أوردناها اشتملت بشكل غير مباشر على إشارات إلى أدوار الحيوانات في أدب أحيقار وحكمه حين كان يستشهد بمغزاها من ضمن توصياته أو أحكامه على ابن أخته نادان. ونعيد فيما يلي القارىء إلى أرقام هذه الحكم كما وردت في النص مع الإشارة إلى الحيوانات أو الأشياء المعتمدة من قبل أحيقار في إلقاء دروسه:

رقم الحكمة	الأبطال المعنيون
٩٨	العقرب والصخرة
٩٩	العنزة وشجيرة السمّاق
١٠٣	الخنزير وذيل الحصان وصوف الخروف
١٠٥	الأسد والحمار
١٠٦	العصفور والفخ
١٠٧	الثور والأسد
١٠٨	سوسة القمح
١٠٩	المرجل وأذناه الذهبيتان
١١٠	الفلاح الذي يكلم الحقل
١١١	عصفور يغرد للإيقاع بأمثاله في الفخ
١١٢	التيس ورفقاؤه في المجزرة

١١٣	الكلب عند الفخارين
١١٤	الخنزير في حمام العظماء
١١٦	الضأن ومقاومة الجزار
١٢٦	الشجرة وقاطعوها
١٢٧	فراخ السنونو والهرّ
١٢٨	الهر والسرقة
(١٢٩ . أ)	الحية والذئب
(١٢٩ . ب)	العنزة التي لم يأت زمنها
(١٣٤ . أ)	الخلد والنسر
١٣٥	شجرة النخيل العقيمة
١٣٦	النسر والصقر
١٣٧	الذئب وغبار القطيع
١٣٩	رأس الحمار والمائدة.

٣ ـ حكايات الحيوانات ولقمان الحكيم

أشارت الفقرة السابعة من تقديم نص أحيقار (رقم ١٠٣) إلى لقمان وحكمه. ويرى مترجم[١] أحيقار، أن حكم وأمثال أحيقار، دخلت في ما عُرف به لقمان من حكمة.

كما أشرنا في الفقرة الثامنة من التقديم نفسه للنص (رقم ١٠٣) أن المستشرق كوسّان دي بيرسوفال[٢]، تلقى في عام ١٨٠٢ كهدية شخصية نسخة باللغة العربية تضمنت حكاياتٍ للقمان أبطالها حيوانات. وتشير مجلة «النص العربي»[٣] في عددها رقم ٤١ لعام ١٩٩٦ إلى مخطوط أكسفورد الذي تملك مكتبة ستراسبورغ في فرنسا نسخة عنه، تتألف من تسع عشرة صفحة تحتوي على حكايات للقمان، كتبت باللغة

---

(١) فرنسوا نو (François Nau).
(٢) (Caussin de Perceval).
(٣) مجلة مزدوجة اللغة عربي/ فرنسي تحمل أيضاً عنوان «Textarab».

العربية من قبل أحد الأقباط الذي لم يذكر اسمه وقد نقلها عن مخطوط أسقف نصيبين في تركيا في عام ١٠١٦. أما النسخة المقدمة إلى دي بيرسوفال، كما أشير إلى ذلك أعلاه فقد نقلها ميشيل شام (؟) في الحادي عشر من شباط لعام ١٨٢٠.

وبما أن مجلة «النص العربي» صادف صدورها الاحتفال بمرور ثلاثمائة عام على وفاة الشاعر الفرنسي جون دي لافونتين، فقد عمدت إلى الإشارة إلى علاقة حكايات لافونتين بحكايات لقمان، وأوردت منها ١٢ حكاية أبطالها حيوانات وأشارت إلى ما يقابلها لدى لافونتين.

ونقدّم عنها فيما يلي جدول التقابل التالي:

عنوان حكاية لقمان	عنوان ما يقابلها عند لافونتين
١ ـ الأرنب والسلحفاة	عنوان مماثل
٢ ـ الخنزير والعنزة والكبش	عنوان مماثل
٣ ـ الأسد والغزال	الغزال والكَرْمة
٤ ـ الحطّاب والموت	الموت والحطّاب
٥ ـ الولد الغريق والرجل العابر	الولد ومعلم المدرسة
٦ ـ الغزالة المريضة	الغزال المريض
٧ ـ الغزالة الفاخرة بقرنيها	الغزال وخياله في الماء
٨ ـ الكلب وخياله في الماء	الكلب الذي خسر ما حصل عليه من أجل خيال
٩ ـ البيضة الذهبية	الدجاجة ذات البيوض الذهبية
١٠ ـ الشمس والريح	فيبوس وبوريه[١]
١١ ـ المهر المولود	(بدون مقابل)
١٢ ـ الغراب والثعلب	عنوان مماثل.

(١) (Phebus & Borée) التسمية الأسطورية لكل من إله النور وهنا يرمز إلى الشمس، وإله الريح وهنا بمعنى الريح.

وبالنسبة للقمان أيضاً، تعدّ إحدى منشورات مكتبة معهد العالم العربي حول «كليلة ودمنة»[1] أن لقمان هو إيزوب العرب الذي نسبت إليه ٤١ حكاية. وأما عن إيزوب، فيمكن إيضاح ما يلي:

٤ ـ إيزوب الذي نُسبت إليه حكايات الحيوانات

يُعَدّ إيزوب شخصية شبه أسطورية، وقد أشارت الفقرة السادسة من تقديم نص أحيقار (رقم ١٠٣)، إلى أن كاهن القسطنطينية بلانود، حين جمع في القرن الثالث عشر الميلادي الحكايات حول الحيوانات بالاعتماد على وثائق قديمة، لم يشأ على الأرجح إرجاعها إلى مصدر شرقي (أحيقار أو بيدبا أو لقمان) فنسبها إلى إيزوب، وعرفتها الثقافة الغربية على هذا الأساس.

وإذا ما أخذنا بهذا الرأي، الذي يتطلب تأكيد صحته من مصادر أخرى وهو اعتبار إيزوب شخصية مُقحمة في هذا المجال، تبقى أمامنا بالنسبة لحكايات الحيوانات المصادر الأكيدة وهي سومر وأحيقار ولقمان من جهة وما عرّبه عبد الله بن المقفع عن الفيلسوف والحكيم الهندي بيدبا[2] من جهة أخرى.

وإذا ما كان أحيقار الذي عاش في القرن السابع قبل الميلاد قد تناقلت آثاره شعوب وأمم متعددة وفي أزمنة مختلفة وترجمتها من الآرامية إلى العبرية واليونانية والسريانية والعربية والأرمنية والسلافية... فلا شيء إذن كان يحول دون ترجمتها إلى الفارسية أو الهندية في نسخ لم تصلنا، عِلْماً أن اللغة الآرامية والسريانية فيما بعد كانتا منذ العصر الإخميني والسلوقي ومن بعده الساساني لغتي الثقافة في المنطقة إلى أن حلّت محلهما اللغة اليونانية التي بدأت تنتشر بعد فتح الإسكندر في عام ٣٣١ ق.م. لبلاد ما بين النهرين. وليس من المستبعد على هذا الأساس أن يكون بيدبا قد تعرف على أحيقار وحكمته وحكاياته، كما تعرف عليها اليونانيون بواسطة ترجمة الفيلسوف ديموقريط[3].

---

(١) ملف وثائق ومختارات مراجع Kalila & Dimna, Dossier documentaire Selection bibliographique-Octobre 1996 وتقارن هذه النشرة في الصفحة ٢١ بين حكايات كليلة ودمنة وحكايات لافونتين معتبرة أن عبد الله بن المقفع ولافونتين استندا إلى المصدر نفسه، أي بيدبا الهندي.

(٢) (Bidpay). عاشت في القرن الثالث لما قبل الميلاد.

(٣) انظر الفقرة الثالثة من تقديم نص أحيقار (رقم ١٠٣).

٥ ـ بين أحيقار وبيدبا

يبقى على الباحث العربي التعمق في ما استعرض أعلاه ودراسة المصادر التي اعتمدها بيدبا نفسه، إذا ما توافرت، أملاً بأن تعود في يوم ما أبوّة ما أوحى بمضمون كليلة ودمنة إلى كلّ من سومر وأحيقار؛ ولا نعبّر هنا إلاّ عن أمل في أن يتم التعمق في هذا البحث الذي لا يدخل في مجال عرضنا لأحيقار في قصته وحكمه.

ويلخص هذا الملحق في فقرته التالية، من سومر حتى لافونتين، المراحل التي عرفتها قصص وحكايات الحيوانات في جدول إجمالي، نثبته في الصفحة التالية:

٦ ـ حكايات الحيوانات ـ الجدول الإجمالي

المرحلة	المصدر	الفترة الزمنية	المواضيع المطروقة: حكم وأمثال	المواضيع المطروقة: حكايات حيوانات	ملاحظات
١	سومر وآكاد	منذ ١٧٠٠ ق.م.	متوفرة	متوفرة	النصوص (٩٩ ـ ١٠٣) والفقرة (١) من هذا الملحق
٢	أحيقار	٧٠٠ ق.م.	متوفرة	متوفرة	النص (١٠٣) والفقرة (٢)/ ملحق
٣	إيزوب	(٦٢٠ ـ ٥٦٠) ق.م.	ـ	(؟)	انظر الحقل ٨ من هذا الجدول
٤	بيدبا	حوالى ٣٠٠ ق.م.	متابعة البحث	أساس كليلة ودمنة	ـ
٥	لقمان	ما قبل الإسلام	قرآن كريم	متوفرة	انظر الفقرة (٣) من الملحق
٦	عبد الله بن المقفع	(٧٢٠م ـ ٧٥٦م)	مؤلف «الأدب الكبير»	كليلة ودمنة	ترجمت إلى ٤٠ لغة
٧	ألف ليلة وليلة	قرن ثالث عشر	ـ	الليالي: ١٤٦ و٧٧٧ و٧٩٦ و٨٠١	مثال عن أرقام الليالي التي روت حكايات حيوانات
٨	بلانود كاهن القسطنطينية	قرن ثالث عشر	ـ	أخذ عن أحيقار ولقمان ونسب لايزوب	إيزوب شخصية مقحمة
٩	ألف ليلة وليلة ترجمة دي بيرسوفال	١٨٢٠	أدخل في ترجمته قصة أحيقار	ـ	تحت عنوان أسرحدون ووزيراه
١٠	لافونتين	(١٦٢١ ـ ١٦٩٥)	ـ	اعتمد ما نسب لايزوب وابن المقفع	أي إيزوب بلانود وترجمات كليلة ودمنة.

المحتويات

الفصل الثالث

ديوان الأساطير
سومر وأكاد وآشور

الكتاب الأول
أناشيد الحب السومرية

* يتعلق «أناشيد الحب السومرية»، بنصوص الخصب والإخصاب، أو كما يقول الشعراء السومريون، «بمنيّ السماء» يخصب الأرض و«بماء القلب» يخصب الأرحام.

* تحت عنوان ماء الأرض وماء القلب يعرض الفصل الأول، كيف تمّ بواسطة الماء إحياء بلاد دلمون من قبل الإله أنكي، وكيف يقع الإله إنليل في غرام ننليل ذات البهاء والظرف. ويقدّم لنا تفاصيل حيّة عن خطبته وزواجه من سود الجميلة. ولا ينسى تتبّع الإلهة إنانا حين تنزل من سمائها لتتفقّد أحوال الأرض حيث يغتصبها بستاني أنكي.

* ينقل إلينا الفصل الثاني أجمل أناشيد الحبّ والجنس، بين أشهر حبيبين عرفهما عالمنا القديم، أي علاقة الراعي دوموزي وإلهة الخصب والجمال إنانا، لينتقل بعد ذلك إلى دور ملوك سومر في مراسم الزواج الإلهي، وهنا أيضاً نقرأ عن سومر أناشيد حب رائعة حتى في عفويتها «الإباحية».

* ولذا أمكن القول بأن مجمل أناشيد الحب المعروضة، تشكل ما يمكن أن يسمّى «نشيد أنشاد سومرياً»، مما جعل الفصل الثالث ينتقل إلى عرض دراسة هي الأولى من نوعها في اللغة العربية حول توازي نشيد الأنشاد السومري مع نشيد الأنشاد التوراتي المنسوب لسليمان الملك.

* الكتاب الأول من مجموعة ديوان الأساطير، يقدّم للقارىء العربي ذخيرة ثقافية فريدة ـ جمالياً ومعرفياً وتاريخياً.

ديوان الأساطير

سومر وأكاد وآشور

الكتاب الثاني

الآلهة والبشر

هذا الكتاب الثاني من مجموعة «ديوان الأساطير» يطرح المواضيع الرئيسية التالية:

* البدء والأصول،

واستعراض قصص التكوين والخلق في ما بين النهرين التي سبقت تحفة النظرة الشاملة في:

* قصيدة التكوين والخلق البابلية،

مُكرِّسةً ارتقاء الإلّه مردوك ومردِّدةً أسماءه الخمسين تمجيداً له.

* قصيدة الفائق الحكمة وقصة إنقاذ البشر من الطوفان:

وتروي تاريخ البشرية من الخليقة حتى الطوفان، وهذا النص هو في أساس الموضوعات التي تأثّرت بها التوراة.

* الثواب والعقاب

في انطباقه على الآلهة وعلى الملوك والمدن.

* مسرحية البكاء على خراب سومر ومدينة نفّر:

وهو أقدم نص عن المسرح الديني السومري الذي سبق المسرح الاغريقي بألف عام.

* العادل المعذّب والعدالة الإلّهية:

وهو في أساس قصة أيوب التوراتية.

* الصعود إلى سماء الآلهة،

في كلٍّ من مغامرتي أدابا الحكيم وإيتانا الذي صعد إلى السماء على جناح نسر، ونيلِ سعيه.

هذا الكتاب من «مجموعة ديوان الأساطير»، يطرح المواضيع الرئيسية التالية:

* النعجة ـ الأم والشعير والكتّان، هي الرموز الثلاثة التي اعتمدتها الأساطير السومرية للتعبير عن بداية بناء الحضارة في بلاد الرافدين.

* الإلّه البدوي مارتو، يستحقّ الزواج من إبنة إلّه المدينة، وقد سَحَرهُ جمالُها، فألْهَبَ شجاعته.

* إنليل، سيّد الآلهة وسيّد البلاد، يطلق بناء الحضارة ويجعل من مدينتهِ نِفرّ، محجّاً للآلهة لتقديم الولاء.

* الإلّه نينورتا، يُخضِع في المنطقة الجبلية «شعب الحجارة» مكمّلاً دور إنليل الحضاري.

* أنكي، إلّه المعرفة ومهارة الصنع، يرسّخ أسس الحضارة وينظّم البلاد وينقل الولاء إلى مدينته إريدو.

* الإلّهة إنانا تتوجّه على «سفينة السماء» إلى إريدو لتعود منها محمّلة بأسس الحضارة، فترفع من شأنِ مدينتها أوروك.

* إنانا/ عشتار «إلّهة الإلّهات» و«سيّدة المعارك»، تتابع ارتقاءها عبر القرون، فيستمر تمجيد سلطتها.

* بين المدرسة والحكمة، هو الفصل الأخير الذي يشهد على تعميم الحضارة وبناء الأسس والقيم الأخلاقية والاجتماعية من ضمن مجموعات من الحكم والأمثال السومرية والأكادية.

* يُختتم هذا الكتاب، بسرد قصة أحيقار، حكيم بلاد نينوى، عارضاً موضوع بحثٍ حول الأصول السومرية والآرامية لكليلة ودمنة.

ISBN 1 85516 337 3

